TH6-415.1-01/01

سجل تحت رقم 11 467
بتاريخ 31 ماي 2008
الرقم

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

جامعة أبي بكر بلقايد - تلمسان

كلية العلوم الإنسانية

قسم اللغة العربية وآدابها

رسالة لنيل شهادة الماجستير

الموضوع

الأصول النحوية عند البلاغيين في القرن الثالث الهجري

من إعداد:

محمد بلعيدوني

أسماء أعضاء اللجنة:

د/ خربوش عبد الرحمن جامعة تلمسان رئيسا.

د/ غيتوبي سيدي محمد جامعة تلمسان مشرفا.

د/ بن موسات بومدين جامعة تلمسان عضوا.

السنة الجامعية : 2001-2002

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء

إلى علة وجودي أمي التي أفنت حياتها من أجلي رحمها الله و والدي الذي أستشهد من أجل هذا البلد العزيز و شهدائنا الأبرار.

و إلى من شاركتني حياتي و صبرت على المشقة و المتاعب و إلى أولادي فلذات كبدي و إلى كل أساتذتي و قراء اللغة العربية التي نزل بها آي الذكر الحكيم.

محمد. بلعيدوني

كلمة شكر

أوجه شكري إلى أستاذي الدكتور غيثري سيدي محمد الذي أخذ بيدي لإنجاز هذه الرسالة، فله مني كل التقدير، و إلى الأستاذ ديدوح و إلى كل من ساعدني من قريب أو بعيد على إنجاز هذه الرسالة.

وشكرا

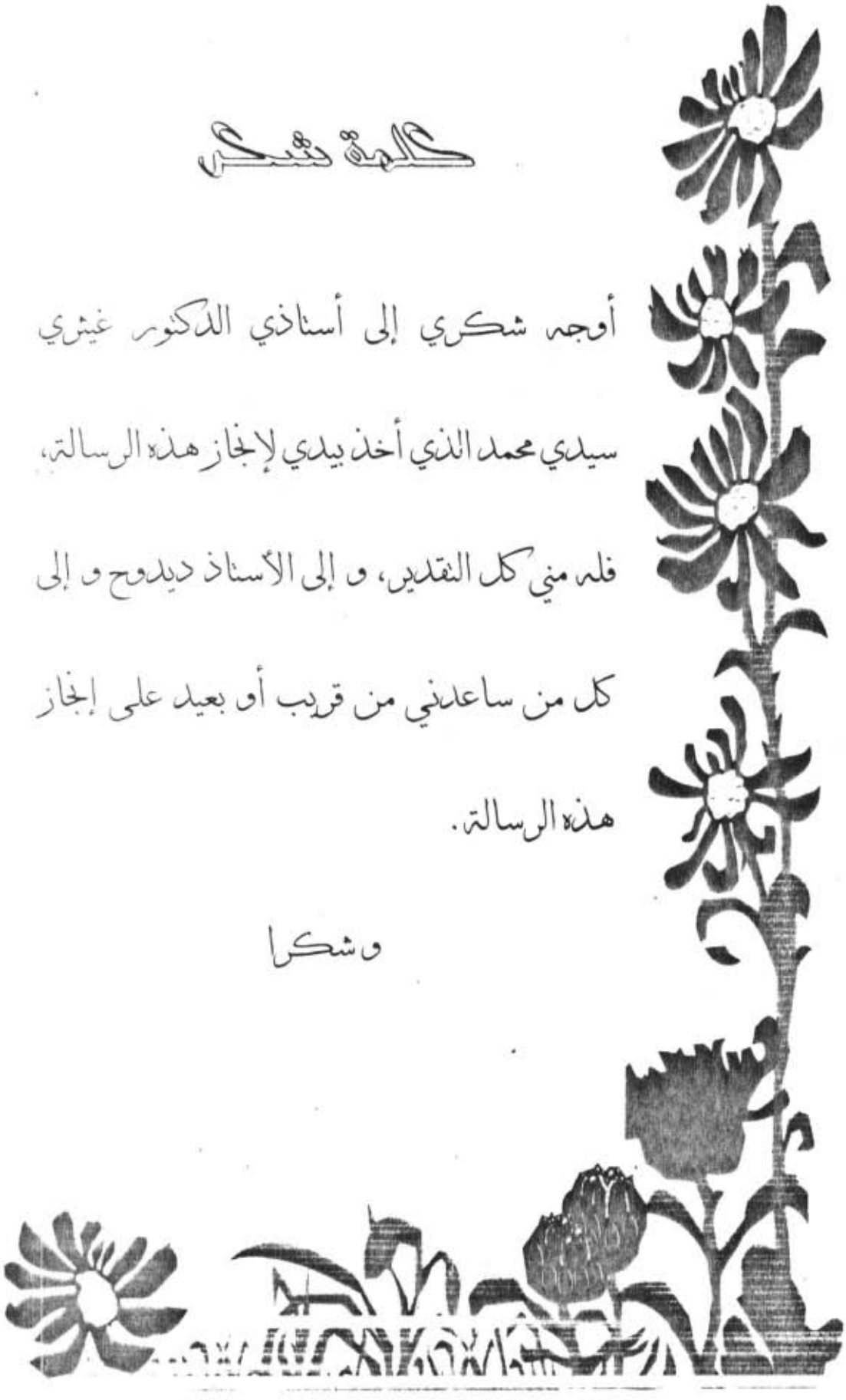

تقريرسوء حال الرسالة

المقدمة

إن الموضوع الذي احترته لرسالتي يدور معظمه حول مجالين من مجالات اللغة العربية و يتمثل في النحو من جهة و البلاغة من جهة أخرى.

كان الموضوع في أول الأمر يخصّ إرهاصات نظرية نحوية في أعمال البلاغيين العرب، فكان العنوان الذي اقترحه علي السادة الأساتذة الأفاضل في المجلس العلمي

" **النظريات النحوية عند البلاغيين – في القرن الثالث الهجري**" تحت إشراف الأستاذ الدكتور "زبير دراقي".

فليس من المبالغة أن أذهب في قولي إلى أنني خصصت وقتا طويلا لهذا العمل، إلا أني لمّا عدت بعملي إلى الأستاذ المشرف، تبيّن لي تباعد بيننا انتهى الأمر بنا إلى تنازل الأستاذ عن الإشراف على هذا الموضوع.

حاولت أن أقدم هذا العمل إلى الدكتور " غيثري سيدي محمد " ليتبنى هذا العمل الذي عملت فيه بدراسة جوانب متعددة منه حيث انتهت إلى كثير من النتائج إلا أن الدكتور غيثري وافق على شروط منها:

- موافقة اللجنة العلمية.
- تغيير الموضوع من " النظريات النحوية عند البلاغيين في القرن الثالث الهجري" إلى " الأصول النحوية عند البلاغيين في القرن الثالث الهجري".
- تعديل الرسالة في الشكل و المضمون.

و لقد حاولت أن أعرض هذا التصور في طرحه الجديد المتضمن معالجة الموضوعات التي تناولها البلاغيون العرب ذات الأصول النحوية، فجعلت عملي يفتتح بتمهيد و أما الإشكالية التي يطرحها هذا الموضوع فتتمثل في التساؤلات الآتية:

- ما مدى تأثير علم النحو و أصوله في الدرس البلاغي.
- ما مدى تحديد الأصول النحوية التي استفاد منها البلاغيون في درسهم في القرن الثالث الهجري.
- ما الدوافع الحقيقية التي جعلت الدرس النحوي سابق للدرس البلاغي.
- سبب إختيار الموضوع.
- تحديد المنهج المتبع نقد أهم المصادر و المراجع المهمة في البحث.

- تحديد خطة البحث.

قد حفزتني دوافع كثيرة لبحث هذا الموضوع من أبرزها:

- أولا: الدافع الذاتي و يتمثل في الإستزادة من الخزانة الموفورة لعلوم اللغة العربية.
- ثانيا: ندرة الإهتمامات بهذا النوع من الدراسات التي تتعلق بموروثنا الثقافي الحضاري.
- ثالثا : المساهمة في توسيع دائرة الإهتمام بالبحوث النحوية و البلاغية.

و أما المصادر و المراجع التي كان لها الأثر البالغ في هدا البحث فأذكر منها:

1. معاني القرآن للفراء فقد أخذت منه في التعليلات النحوية.
2. معاني القرآن للأخفش أرشدني إلى أهمية الدرس النحوي و علاقته بالقرآن الكريم.
3. الأمالي لأبي علي القالي زودني بكثير من النصوص التي فتحت لي الطريق نحو مدى علاقة النحو بالبلاغة.
4. طبقات فحول الشعراء لابن سلام قد أفدت منه الكثير من الشواهد الشعرية و النثرية.

تحديد المنهج:

- المنهج الذي اتبعته فهو الوصفي التحليلي عنيت فيه جمع مسائل للمادة التراثية النحوية و البلاغية خلال القرن الثالث الهجري، و استرشدت فيه بانتقاء بعض العينات الكافية لإجراء الدراسة القياسية.

و لقد سار البحث على النحو الاتي:

بمقدمة و فصول أربعة.

إن سبب إختيار موضوع هذا البحث،لأنه لم يطرق كبحث مستقل إلا ما أشارت إليه بعض المصادر و المراجع كما جاء عند الجرجاني و ماجاء بعده فأردت أن أضع لمسة أولى عساها أن تكون انطلاقا للبحوث النحوية البلاغية و لاسيما و أن علماء هذه الحقبة الزمنية في القرن الثالث الهجري لم يشيروا إليه إلا في دائرة النقد الأدبي، و الذي جعلني أتتبع دقائق هذا الموضوع الذي أولاه النحاة أهميتا في القرن الثالث الهجري و ما آلت إليه في القرن الرابع الهجري عند عبد القاهر الجرجاني الذي طور الدراسات البلاغية و ربطها ببعض الأصول النحوية، فكنت أنقب عن هذه الأصول مبينا إياها في كل من النحو و البلاغة في القرن الثالث الهجري.

و قع حسن اختيار هذا البحث من قبل المشرف بعد موافقة اللجنة العلمية فكانت تقتي بهم قوية و أقدمت على البحث فيه دون انتظار، فجمعت ما يمكنني من المصادر و المراجع، و الدوريات، و كما لاحظت أن الباحثين الأوائل لم يفردوا لهذا الموضوع بحثا مستقلا و لذا عزمت على معالجته، ونهجت عليها وانهجا تتبعت فيه هذه الأصول النحوية البلاغية، و كيفية دراستها وإن الدرس النحوي في اللغة العربية شيء لم يبرز إلى الوجود كما وضعه علماؤنا الأوائل بل اعترته بعض الشوائب:

أ - انقطاع الدرس في فترات نتيجة الحروب.

ب - اتلاف بعض الدروس التي دونت إملاء.

ج- اقتصار الدراسة على لغة دون أخرى.

د- عدم تعليل كل لغة على حدة.

هـ - عدم دراسة اللغة دراسة وصفية بل كانت تمثيلية.

كل ذلك كان يحتاج إلى إظهار و تبيان الإستعانة بالمعطيات الوصفية للغة لمعرفة كل من البلاغة و النحو معا، و البحث عن حقيقتهما كل على حدة، و رصد الأحداث لانتشار اللغة، و حفظها من اللحن الذي كان بدخول الأعاجم إلى دين الله لفهم القرآن و السنة الشريفة.

قد يختلف المفهوم و المصطلح في ذاته باختلاف المدارس النحوية، و أساطين اللغة العربية آنذاك، و كذا وجب تحديد و توضيح المفاهيم و المصطلحات المذكورة، و تحديد أبعاد الموضوع بإيجاز.

النحو و البلاغة من الموضوعات التي أولاها العلماء القدامى بأوفر قسط من الدراسة عبر أطوار التاريخ المتعاقبة، و خاصة الإسلامي منها.

لقد مرت البلاغة في أزمنة متعاقبة مختلفة الثقافات و المعارف لذا جاءت تعاريفها عندهم كل حسب اختصاصه، و مادته التي يدرسها، فتعريفها عند الفلاسفة يختلف مفهومها عند المناطقة، و تحديدها عند الأدباء و اللغويين كذلك يختلف اختلاف بيّنا.

و أما المفهوم الذي عوّلنا عليه هو المفهوم الإصطلاحي الذي يدرس في الآداب العربية في القرن الثالث الهجري.

و النحو هو نهج به يعرف صحيح و سقيم الكَلِم، و به تقوّم الألسنة، و به يُفهم المعنى الحرفي للكلم، و به ترتبط الدراسة العربية ارتباطا وثيقا، و كما قال صاحب كتاب المثل السائر في أدب الكاتب و الشاعر :" إن علم النحو كأبجد في علوم العربية، إذ لا يمكن الإستغناء عنه".

و يعتبر كتاب الدكتور عبد القادر حسين " أثر النحاة في البحث البلاغي إشارات دالة تثبت بعض الأدلة التي لا يستغني عنها في العلاقة بين الدرس النحوي و الدرس البلاغي و العلماء الذين بحثوا في تلك الأصول، و عبد الواحد الدكتور البارع في تصنيف و تحقيق الدراسات النحوية في جميع جوانبها العلمية، و الأدبية، إذ يحدث عن اللغة و علومها، وقد صنف كتابا قيما قد حسنت المنفعة منه لكل باحث في ميدان اللغة – فقه اللغة.

و في دراسة اللغة العربية الشمولية وجه فريد من نوعه عند علماء اللغة القدامى مثل الجاحظ أستاذ ابن قتيبة، ~~وابن المقفع~~ فالجاحظ يعد مكتبة كاملة، فهو فيلسوف الأدباء و البلغاء.

و عرفانا مني للأستاذ الفاضل الدكتور غيثري و الأستاذ ديدوح ~~الفضل~~ الذان مكّنا من هذا البحث، و قد بينا لي الطريق الذي أنتهجه في هذا البحث المتواضع، لما أحفزني على البحث و التنقيب و أمدني بنصائح و إرشادات علمية لا يستغنى عنها، فكانت لي بمثابة النور الذي يصوّب صاحبه.

و أما ما توصلت إليه في هذا البحث المتواضع، انطلاقا من البحث و التنقيب في كتب القدامى و المحدثين و وضع العلاقة بين النحو و البلاغة بكيفية تقرّب المعنيين لغة و اصطلاحا مستعينا في ذلك بما وصفه العلماء الأجلاء، تصفحت و قرأت ما جاء في كتبهم.

و قد استخلصت من ذا و ذاك أن دراسة اللغة في هذا العهد كانت تصبو إلى تحقيق هدف واحد ألا وهو فهم ما جاء في كتاب الله العزيز، و تسيير اللغة العربية بشكل يقرب البعيد و يذلل القريب.

إن اللغة من أبرز الخصائص المميزة للكائن الحي البشري عن غيره من الكائنات و في شأنها يقول ابن جني : " هي أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم" و هذا يبين لنا أن الإنسان يعيش حياة تفرض عليه الكلام ليعامل غيره، و اللغة ملفوظة و مكتوبة و هذان الأمران خاصان بالإنسان، إذ لا تمكن لأي مخلوق أن يوظف لغته كما وظفها الإنسان و بالكيفية التي استعملها.

فالله جل جلاله يثبت أن الإنسان أولاه ﷻ بالعلم حيث يقول في آي الذكر الحكيم: ﴿ وعلَّمَ آدمَ الأسْمَاءَ كُلَّهَا﴾.[1]

فالأسماء من حيث اللفظ وذكره، وقال جل جلاله: ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَّمَ القُرْآنَ خَلَقَ الإنسانَ عَلَّمَهُ البَيَان﴾.[2]

وقال تعالى: ﴿ نُ وَالقَلَمِ ومَا يَسطُرُون﴾.[3]

فمن ذكر هذه الآيات يتضح لنا أن الإنسان ميزه الله باللغة المنطوقة ذات البيان والمكتوبة بالقلم وهذا ما لا يستطيعه خلق آخر.

فالإنسان لا يستغني فيما أولاه الله من بيان وعلم، فهو بؤوب، فلا يمكن التخلي عنه بأي حال إذ به يعي ويرقى وكل حسب اختصاصه، والتفكير الإنساني، من حيث اللغة أمر ضروري فيها يحدَّدُ كلُّ علم.

وقد قسمت بحثي هذا إلى تمهيد وأربعة فصول:

ففي الفصل الأول خصصته لتعريف كلَّ من الأصل والفرع، والثابت والمتغير، مما لهما من علاقة وطيدة ببحثنا هذا، ثم صلة البلاغة بالدراسات القرآنية.و النحو العربي

---

[1] سورة البقرة رقم 31.

[2] سورة الرحمن آية رقم 1و2.

[3] سورة ن آية رقم1.

وفي الفصل الثاني فقد تعرضت لأهم العلاقة التي تربط النحو بالبلاغة وأخبارهما. ولأهم الأصول النحوية التي كان لها علاقة وطيدة بين الدرس النحوي والدرس البلاغي، وفيها حاولت أن أوفق بين العلمين مستعينا بالإرهاصات الأولية التي انبعثت من دراسة العلماء في القرن الثالث الهجري مع ذكر النتائج التي تفيد علاقة الأصول النحوية بالأصول البلاغية.

وفي الفصل الثالث وضعت اللبنة الأساسية التي تثبت أن كلا من علمي النحو والبلاغة في هذا القرن الثالث، وبينت أن اللغة العربية لا تسمو إلا بهما ذاكرا على ذلك أمثلة من كتب البلاغة والنحو التي تتضمن توطيد العلمين بالقرآن الكريم.

وأما الفصل الرابع والأخير ضمنت فيه صلة الدراسات القرآنية بالأصول النحوية البلاغية ومدى نتائجها، وذكرت أدلة على ذلك.

ومن ذا وذاك تبين أن الإنسان تتبع الدراسات التي تحوم حول الدين الحنيف. فهي المفتاح الذي يفتح كنوز وأسرار القرآن، وجواهره المكنونة، فهذا الذي أدى بالعلماء المسلمين بالسبق، والاجتهاد لإظهار معاني العربية، وما يتصل بها، وبيان ما فيها من دروس وعبر، وجعلها في قالب مضبوط، ليتسنى لدارس العربية، معرفته وفهمه بأيسر السبل وكل تناوله حسب مقدرته.

وأهم ما أخذنا في بحثنا هذا بعض الأصول النحوية البلاغية جاهدين في ذلك التوفيق والوصول إلى كنهها متبعين في ذلك ما جادت به قرائح الكتّاب والجمّاع القدامى، والمحدثين، ولا يمكن حصره في مادة بل نوهنا ما يجب إظهاره في الدراسات اللغوية مستشهدين بما جاء به الذكر الحكيم، وأول العلماء والشعراء، وبعض الكلام العربي الموثوق به.

تمهيد :

لا غرو في أن اللغة هي أقدر المسائل التي عرفها الإنسان في التاريخ الطويل للتعبير عن الأفكار، و الانفعالات و العواطف و هي على قدرها تمتاز باليسر و السهولة و الليونة، ذلك لأن الطاقة اللغوية عند المستعملين لها تختلف من شخص إلى اخر بقول بوتر (Potter) "إن المعرفة قدرة و لكن القدرة على اختيار الكلمات التي تؤدي بها هذه المعرفة أقوى و أعظم سواء أكانت هذه الكلمات أريد بها الاستماع أم الإثارة[1]

و قد حرص علماؤنا الأجلاء في القرن الثالث الهجري على هذه اللغة التي تعد الجوهر الأصيل لهذه الأمة، فقننوا قواعد تضبط و تمكن المتكلم و تبين له ما جاءت إلا لإيضاح و إفهام الإنسان المسلم ما جاء في آيات القرآن الكريم، و اللغة الراقية التي تمثل أعلى مراحل التطور الفكري عند الإنسان.

و الحق أن هذه العربية التي جُعلتْ لها قواعد تضبطها ارتكزت على أصول استمدتها من علوم أخرى، و هي أصول الفقه، إذ يحتاج عالم اللغة التي كانت وسيلة للفقيه لتبيان شرائع الله.

و إن قضية الأصل و الفرع التي تشغل حيزا كبيرا لدى الدارسين التي وقدت عليهم من أصول الفقه، فقد كانت محطة في بحثنا هذا و قد تعرضت لها على المستوى اللغوي و بينت مدى اهتمام العلماء بهذه القضية.

و لقد كان الخليل بن أحمد يقيس مسائل نحوية من نصوص فقهية.

و من المؤكد أن الأصول النحوية البلاغية التي دارت موضوعاتها حول الاستماع والاجتهاد و القياس جعلت الدرس محط أنظار العلماء القدامى و المحدثين، تتبع دقائق هذا الدرس و جعله طيّعا للمادة التي يدرس في إطارها المحدد، و قيام ضوابط تقنين ذلك العلم.

فالسّماع يضم ثلاثة عناصر و هي:التي اعتمدها الدارسون و تتمثل في :

1- القرآن العظيم

2- السنة النبوية الشريفة.

---

[1] - Potter. Own langage, p 23.

3- كلام العرب.

و أما الأصل الثاني الذي يضم الإجماع و اعتمد على :

1- إجماع الرواة

2- إجماع النحاة

3- إجماع العرب

و يأتي القياس الذي اعتمده العلماء في صيغة متأخرة في القرن الثالث الهجري و قد ضم عنصرين هما :

- القياس الاستقرائي.
- القياس الشكلي.

و لعل الصّلة الوُثــقى بين النحو و البلاغة في علوم العربية هي التي أنارت للدارسين مُرَادَهمُ في شتى المجالات، و هاأنذا أعرض بحثي هذا عساه أن يكون لمسة في الدراسة العربية.

و لقد اقتصرت في هذه الأصول على السماع و الإجماع و القياس ثم عقبت ذلك بخاتمة.

و الذي لا ريب فيه أن الأصول النحوية البلاغية تستدعي إلى دراسة و لو بإيجاز ـ كل من النحو و البلاغة و تقاطعهما في ظواهر عدة كالفصل و الوصل، و التنكير و التعريف.

و من الواضح أن هذه الأصول قد نشأت منذ نشأة الفقه إلا أنها لم تدوّن، لأن رسول الله صلى الله عليه و سلم – كان بين أظهرهم، يستفتونه فيفتيهم بما يوحي إليه، إذ يقول الله تعالى : "**و ما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى**".

و حين التحق الرسول الأكرم صلى الله عليه و سلم إلى الرفيق الأعلى و انقضى زمن السلف و انقلبت العلوم كلها صناعة كما يقول ابن خلدون " و اعلم أنّ هذا الفن – يقصد : علم أصول الفقه – من الفنون المستحدثة في الملّة، و كان السلف في غنى عنه بما أن استفادة الألفاظ لا تحتاج فيها إلى أزيد مما عندهم من الملكة اللّسانية"[1].

و لقد كان علمُ الأصولِ أشدّ أثرا في الدرس النحوي و البلاغي حتى زحمه الفكر اليوناني بتصوراته الذهنية و منطقه الشكلي بعد ثلاثة قرون و أوضح مظاهر هذا التأثير :

1- العناية البالغة بالنصوص جمعا و استقصاء و الحرص الكامل على سلامتها بما وضعوا لها من حدود زمانية و مكانية، و ضوابط النقد النص سندا ومتنا، ثم الاعتداد بها فيما يضعون من قواعد استشهادا أو تأويلا و تخريجا و اجتهادا [2].

2- المصلحة في أصول الفقه غاية تلخصها عبارة "لا ضرر ولاضرار" و الفائدة من أصول النحو تتلخص في لا خطأ و لا لَبْس[3]

3- والبلاغة هي السلامة في العبارة وحسن الرصف، تتلخّص في عبارة " خير الكلام ما قلّ ودلّ وطال ولم يملّ "[4]

وَاللهُ وَلِيُّ التَّوفِيقِ

---

[1]- ابن خلدون : المقدمة، بيروت 1986، ص 454.

[2]- د علي أبو المكارم : تقويم الفكر النحوي، دار الثقافة – بيروت (دت) ص 236. – د تمام حسان : الأصول، القاهرة، ص 45-50.

[3]- د تمام حسان : الأصول، ص 208، و ابن السراج ص 66، بيروت (دت).

[4]- الجاحظ بيان التبيين – دار الطّبع القاهرة – ط1- سنة 1961 - ص 10

فالله جل جلاله يثبت أن الإنسان أولاه الله بالعلم حيث يقول في أي الذكر الحكيم : ﴿ وَ عَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا ﴾. (1)

فالأسماء من حيث اللفظ و ذكره، و قال جل جلاله: ﴿ الرَّحْمَانُ عَلَّمَ القُرآنَ خَلَقَ الإنْسَانَ عَلَّمَهُ البَيَانَ ﴾. (2)

و قال تعالى : ﴿ نٓ وَ القَلَمِ وَ مَا يَسْطُرُونَ ﴾. (3)

فمن ذكر هذه الآيات يتضح لنا أن الإنسان ميزه الله باللغة المنطوقة ذات البيان و المكتوبة بالقلم و هذا ما لا يستطيعه خلق آخر.

فالإنسان لا يستغني فيما أولاه الله من بيان و علم، فهو دؤوب، فلا يمكن التخلي عنه بأي حال إذ به يعي و يرقى و كل حسب اختصاصه، و التفكير الإنساني، من حيث اللغة أمر ضروري فيها يجد كل علم.

و قد قسمت بحثي هذا إلى تمهيد و أربعة فصول :

ففي الفصل الأول خصصته للصلة بين النحو و البلاغة عند القدامى و المحدثين، كما تطرقت إلى وضع علم البلاغة و مصطلحاته في هذا العصر، ثم صلة البلاغة بالدراسات القرآنية.

---

(1) سورة البقرة آية رقم 31.

(2) سورة الرحمن آية رقم 1 و 2.

(3) سورة ن آية رقم1.

و في الفصل الثاني فقد تعرضت فيه لأهم الأصول النحوية التي كان لها علاقة وطيدة بين الدرس النحوي و الدرس البلاغي و فيها حاولت أن أوفق بين العلمين مستعينا بالإرهاصات الأولية التي انبعثت من دراسة العلماء في القرن الثالث الهجري مع ذكر النتائج التي تفيد علاقة الأصول النحوية بـــالأصول البلاغية.

و في الفصل الثالث و ضعت اللبنة الأساسية التي تثبت أن كلا من علمي النحو و البلاغة في هذا القرن الثالث، و بينت أن اللغة العربية لا تسمو إلا بهما ذاكر على ذلك أمثلة من كتب البلاغة و النحو التي تتضمن توطيد العلمين بالقرآن الكريم.

و أما الفصل الرابع و الأخير ضمنت فيه صلة الدراسات القرآنية بالأصول النحويـــــة البلاغيـــة و مدى نتائجها، و ذكرت أدلة على ذلك.
و من ذا وذاك تبين أن الإنسان تتبع الدراسات التي تحوم حول الدين الحنيف.

فهي المفتاح الذي يفتح كنوز و أسرار القرآن، و جواهره المكنونة، فهذا الـــذي أدى بالعلمـــاء المسلمين بالسبق، و الإجتهاد لإظهار معاني العربية، و ما يتصل بها، و بيان ما فيها من دروس وعبر و جعلها في قالب مضبوط، ليتسنى لدارس العربية، معرفته و فهمه بأيسر السبل و كل تناوله حســـب مقدرته.

و أهم ما أخذنا في بحثنا هذا بعض الأصول النحوية البلاغية جاهدين في ذلك التوفيق و الوصول إلى كنهها متبعين في ذلك ما جادت به قرائح الكتاب و الجماع القدامى، و المحدثين، و لا يمكن حصره في مادة بل نوهنا ما يجب اظهاره في الدراسات اللغوية مستشهدين بما جاء به الذكر الحكيم و أول العلماء و الشعراء و بعض الكلام العربي الموثوق به.

- تحديد خطة البحث.

قد حفزتي دوافع كثيرة لبحث هذا الموضوع من أبرزها:

- أولا: الدافع الذاتي و يتمثل في الإستزادة من الخزانة الموفورة لعلوم اللغة العربية.
- ثانيا: ندرة الإهتمامات بهذا النوع من الدراسات التي تتعلق بموروثنا الثقافي الحضاري.
- ثالثا : المساهمة في توسيع دائرة الإهتمام بالبحوث النحوية و البلاغية.

و أما المصادر و المراجع التي كان لها الأثر البالغ في هذا البحث فأذكر منها:

1. معاني القرآن للفراء فقد أخذت منه في التعليلات النحوية.
2. معاني القرآن للأخفش أرشدني إلى أهمية الدرس النحوي و علاقته بالقرآن الكريم.
3. الأمالي لأبي علي القالي زودني بكثير من النصوص التي فتحت لي الطريق نحو مدى علاقة النحو بالبلاغة.
4. طبقات فحول الشعراء لابن سلام قد أفدت منه الكثير من الشواهد الشعرية و النثرية.

تحديد المنهج:

- المنهج الذي اتبعته فهو الوصفي التحليلي عنيت فيه جمع مسائل للمادة التراثية النحوية و البلاغية خلال القرن الثالث الهجري، و استرشدت فيه بانتقاء بعض العينات الكافية لإجراء الدراسة القياسية.

و لقد سار البحث على النحو الاتي:

بمقدمة و فصول أربعة.

الفصل الأول

ثنائية الأصل و الفرع بين الثابت و المتغير

قبل أن نقدم ما سندرسه في الأصول النحوية، عند البلاغيين في القرن الثالث الهجري. لا بد أن نكشف النقاب على بعض المعاني اللغوية و الإصطلاحية لكلمة أصول في المعاجم و كتب اللغة و قواعدها.

:

جاء في معجم مختار الصحاح (1) مادة | أ ص ل| و الأصل واحد الأصول يقال أصل مؤصل، و استأصله قطعه من أصله، و قولهم لا أصل له و لا فصل.

الأصل الحسب و الفصل اللسان، و الأصل الوقت بعد العصر إلى المغرب و جمعه أصل و أصال و أصائل و رجل أصيل الرأي أي محكم الرأي و قد أصل من باب طرق.

و جاء في أساس البلاغة (1):

قعد في أصل الجبل و أصل الحائط، و فلان لا أصل له، و لا فصل أي لا نسب له و لا لسان و أصّلت الشيء أصلا، و إنه لأصيل الرأي و أصيل العقل، و أصل أصالة، و إن النخيل بأرضينا لأصيل أي هو بها لا يزال باقيا لا يفنى و سمعت أهل الطائف يقولون:

لفلان أصيلة أي أرض تليدة يعيش بها. و جاءوا بأصيلتهم أي بأجمعهم، و قد استأصلت هذه الشجرة أي نبتت و ثبت أصلها.

و استأصل الله شأفتهم قطع دابرهم.

و يقال: أصله علما يأصله أصلا بمعنى قتله علما، و هو إما من الأصل بمعنى أصاب أصله و حقيقته، و إما من الأصلة و هي حية قتالة فتبث على الإنسان فتهلكه و لقيته أصيلا و أصلا و أصيلا لا و أصلانا : أي عشيًا، و لقيته مؤصلا أي داخلا في الأصيل."

---

(1) مختار الصحاح للإمام، محمد بن أبي بكر الرازي، بيروت ص8 – ط مكتبة لبنان سنة 1986.

(2) للإمام الكبير جار الله أبي القاسم محمد بن عمر الزمخشري، ص المتوفى 538 هـ، تحقيق الأستاذ عبد الرحيم محمود، ط2، دار المعارف بيروت لبنان 1985، ص 8 .

و من الأصول السّماعية ما هو شاذ لا يقاس عليه مثل ما جاء في كلام العرب مكـــره أحـــاك لا بطل.(1)

و قول أبو ذؤيب(2) [الوافر] :

و ضـــربـــتـــه بـــيـــن أذنـــاه ضـــربـــة

فـــأردتـــه إلـــى هـــابـــي الـــتّراب عـــقـــيـــم.

فإذا تأملنا إلى المثل الآنف ذكره نجد أن كلمة " أحاك" منصوبة بالألف نيابة عن الفتحـــة لأنها من الأسماء الستة، و الأجدر أن ترفع على أساس أنها نائب فاعل لإسم المفعول؛ لأن اســـم المفعول مصاغ من الفعل المبني للمجهول فيليه في ترتيب الجملة الفعلية نائب الفاعل؛ لكن ههنـــا نرى السياق قد جرى على ألسنة العرب بالنصب.

أما المثال الثاني الذي ورد بالرفع على ألسنة العرب جرى مجرى مخالف لما ألفته الألسن.

و لكن الدارسين قد عللوا هذا الوضع بأنه لغة من لغات العرب، و يتنوا ذلـــك و أعطـــوا الحجة البالغة من آي الذكر الحكيم مثل قوله تعالى : ﴿ إِنَّ هَٰذَانِ لَسَاحِرَانِ ﴾ (3) فإسم الإشارة في الآية الكريمة جاء مرفوعا، و ذلك شأن القرآن العظيم و آياته المفصلة؛ إذ هو منبع اللغة العربيـــة و الأصل الأول، الفصيح الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه و لا من خلفه؛ إذ شحذ قرائح العرب و هذب أذواقهم.

---

(1) المكتبة الخضراء دار النشر و التوزيع – الجزائر ص 318.

(2) ينظر طبقات فحول الشعراء لابن سلام الجمعي ط مطبعة الميداني (د ت) ص 131.

(3) من سورة طه الآية 63.

و الحق أن القاعدة التي خالفت هذا النّسج الكلامي، إنما كان استنباط من كلام العـــرب المثور و المنظوم، و الرّعيل الأول الذي قـــنّن الكلام قد أخذ من البدو قبـــل أن تفســـد لغتهـــم باختلاط الأعاجم – و العرب ليسوا كلهم حجة بل هناك إخلال عند بعضهم قد استشرى فيمـــا بينهم حتى أنها نجد في القرآن ما يصوّب و يرشد المسلمين كي لا يقعوا في الخطأ و الكلام البدئ، ففي الآية الكريمة التالية في قوله جلّ و علا : ﴿ يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَ قُولُوا انْظُرْنَا وَاسْمَعُوا وَ لِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (1)

جاء في أسباب النزول للسيوطي في هذه الآية : ﴿وَ لَا تَقُولُوا رَاعِنَا﴾ " لأن خبثاء اليهود كانوا يستعملون هذا اللفظ (راعنا) و هم يضمرون السب و التنقيص، و كلمـــة انظرنـــا، أي انتظرنا حتى نتمكّن من حفظ ما نسمعه منك من الوحي.

و الحق أن الأصل الذي نـــتّبعه هو بيان معاني الكلمة لغة و اصطلاحا ففي ثنايا الكتـــب نكشف عن الأصل فهو الجوهر: أي حقيقة الشيء و أساس القاعدة و في هذا المضمار في كتـــاب الدكتور تمام حسان " إن ما جاء على أصله لا يسأل عن علته" (2)

---

(1) الآية رقم 104 من سورة البقرة.

(2) كتاب الأصول للدكتور تمام حسان ط دار النهضة المصرية العامة للكتاب سنة 1982 ص 68.

أي أن الأصل لا يمكن تغييره فهو الأساس الذي تنطلق منه القاعدة، و على أساسه تبنى و كما قال الدكتور تمام حسان في كتابه الأصول : " و الأصل الوضع، و الأصل القاعدة و لفروعها و الرد إليهما و هلم جرا " (1)

و من الواضح أن الأصول النحوية التي اعتمدها النحاة في هذا القرن تركزت على أصول سماعية، و قياسية و انطلاقا من هذين الأساسين بنى النحاه قواعدهم النحوية.

فالأصول النحوية هي التي تضمنت كلا من الشعر الجاهلي و الإسلامي إلى غاية ابن هرمة.

و القرآن الكريم حجة و هو أرقى المراتب و أسماها كما جاء في قوله تعالى : ﴿الرَّحْمَٰنُ عَلَّمَ الْقُرْآنَ خَلَقَ الْإِنسَانَ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾ فالآيات الأنفة هي أبلغ دليل على ما وصل إليه البيان، و البيان ههنا معناه ما يكشف به عن المعنى المقصود. (3)

أما ما جاء في الأمثال و الحكم و الخطابة و الشعر و التوقيعات ... إلخ - من كلام العرب فهو شاهد على قوة حجة و أبلغ دليل من مثل ما سنتبينه بإيجاز. فالشعر هو أحد الأصول التي ركز عليها النحاة و البلاغيون.

---

(1) الأصول تمام حسان ص 68، 69، 70.

(2) ينظر المرجع السابق.

(3) ينظر أسباب النزول ص 424.

فمن الشعر العربي الكلام المطرد بين الأمصار الذي و جد صيتا منقطع النظير مثل الحذف، و الإختصار و الإلتفات، و الإستثناء، و الفصل و الوصل و غير ذلك مثل ما جاء في قول الشاعر (1) [الوافر]

- يمشي بينا حانوت خمر *** من الخرس الصراصرة القطاط.

أراد صاحب حانوت الخمر - فأقام الحانوت مقامه و كذلك قول أبي ذؤيب في وصف الخمر.

توصّل بالركبان حينا و تؤلف ألـ *** جوار و يغشيها الأمان ربابها.

فاللفظ للخمر و المعنى للخمار أي يتوصّل الخمار بالركب ليسير معهم و يأمن بهم، و كذلك قوله [الرجز].

أتوها بربح حاولته فأصبحت *** تكفت قد حلت و ساغ شرابها. (2)

يريد أتوا صاحبها بربح فأقامها مقامه.

و أنشد الفراء

علفتها تبنا و ماء باردا *** حتى شتت همالة عيناها.

أي علفتها تبنا و سقيتها ماء باردا.

(1) ينظر القياس النحوي ص 170.

(2) طبقات فحول الشعراء ص 131.

و الأمثال العربية كلها حذف و اختصار

مثلُ قولهم : [أحشفا و سوء كيلة]

فالمراد به سوء المعاملة.

و الحكم كلها تنبئ بدقة وضع اللغة في أصل جد عال و نرى ذلك في خطب رسول الله – صلى الله عليه و سلم – و لنضرب ههنا مثلا لذلك قال رسول الله صلى الله عليه و سلم في إحدى خطبه : " أَيُّهَا النَّاسُ : إِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ يَئِسَ أَنْ يُعْبَدَ فِي أَرْضِكُمْ هَذِهِ، وَ لَكِنَّهُ رَضِيَ أَنْ يُطَاعَ فِيمَا سِوَى ذَلِكَ مِمَّا تَحْقِرُونَ مِنْ أَعْمَالِكُمْ..." (1)

فالإختصار في هذا الجزء من الخطبة ظاهر و بين حيث أنه عليه السلام قد حذف فضول الكلام.

و من هذا القبيل نجد توقيعا لعمر بن عبد العزيز حيث يقول: " اعتدلوا أو اعتزلوا" و قد بعث هذا لولاته، فكان زاجرا للطغاة، و منبها للوعاة.

(1) الترغيب و الترهيب من حجة الوداع ض الخانجي مصر ط 1965، ص 310.

و من الثابت أن كلام العرب المطرد بين الأمصار ليس من الضروري أن يكون قاعدة، و قد تكون القاعدة مخالفة لما استنبطه العلماء كما أسلفنا.

و لذا نجد الدارسين قد قاموا بوضع قواعد نحوية مكملة لما جاء في كلام العرب (1) و للسماع لدى الدارسين مناح منها الشاذ و المطرد فالشاذ لا يقاس عليه، و أما المطرد فيعلل و يتبع قياسه، و هو الأصل، لأنه وجد على حالته الأولى، ومنه يؤخذ الفرع.

و من الثابت أن السماع مستخلص من اللغة العربية الفصحى و اللهجات المختلفة، فالفصحى، لا تخضع لقبيلة دون أخرى بل هي ما انتقي من جميع القبائل كما جاء في آي الذكر الحكيم، و إن كان انتقاؤه من لغة قريش أكثر من غيرها.

و القرآن العظيم نزل على سبعة أحرف و تعددت قراءته، و كلها مروي بالسند الصحيح عن النبي – صلى الله عليه وسلم.

و لقد روي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم – أن أعربيا قال له:

و هذا دلالة على أن الرسول الكريم كان يدرك أن للعرب لهجات، و كان يتكلم مع كل حسب لغته.

(1) الأصول لتمام حسان طبعة دار الهيئة المصرية العامة للمكتبات سنة 1983، ص 161، و منهج البحث في اللغة للمؤلف نفسه.

و أما الأصول القياسية هي الضوابط التي تجعل القاعدة طبيعة للنظام الذي يدرس فيه أطار النحو دون خروج عن المسلك الذي يؤدي المعنى بألطف عبارة كأن يقدم أو يؤخر الفاعل أو المسند و المستند إليه.

فالقاعدة النحوية ماهي إلا منحنى يتبع، و يؤسس طريقا للمتكلم و يسهل له طريقة يوضع الكلم في إطاره، و تأدية المعنى المراد.

و حين نجعل القاعدة المستنبطة من النصوص الأصلية كالقرآن العظيم، نجد حالات خاصة توضح لها قواعد للمتكلم، حتى يتسنى له مأخذ ذلك، كقوله تعالى: ﴿ إن هذان لساحران﴾ فالقاعدة و المعتاد المطرد لدى أغلب العرب ينصبون كلمة " هذان" بالياء عوض رفعها بالألف، فكان أجدر بالنحاة أن يتتبعوا كلام العرب ليعللوا ذلك، و بما أن هذه الدراسات تؤدي بهم إلى البحث في طيات كتب البلاغيين الذين تحروا كلام العرب بإضافة و كانت دراسات شاملة مجدية.(1)

(1) ينظر السابق ص 164.

أما الفرع في اللغة فقد جاء في أساس البلاغة (1)

الفرع ينبت حوله الغصن، و تقول بنو هاشم ولدهم أشرف و فروع الدومة أورف. و من المجاز فلان فرع قومه، أي شريفهم و هو من فروعهم، قال الأعشى من| الطويل |

كلا أبويكم كان فرعا دعامة **** و لكنهم زادوا و أصبحت ناقصا.

و فرع فرع أذنه و نزلوا الوادي أي أعلاه و أجلست فرع فلان أي قومه، و امرأة طويلة الفروع و هي الشعر، و لها فرع تطوه،... و هي ذات الفرع. و منه فرع رأسه بالسليف... و جبل فارع أي مرتفع، و فرعت الجبل و فيه و تفرعت صعدت، و كما قال عبد الله بن عتبة : | من المتقارب |

كأني غداة الصّمد لمّا دعوته **** تفرعت حصنا لا يرام ممتدّا

و أفرعت في الوادي و فرعت أي انحدرت.

و سمع أعرابي يقول لقيت فلانا فارعا مفرعا أي صاعدا ... و فرع قومه، و تفريعهم، علاهم شرفا و تفرعت في بني فلان تزوجت سيديهم.

و أن فرعة من فراع من النهار الجبل فأنزلها و هي ذروته.

و أتيته في فرعة من النهار و هي الصدر و هو مفرع أنهكار المعاني، و هو حسن التفريع للسائل و فرع بين المتخاصمين، و فرع إذا فرع بينهما.

---

(1) كتاب أساس البلاغة للإمام جار الله أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري ت 528، تحقيق الأستاذ عبد الرحيم محمود دار المعرفة (دت)، ص340.

و من التعريف اللغوي الذي سبق نجد أنه يرتبط في بعض المعاني في قوله [و مفرع أبكار المعاني] و في قوله التفرع للسائل، و ذلك ما نوظفه في علم العربية من قواعد نحيوة و صرفية.

ككلامنا في الإعراب و البناء، فالأصل في الأفعال البناء، و الفرع فيها الإعراب و الأصل في الأسماء الإعراب و الفرع فيها البناء. و سنصل كل فرع في فصله، و من خلال ذلك نخلص إلى التعريف الإصطلاحي عند النحاة و البلاغيين.

الفرع في الإصطلاح: هو ما خرج عن المعتاد الذي ألفه العرب الأول الذين استنبطوا القواعد.

فمنهم من قال : ﴿ يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ ﴾. (1)

فالفعل المضارع يثبت – معرب لأنه شابه الأسماء و قد أطلق عليه مضارع لمضارعته الأسماء فخرج عن أصل الأفعال التي تستحق البناء.

فكان فرعا، و أذهب إلى ماذكره الخليل و سيبويه (2)

(1) كتاب القياس في النحو للدكتورة منى الياس، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر ط 1985 ، ص 33.

(2) من سورة إبراهيم الآية 86 برواية ورش.

و الحق أن كلا من الأصل و الفرع يؤديان إلى التفكير في معرفة كل من الثابت و المتغير حتى نكون على بصيرة من أمرنا.

ت

فلان ثابت القدم من رجال ثبت و رجل ثبت الجنان و ثبت القدر إذا لم يزل في الخصام و قال: فارس ثبت.

قال الشماخ | الخفيف|

ذبت إذا ما صيح بالقوم و فرع.

و رجل ثبت عاقل و متماسك و قيل هو قليل السقط في جميع فصاله، و قد ثبت ثباته، و فلان ثبت عند الحملة أو ثبات: قال الشاعر | البسيط |

و عندهم مصادق من وقائها **** فما لهم لدى حملاتنا ثبت.

و هو ثبت من الأثبات إذا كان حجة لتقته في روايته، ووجدت فلانا من الثقات، و الأعلام الأثبات، و ثبت في الأمور مثبت و ثبت الشيء و ضرب الوتر في الحائط ثابتة فيه.

و من المجاز ثبتوه أي حبسوه، و ضربوه حتى أثبتوه أي أخبوه، و أثيقة السقيم إذا لم يقدر على الحراك، و نظرت إليه فما أثبته ببصري و أثبت اسمه في الديوان: أي كتبه و أثبت الله أيدك " دعاء لدوام الأمر" (1)

(1) من كتاب أساس البلاغة ص42.

و الثابت هو أساس اللغة و عمادها؛ إذ هو بيان معالمها التي يسير عليها الدارسون عبر الحقب المتتالية و أمثلة ذلك قوله تعالى: ﴿ وَ لَقَدْ أَرْسَلْنا إِلى ثَمُودَ أَخاهُمْ صالِحاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ فَإِذا هُمْ فَرِيقانِ يَخْتَصِمُونَ﴾ (1) فكلمة يختصمون جاءت في صيغة الجمع لا في صيغة المثنى فإن ههنا دلالة واضحة على تعيين الكم العددي الذي يجمع الفريقين، أو الإلتفات إلى الجمع، و هذا باب في اللغة العربية له مأخذ لطيف و واسع منثور في كتب العربية ففي تفسير الآية الكريمة نجد في كتاب الكشاف (2) أن كلمة يختصون، أي كل فريق الحق معي، فذلك النسق الذي جعله الله حصنا حصينا للغة العربية و كتب لها الخلود.

أما ما نجده في الحديث الشريف ما ثبت عنه أنه قال :

مؤمن و لا يسرقها و هو مؤمن فحذفت كلمة الخمر، و القصد من الحديث في الشطر الثاني هو أنه لا يشرب الخمر حين يشربها و هو مؤمن.

(1) من سورة النمل رقم الآية45.

(2)تفسير الكشاف للإمام الزمخشري تحقيق و تعليق محمد مرسي عامر، ج4، ص 189، ط دار المصحف - (د.ت).

و أما الشعر فنجد الكثير منه يدل دلالة على أن العرب قد أثبتوا الدليل القاطع الذي يؤكد مـــا قلناه فقول أبي ذؤيب الثولبي من بحر [الوافر]

ضربته بين أذناه ضربة **** فأردته إلى هابي التراب عقيم.(1)

و كما هو واضح أن الشعر في الأزمنة المتعاقبة كان يمثل الحادي و المنارة التي يشعها العلماء في تعليل و إبانة، وكشف المعاني، و في هذا المضار يقول الرسول الكريـــم - صلـــى الله عليـــه و سلم - : " إن من الشعر لحكمة و إن من البيان لسحرا" أنه صلى الله عليه و سلم كان يدرك ما للمنظوم من أسس لغوية التي عليها تبنى، وكيف و هو القائل حين سمع أحدا يخطئ في حضرته فقال : " أرشدوا أخاكم فإنه قد ضل".

فالشعر كان من الثوابت التي جعلت اللغة في أسمى المراقب، حتى صار العلماء يحتجون به، و لا تجد علما من العلوم يخلو من المنظوم لما له من أثر على النفس، و لنضرب أمثلة على ذلـــك، فقد وضعوا أراجيز تسهل العلم المراد تدريسه، كالمسائل الرياضية كما أورد لنا الجاحظ المرأة التي قالت من [الرجز]

يـــالـــيت الحـــمـــام ليـــه **** و نـــصـــفه قـــديـــه.
زائـــــد حـــمـــامـــيـــة **** يـــســـاوى الـــمائة.

(1) كتاب الشعر و الشعراء ص13، طبعة ليدن المحروسه (د.ت).

* الإســـــم :

أ- يرفع الإسم المتحدث عنه و الخبر المتعلق به و يسميه البلاغيون المسند و المسند إليه أو المحكـــوم و المحكوم عليه.

مثل قوله تعالى : ﴿ الرَّحْمَٰنُ عَلَّمَ الْقُرْآنَ﴾ (1)

فـــالـــرحـــمن: مبتدأ و الجملة الفعلية علم خبر و للتمثيل على هذه الصورة كثير ما لانهاية.

ب - و يـــجـــر الإســـم بـــالإضـــافة أو التبعية أو بـــحرف الـــجر و خير أمثلة على ذلـــك البسملة : " **بـــســـم الله الـــرَّحـــمـــان الـــرَّحـــيـــم**" فاسم من البسملة مجرور بالياء حرف الجر، و الله لفظ الجلالة مجرور بالإضافة، و الرحمان، بالإضافة و الرحيم بالتبعية، فهو صفة.(2)

و ينصب في ماعدا ذلك إذا كان مكتملا للخبر.

أما الفعل يرفع إذا أريد به تقرير حدث بعينه، و تكون طبعا في الفعل المضارع مثل قولنا.

يقاوم المجاهد أعداء الله.

و كقوله تعالى : ﴿ يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ. ﴾ (3)

أ- فالفعل يرفع أريد به : رفع شأنهم في الدارين.

ب - و ينصب على الغائبة كأن يكون غرضا أو نتيجة لحدث سابق أو أن يكون نفيا لحـــدث في المستقبل و بعد حرف نصب.

- مثل قوله تعالى : ﴿ الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم ملك يوم الدين إياك نعبد و إياك نستعين﴾. (4)

جـــ - و يجزم الفعل إذا دل على حدث ناقص كأن يكون نفيا أو دل على حدث معلق و قوعـــه و هذا هو الشرط، و لقد أوجزنا حتى نفصل ذلك في الفصل الثاني.

---

(1) من سورة الرحمان الآية رقم 1.

(2) ينظر المحيط في اللغة، أصواتها و نحوها، طبعة دار الكتب اللبنانية .

(3) من سورة الإسراء الآية 17.

(4) من سورة الفاتحة الآية 1 .

أما ما جاء في ثنايا الكتب التي تدرس اللغة العربية و قواعدها إصطلاحا.

فالثابت هو ما ثبت ووثق به في علم اللغة و أخذ مما اعتادت عليه العرب ثم دون في بطون الكتب و إن خالف قواعدهم، وذلك منثور في الأصول العربية التي كانت منبع استشهاد، كالقرآن الكريم، و الشعر و الخطابة، و الحكم، و الأمثال... إلخ من فنون القول.

و الواضح أن الثابت ما ورد عن العرب فأخذ على حالة و لم يتغير، و هذا يؤدي بنا إلى القول بأنه هو ما جرى على ألسنة العرب، فكانت ملكة سجية.

و قد رسخت في أذهانهم جيلا بعد جيل، و تبين ذلك فيما أورده الجاحظ من آراء تخص كلام العرب في كتبه، البيان و التبيين من ذلك قوله: " و إن وجدتم في هذا الكتاب لحنا أو كلاما غير معرب ، أو لفظا معلولا عن جهته فاعلموا أن إننا تركنا ذلك لأن الإعراب يبعض هذا الباب و يخرجه من حده إلا أن أحكي كلاما و أسماء العلماء".

و من المتغير ما كان مسموعا و تضاربت فيه الآراء و لم يتفق عليه، و لم يعللوا له أصلا، بل جرى على ألسنة بعضهمن و إن كان ذلك مستحسنا من غيرهم، و الناس فيه متباينة أراءهم.

و الحق أن هذا الدرس يجعل طبقة من الدارسين لا يبرحون عن البحث و التثبيت فيه بل هو قائم مادام الدرس النحوي، إذ هو الذي يترك الطريق المفتوح للبحث، و هذا ما يسمى بالتطور اللغوي فإذا سدت أبواب البحث جمدت اللغة، و إندثرت، و لما للغة العربية من السعات كان لها ذلك، و المتغير عة عنصر أساسي في البحوث العلمية و أساسه، و لنضرب مثلا على ذلك في التقديم و التأخير، لقوله تعالى: ﴿ إنما يخشى الله من عباده العلماء﴾ فعلة التأخير عندهم الحصر.

و أما المتغير هو ما لم يثبت على حال إذ يستطيع الدارس أن يستلهم ضابطا آخر يمكنه من إبانة و تجلية ما كان غير واضح، و يكون ذلك بالقرائن اللغوية التي تسلكها، وذلك في فترة معينة.

و لنتحقق من القواعد التي وضعت في شأن الأصول النحوية عند البلاغيين في ذلك الزمان لـــمعطياتها و تطبيقاتها.

و الحق لا يمكننا حصر ذلك عنـــد جميـــع الدارســـين بـــل ســـنقتصر علـــى أشـــهرها و أبرزها.

و من أبلغ ماجيء في هذه الأصول النحوية ما أخـــــذه المـــبرد في كتابـــه الكـــامل (1) و الأخفش (2) في كتابه معاني القرآن، و الجاحظ في كتابه البيان و التبيين (3) وابن قتيبة (4) في كتابه عيون الأخبار.

و كثير من الدارسين يضعون، حججهم من الدرس النحوي القديم، لأنه البناء المتين، حيث انطلق من أسس كفيلة بالإعتماد، وحسن التدبر.

أما ما نتحدث عنه من متغير فهو الحكمة البالغة التي أعطت للتّدرس النحوي سبله كمـــا تقدم و أن ذكرت.

و العلل التي ترد لأجلاء الحجة و شق المسالك في أي باب من الأبواب هي تلك التي تضع بيانا لتسيير القاعدة، ودرس موضوعاتها.

---

(1) كتاب في الأدب و اللغة هو أحد أركان فنون الأدب الأربعة (الكامل للمبرد و أدب الكاتب لابن قتيبة و كتاب البيـــان و التبيين للجاحظ و كتاب النوادر لأبي علي القالي. كم جاء في مقدمة ابن خلدون.

(2) الأخفش سعيد بن مسعدة النحوي.

النحو

قال ابن هشام (1):

" أما بعد حمدا لله على أفضاله و الصّلاة و السّلام على سيدنا محمّد و على آله فإنّ أوّل ما تقترحه القرائح و أعلى ما تجنح إلى تحصيله الجوانح ما تيسر به فهم كتاب الله المنزّل و يتضح به حديث نبيّه المرسل. فإنها الوسيلة إلى السعادة الأبديّة و الذّريعة إلى تحصيل المصالح الدّينية و الدّنيوية. و أصل ذلك علم الإعراب الهادي إلى صوب الصّواب." (2)

و على ذلك ركز ابن خلدون (3) في مقدمته حيث أشار إلى أنّ أركان اللسان العربي أربعة هي : اللغة و النحو و البيان و الأدب. و هذه الأركان عنده ضرورية لأهل الشريعة إذ مأخذ الأحكام الشرعية كلّها من الكتاب و السنّة و هي بلسان العرب.

تعريفه لغة :

ورد في معجم الصحاح تاج اللغة و صحاح العربية (4) في مادة | نحا|: " النحو : القصد، و الطريق يقال: نحوت نحوك أي قصدت قصدك و نحوت بصري إليه، أي صرفت، و أنحيت بصري عنه، أي عدلته.

---

(1) هو جمال الدين أبو عبد الله بن يوسف بن هشام الأنصاري، و لد بالقاهرة سنة 708 هـ و توفي سنة 761 هـ، من مقدمة أوضح المسالك إلى ألفية بن مالك، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، بيروت، لبنان دار الفكر، ط6، ج1، 1974، ص6.

(2) مقدمة مغني اللبيب، تأليف بن هشام، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، مصورة بدون رقم، دمشق سوريا.

(3) هو عبد الرحمان بن محمد بن الحسن بن محمد بن جابر بن محمد بن ابراهيم بن عبد الرحمان بن خلدون من عرب اليمن، من كتاب التعريف بابن خلدون تأليف عبد الرحمان بن خلدون، نشر دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان ، ط 1979. ص 3.

(4) تأليف اسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، سنة 1984، ط 3، ج6 ص 2503.

و قول الشاعر | من الطويل | (1):

و نحاه للحد زبرقان و حارث **** و في الأرض للأقوام أم بعدك غول.

أي صيّرا هذا الميّت في ناحيّة القبر، و أنحى في سيره، أي إعتمد على الجانب الأيسر، و الإنتحاء مثله هذا هو الأصل، ثم صار الإنتحاء، و الميل في كلّ جهة، وانتحيت لفلان أي عرضت، و نحيته عن موضعه تنحية فتنحّى". (2) و قال النابغ الجعدي | من الوافر |:

أمرّ و نحيّ عن زورة **** كتنحية القتب المجلب.

كما ورد في لسان العرب لإبن منظور الإفريقي المتوفى سنة 711 هـ في المادة نفسها أن أعرابي قال: " إنّكم لتنظرون في نحو كثيرة" أي في ضروب من النّحو، شبّهها بعتوّ و الوجه في مثل هذه الواوات إذ جاءت في جمع ثديّ و عصيّ و حقيّ." (3)

فالنحو إذا مصدر الفعل الثلاثي الناقص الواو نحا ينحو الشيء بمعنى قصده و نهج نهجه، و منه نحا ينحو نحو فلان أي اقتفى أثره و النحو جمعه أنحاء، و نحو هو الجانب، و الجهة و الطريق و المثل، و المقدار و القصد.

و يكون النحو ظرفا واسما و تصغيره نحية، و النحوي جمعه نحويون أو نحاة، هو العالم بالنحو أي بعلم إعراب كلام العرب.

وجاء في أساس البلاغة أيضا النحو في مادة | ن ح و| " هو على أنحاء شتى: لا يثبت على نحو واحد، و نحوت نحوه و عنده نحو من مائة رجل.

و إنكم لتنظرون في نحو كثيرة، و فلان نحوي من النحاة، و انتحاه قصده، و انتهى لقرنه: عرض له.

---

(1) ينظر لطريف العباسي كما ورد في لسان العرب.

(2) المصدر السابق من الصفحة نفسها.

(3) ينظر: لسان العرب، تحقيق علي شيري، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، سنة 1988، ط1، ص 76.

و انتحى على شقه الأيسر: اعتمد عليه، و انتحى على سيفه، قال متمم : | من الطويل|:

و هوّن وجدّي بعدما كدت أنتحي **** على السّيف حتّى يخرج الجوف

و الحشا و نحاه عن مكانه تنحية فتنحى عنه، و تنحي عني، و نحى الدمع عن خدك و ناحيته مناحاة: صرت نحوه و صار نحوي، و أنحى عليه بالسوط و السيف، و من المجاز هو نحية القوارع أي تنتحيه الشدائد، و نحن نحايا الأحزان.

قال البعيث: | من الطويل|:

نحية أحزان جرت من جفونه **** نفاضد مع مثل ما دمع الوشل.

و أنحنى عليه باللوائم إذا أقبل عليه، و أنا في ناحية فلان، و ضربه بناحية سوطه، و أتاه من ناحية الكرم فوجده كريما و من أي النواحي أتيته وجدته مرضيا." (1)

و قد جمع الإمام الداودي معاني النحو في اللغة العربية فقال" | من البسيط |

للنحو سبع معان قد أتت لغة **** جمعتها ضمن بيت مفرد كملا.

قصد و مثل، و مقدار و ناحية **** نوع و بعض، و حرف فاحفظ المثلا (2)

هذا ما توصل إليه العلماء القدامى في معنى النحو لغة.

(1) ينظر إلى أساس البلاغة أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري (ت 538 هـ)، تحقيق الأستاذ عبد الرحيم محمود، ط د.ت، بيروت، لبنان، ص 450.

(2) المصطلح النحوي نشأته و تطوره حتى أواخر القرن 2 هـ، لعوض أحمد، ديوان المطبوعات الجامعية، 1983.

تعريفه إصطلاحا :

لقد عرف النحو بعض المتأخرين مثل أبي حيان التوحيدي المتوفى سنة 400 هـ بقوله : " النحو علم موصل بمقاييس كلام العرب المعرفة بأحكام و أجزاء إئتلف منها ، والكلام لفظ مركب ومفيد بالوضع وأجزاءه اسم وفعل وحرف ، و الإسم لفظ يفهم منه وحده معنى غير متعرض ببنية لزمان ، و الفعل كالإسم إلا في عدم التعرض و الحرف لفظ ".

و من تعاريف النحو الإصطلاحية عند العلماء الأوائل أن أبا الأسود الدؤلي (1) قال لعلي بن أبي طالب ، كرم الله وجهه لما ألقى إليه شيئا في أصول النحو :" و استأذنه أن أضع ما صنع، فسمى ذلك نحوا. و قد اختلف الناس في السبب الذي دعا أبا الأسود إلى ما رسمه من النحو، فقال أبو عبيدة : أخذ النحو عن علي بن أبي طالب أبو الأسود الدؤلي "(2)

و جاء في الأخبار أن عليا كرم الله وجهه قال : تعلموا النحو فإن بني اسرائيل كفروا بحرف واحد كان في الإنجيل الكريم مسطورا و هو :" أنا ولّدت عيسى " (3) بتشديد اللام فخففوه فكفروا ، و ماورد على الحث في تعلم النحو ، و في سر فضله و جلاله، و جلالة صناعته، وذلك جلي في الكتب و المتون و التي تنبئ بما فيه من عمق .

إذ بمعرفته يعقل عن الله عز وجل كتابه و ما استوعاه من حكمته،و استودعه من آياته المحكمة، وحججه المنيرة، و قرآنه الواضح (4) .

---

(1) – ينظر كتاب تقريب المقرب للسيوطي ،تحقيق عبد الرحمن عفيف،بيروت،لبنان،ط1،سنة1981،ص41 .

(2) الفهرست لابن النديم ، ص190 .

(3)ينظر الإعريض في نصرة القريض تأليف "المظفر بن الفضل العلوي " تحقيق د.نهى عارف الحسن مطبعة طربين –ط–سنة 1976 ،ص14–15.

(4) ينظر لكتاب النحو العربي دراسة نصية ،تأليف الدكتور صابر أبو السعود ،دار الثقافة للنشر و التوزيع، القاهرة ،مصر، سنة 1987،ص47–51 .

و النحو كما سلف ذكره علم قائم بذاته فلا يصل إلى منتهاه أي دارس، بل سيشـــقى إن تتبع دقائقه، و لقد أعجبت بقول أعرابي(1) حين كان مارا فوقف على مجلس الأخفش (2) فسمع كلام أهله في النحو و ما يدخل معه، فحار وعجب، وأطرق و وسوس ، فقال له الأخفش :مـــا تسمع يا أخا العرب ؟ قال:" أراكم تتكلمون بكلامنا بما ليس من كلامنا " .

إن هذا الذي أوردته من كلام السلف دال على ماكان من وضع النحو في تلك الحقبة،و مـــا حققه العلماء الدارسون لعلم النحو الموضوع لتحقيق الغرض الأسمى ألا وهو حفظه ألسنة النـــاس من اللحن، و تقويمها من الخطاء، وذلك ظاهر في معانيه التي أتى بها النحاة الأوائل .

وقال أبو سعيد رضي الله عنه :"و يقال أن السبب في ذلك أيضا أنه مر بأبي الأســـود سعد، و كان فارسيا من أهل نوبندجان،كان قدم البصرة مع جماعة أهله فدنوا من قداحـــة إبـــن مظعون ...قال:يا أبا سعيد لم لا تركب ؟ قال: "إن فرسي ظالع " أراد "ضالعا "فضحك به مـــن حضره .فقال أبوالأسود :هؤلاء الموالي رغبوا في الإسلام و دخلوا فيه فصاروا لنا إخوة، فلو علمنا لهم الكلام فوضع باب الفاعل و المفعول به " (3)

وقد أورد ابن جني (4)في كتابه الخصائص "هو انتحاء سمت كلام العرب في تصرفه مـــن اعراب وغيره، كالتثنية والجمع،و التحقير،و التكسير، و إضافة و النسب،و التراكيب، وغير ذلك، ليلحق من ليس من أهل العربية .

---

(1) أعرابي غير مذكور اسمه في الأخبار، ورد ذلك في الإمتاع و المؤانسة لأبي حيان التوحيدي ط، بيروت، لسان ،ص139 .

(2) المصدر السابق،ص190 -192

(3) هو عثمان بن جني :أبو الفتح النحوي ولد قبل الثلاثين و ثلاثمائة و توفي ليلة الجمعة من صفر سنة 392هـ مـــن كتـــاب الفهرست ص 396 .

(4) الخصائص ،ج1،ص34 .

بأهلها في الفصاحة، فينطلق بها، و إن لم يكن منهم و إن شذّ بعضهم عنها رد به إليها وهـــو في الأصل مصدر شائع، أي نحوت نحوا، كقولك قصدتك قصدا، ثم خص به إنتحاء هذا القبيل مـــن العلم كما أن الفقه في الأصل مصدر فقهت شيئ أي عرفته، ثم خص به علم الشريعة من التحليل أو التحريم و كما أن بيت الله خص به الكعبة، و إن كانت البيوت كلها لله،و له نظائر في قصـــر ما كان شائعا في جنسه على أحد أنواعه،و قد استعمله العرب ظرفا وأصله المصدر " (1)

و ما جاء في أخبار علماء اللغة و النحو أن أعرابيا قال | من البسيط |:

ما زال أخذهم في النحو يعجبني **** حتى سمعت كلام الزّنج و الرّوم (2).

ومما قال أيضا من | المقارب| :

1. تفكرت في النحو حتّى مللت **** واتبعت روحي له و البدن.
2. واتبعت بكرا وأشياعه (3) **** بطول المسائل من كل فن.
3. فمن علمه ظاهرٌ بيّن **** و من علمه غامضٌ قدبطن
4. فكنت بظاهره عالما **** و كنت بباطنه ذا فطن.
5. سوى باب عليه العفا **** للفاء ياليته لم يكن.
6. و للواو باب إلى جنبه **** من المقت أحسبه قد لعن
7. إذ قلت هاتوا بم قيل ذا (4) **** فلست بأتيك أو تأتين.

(1) الإمتاع و المؤانسة ج3 ص 139 و ذيل الأمالي اسماعيل بن القاسم القالي ص 186.

(2) ذيل الأمالي ص 186.

(3) أي أصحابه.

(4) وردت في ذيل الأمالي كلما أما (لما) بألف مشتة فأظنها تصحيف لأن الإستفهامية إذا سبقت حرف جر تحذف ألفها.

8. بـــمـــا نصبوه أبينوه لي **** فقالوا جميعا بإضمار أن

9. و ما إن رأيت لها موضعا **** فاعرف ما قيل إلا بظن

10. فخفت يابكر(1) من طول ما **** أفكر في أمر أن أجن

و من تعاريف النحو قول السكاكي :"و النحو هو معرفة كيفيّة التركيب فيما بين الكلـــم لتأدية أصل المعنى مطلقا بمقاييس مستنبطة من استقراء كلام العرب و قوانين مبنية عليها ليحـــترز بها عن الخطاء في الترتيب من حيث الكيفية".

و يجدر بنا أن نقول: إن الحرص على النحو هو حفظ الألسنة من اللحن و تقويمها كـــان و مازال دائما ضرورة حتمية و حاجة ملحة لحماية اللغة العربية من الفساد و إن كـــان القـــرآن الكريم هو خير حافظ لها. و في الذكر الحكيم ألوان التعبير ما يشحد قرائح العرب مـــن حيـــث الرصف و النسج المحكم الذي لا يأتي الباطل من بين يديه و لا من خلفه كمـــا جـــاء في قولـــه تعالى : ﴿ لا يأتيه الباطل من بين يديه و لا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ﴾. (2)

فعلم النحو العربي ما كان ليبرز إلا بفضل العلماء النحارير الذين جعلوا اللغة العربية هـــي الطريق الأول لفهم مختلف العلوم. و كان همّهم حفظ اللغة العربية من اللحن لا من الضياع، لأن الله قد حفظها من ذلك بحكم تنزيله و القرآن خير دليل و أبلغ كلام على صيانة اللغة العربية لقوله تعالى: ﴿ إنا أنزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون ﴾.(3)

---

(1) هو أبو سليمان يحي ابن يعمر ورد ذلك في كتاب شرح أبيات سيبويه السيرافي، و في المزهر للسيوطي في ذكر أئمة اللغة ط. المكتبة العصرية 1987 شرح و تعليق جاد المولى بك، و محمد أبو الفضل ابراهيم و محمد علي البجاوي، فضل أئمة اللغـــة ج1، ص1.

(2) سورة فصلت الآية رقم 115.

(3) سور طه الآية رقم 115.

ومما أثر من كلام(1) أبي سليماني في خصوص النحو العربي المستنبط من كلام العرب لتقنين و تحديد المنهاج الذي يسير عليه العربي في كلامه دون زيغ حتى يفصح و يبين أنه قال : " نحو العرب فطرة، و نحونا فطنة، فلو كان إلى الكلام سبيل لكانت فطرتهم لنا مع فطنتنا أو كانت فطنتنا مع فطرتهم".

و من الكلام الذي قيل في وصف النحو ردا على نقد النحاة انشاد أعرابي من البسيط:

1. ماذا لقيت من المستعربين ومن **** تأسيس نحوهم هذا الذي ابتدعوا
2. إن قلت قافية فيه يكون لها **** معنى يخالف ما قاسوا و ما وضعوا
3. قالوا لحنت و الحرف منخفض **** و ذاك نصب و هذا ليس يرتفع
4. و حرشوا بين عبد الله (3) واجتهدوا **** وبين زيد وطال الضرب و الوجع
5. إني نشأت بأرض لا تشبّ بها **** نار المجوس ولا تبنى بها البيع
6. و لا يطأ القرد و الخنزير ساحتها **** بها الهيق و السيدان و الصدع
7. ما كل قولي معروف لكم فخذوا **** ما تعرفون و ما لا تعرفوا فدعوا
8. كم بين قوم قد احتالوا لمنطقهم **** و آخرين على إعرابهم طبعوا
9. و بين قوم رأوا شيئا معاينة **** و بين قوم رووا بعد الذي سمعوا (4)

---

(1) ينظر إلى مؤلفات القرن الثالث و الخامس هـ.

(2) ينظر كتاب الإمتاع و المؤانسة ص 139-140.

(3) هو عبد الله ابن أبي اسحاق الحضرمي النحوي المتوفي سنة 117 هـ كانت له عدة معارضات مع الفرزدق في قضايا لغوية.

(4) ينظر كتاب الإمتاع و المؤانسة، ج2، ص140.

سبب نشوئه

حسب القدامى :

و من الدواعي التي جعلت الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم يحرصون على العربية الفصيحة التي جاء بها القرآن أنّ بعض الأعراب كانوا يلحنون في قراءة القرآن . روي أن أعرابيا طلب من أحد أن يقرئه شيئا من القرآن فأقرأه رجل من سورة براءة فلحن في قوله تعالى : ﴿وأذان من الله و رسوله، إلى الناس يوم الحج الأكبر أن الله برئ من المشركين و رسوله، فإن تبتم فهو خير لكم﴾(1)، لأنّه قرأها بكسر اللام في "رسوله" قال الأعرابي :" أو قد برئ الله من رسوله ؟إن يكن الله قد برئ من رسوله فأنا أبرأ منه " فلما بلغت هذه الحادثة عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : " ليس هكذا يا أعرابي " فقال الأعرابي :" كيف هي يا أمير المؤمنين ؟" فقال عمر : " أن الله برئ من المشركين و رسوله " (2)بالرفع، فقال الأعرابي : " وأنا و الله أبرأ ممن برئ الله و رسوله منهم ". و بعد هذا أمر الخليفة عمر ألا يقرأ القرآن إلا عالم باللغة.

و لعل انتشار اللحن هو الذي جعل عمر بن الخطاب يقول :" تعلموا العربية فإنها تثبت العقل و تزيد من المروءة ".

و كان يحرص حرصا شديدا على اللغة اللعربية حتى وصل به ذلك إلى ضرب أبنائه على اللحن و لا يضربهم على الخطأ .

---

(1)سورة التوبة ،الآية رقم 2 .

(2)إرشاد الأريب لابن الأنباري أبو البركات عبد الرحمن ،دار المأمون ، الكويت ،ط 1975 ج1 ، ص77 -78 .

فحين يذكر النحو العربي عند أي باحث أو دارس يتعلق فكره بالكتاب الذي حافظ على اللغة العربية من صدر الإسلام إلى أن يرث الله الأرض و من عليها، و قد حرص الرسول الأكـــرم نفسه على العربية و حذّر الناس من الوقوع في اللحن و فساد اللسان المضر بها لقوله :" رحم الله امرأ أصلح من لسانه ".(1)

و خير ما نستخلص به حديثنا عن سبب نشـــأة النحـــو قـــول الـــيزيدي في الكســـائي و أصحابه :

كنا نقيس النحو في ما مضى **** على لسان العرب الأول
فجاءنا قوم يقيـــسونـــه **** على لغى أشياخ قطربل
فكلهم يعمل في نقص ما **** به يصاب الحق لا يأتل
إن الكـــسائي و أشياعه **** يرقون في النحو إلى أسفل (2)

فهذا يدل دلالة واضحة على أن العلماء الأوائل كانوا ذوي اهتمام بالغ و تنافس حـــاد في الإعراب، بدخول الأعاجم في دين الله و ظهر اللحن الذي لم تسلم منه حتى ألسنة العرب .

قال الخليل بن أحمد : أنشدني أعرابي من الطويل

و إن كلابا هذه عشر أبطن **** و أنت برئ من قبائله العشر

فجعلت أعجب من قوله عشر أبطن حين أنث لأنه عني القبيلة "(3)

و أخيرا نورد في شأن النحو ما قاله أحد العلماء (4) شعرا من (البسيط):

حفظ اللغات علينا **** فرض كحفظ الصلاة .

(1)ينظر محاضرات في فقه اللغة، ص 41،و كتاب الأضداد ص 244

(2) ينظر تهذيب اللغة للأزهري أبو منصور محمد.

(3)ينظر عيون الأخبار، مج 2 ،ج5 ، ص 158 .

و مع مرور الزمن أخذ الفساد يدبّ إلى ألسنة الناس فخاف العلماء الأوائل من أن يمس هذا الفساد القرآن الكريم أثناء تلاوته، و فهم معانيه، و كان حرصهم شديدا على سلامة القرآن من أي لحن لاقتراب سلامة الأحكام الدينية من عبادات و معاملات به، فضرورة المحافظة على الذكر الحكيم قراءة و فهما هي التي قادت علماء اللغة إلى وضع النحو." (1)

و الحق أن بقية العلوم الأخرى من تفسير، و تأويل، و قراءات، و بلاغة نشأت كلها بفضل القرآن و لخدمته، و هكذا يظهر أن العامل الديني كان السبب الرئيسي في ظهور الحركة العلمية و ازدهارها في القرون الهجرية الأولى و ما النحو إلا ثمرة من هذه الثمرات التي أينعت بفضل مجهودات كثير من العلماء الذين أرادوا خدمة معجزة الإسلام الكبرى و سهروا على المحافظة عليها و إن كان الله عزوجل وعد بحفظها في قوله : ﴿ إنا نحن نزلنا الذكر و إنا له لحافظون ﴾.(2)

و ثانيها العامل القومي:

فعندما دخل الناس إلى دين الله كالفرس و الرومان و اليونان كان لزاما على العرب المعتزين بلغتهم التي نزل بها القرآن الكريم أن يضعوا قوانين تحميها من التأثيرات اللغوية الأجنبية و تحميها من الفساد و الذوبان في لغة الأمم الأخرى.

(1) ينظر ضحى الإسلام، لأحمد أمين، ط دار الكتاب العربي10، ص 245 ، والأصول تمام حسان ص34.

(2) سورة الحجر، الآية رقم9.

و أوّل ما عني به العلماء هو القرآن الكريم لأنه اشتمل على مـــا لم يعلـــم تأويلـــه إلاّ الله و الراسخون في العلم كما قال الله تعالى: ﴿ و ما يعلم تأويله إلاّ الله، و الراســـخون في العلـــم يقولون كلّ من عند ربنا﴾.(1)

كما أن الشعوب المستعربة كانت تحتاج إلى من يقنن لها العربية في اعرابها، و تصريفهـــا وتراكيبها ليسهل عليها استعمالها،في المعاش و المعاد، و قد شارك في ذلك أبناء العرب و غيرهم ممن تعلموها و أجادوها إجادة لا مثيل لها، على شاكلة سيبويه صاحب الكتاب(2) و ابـــن المقفـــع مترجم حكم الفرس و الهند(3) و أضرابهما . و كل هؤلاء كانوا يعتزون بالعربية و يحرصون على سلامتها .

وثـــالـــثـــها الـــعـــامـــل الإجـــتـــمـــاعـــي :

فاللغة كما عرّفها ابن جني : هي أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم (4) و علـــى هذا الأساس فإن العرب المستعربة أحست بالحاجة الماسة إلى من يقنن لها أوضاع العربية في اعرابها و تصريفها و تركيبها ليسهل عليهم استعمالها الاستعمال الصحيح في أحوالها الحياتيـــة و الدينيـــة ذلك أن العربية كانت لغة الدين الاسلامي الحنيف و الوسيلة الأساسية للترقية الإجتماعية .

فالشعائر الدينية نفسها لا تؤدى إلا بالعربية و الإتصال اللغوي يقوم عليها أساسا ، و من ثم نجد كثيرا من العلماء من العرب و غير العرب يعنون بالعربية جمعا و دراسة جعلها وسيلة طـــيّعة في يد المستعربين تلك هي العوامل الرئيسية التي وجدها المحدثون وعللوا بها نشأة النحو العربي، و مع أن العامل الديني يعتبر أهم العوامل الثلاثة، فإن العاملين القومي و الإجتماعي لهما أيضا دورهما في وضع علم النحو .

---

(1)من سورة آل عمران ، الآية رقم 7.

(2) هو أبو بشر عمرو بن عثمان، ولد في البيضاء (ت 796م) .

(3)هو عبد الله ابن المقفع مؤلف عربي من أصل فارسي (ت759 م) .

(4)الخصائص ج1،ص33 . كما ينظر لـ GUO YUNZHI' SON Edition des scienc techniques de chimie Paris 1985. P.6. P61

البـــلاغـــة :

و أحسن ما نستشهد به في تعريف البلاغة كلام الله تعالى : ﴿ و قيل يا أرض ابلعي مـــاءك و يا سماء أقلعي و غيض الماء﴾(1) إنه نهاية المقصد و المبلغ .

" و للبلاغة وجوه أربعة :هي اللفظ و الخط و الإشارة و الدلالة، و كل منها له حظ من البلاغة و البيان، و موضع لا يجوز فيه غيره، و منه قولهم : لكل مقام مقال، و لكل كلام جـــواب ورب إشارة أبلغ من لفظ .فأما الخط و الإشارة فمفهومان عند الخاصة و أكثر العامـــــة، و أمـــا الدلالة : فكل شيء دلّك على شيء فقد أخبرك به، كما قال الحكيـــم :"أشـــهد أن السّـــموات والأرض آيات دالات،و شواهد قائمات، كل يؤدي عنك الحجة و يشهد لك بالربوبية ."(2)

و ما يمكن أن نسميه حدّا لإيجاز صيغتها أو لشمول محتواها من الأجدر أن نحددها في أقسام هي كالتالي :

– القسم الأول :

إذ فيه يبين أهميتها، ففيه ورد الحدّ جوابا عن استفهام صريـــح، هـــو في الغـــالب " مـــا البلاغة "(3) و هذا ما ذكره الجاحظ. (4)

– القسم الـــثـــانـــي :

بدئ بعبارة يفهم منها إرادة الإحاطة و التعريف و هي جماع البلاغة .(5)

---

(1) سورة هود ، الآية رقم 44 .

(2) العقد الفريد ، ص 264 .

(3) النظريات اللسانية و البلاغية و الأدبية عند الجاحظ، محمد الصغـــير بنـــاني،ط ديـــوان المطبوعـــات الجزائريـــة 1983 ، ص 215–222

(4) ينظر البيان و التبيين ج1 .

(5) المصدر نفسه .

- القسم الثالث :

و في هذا الأخير يظهر الحكم النقدي الفردي إلى الحدّ كقولهم، لا يكون الكلام يستحق اسم البلاغة إذا لم يرتق إلى درجة الإبلاغ و الإفهام، و نرى الجاحظ في عرضه إلى التعاريف الخاصة بالبلاغة عند الأوائل دون أن يبدي رأيه فيها ".(1)

و إذا أمعنّا النظر في التعريفات التي وردت في خصوص البلاغة، نرى بعضها للعرب و بعضها الآخر لأجناس مغايرة، كانت لها صلة بالحضارة العربية الإسلامية كالفرس، و الروم و الهند و اليونان .هذا يدل دلالة واضحة على امتزاج الثقافات و انصهارها في وعاء اللغة العربية التي أصبحت سيدة ذلك العصر، فاطلع العرب على ماجاء به غيرهم من الأمم و وظّفوه في علومهم، و في هذا الشأن نذكر الجاحظ و ما علمه من العلوم الأجنبية، لأنّ ذلك شيء بيّن و اضح في شخصيته و في عرضه لكتبه.

و حين تطرح الحدود التي استعملها البلاغيون الأوائل (2) أي ماكان في حيز النصوص المكتوبة، أو ما وظّف عند المتكلّم، فمن هذين النموذجين يستنتج تحقيق وظيفة الفهم و الإفهام، فلا يوجد من ذلك إشارة إلى خصائص النص بل يذهب إلى تحقيق التواصل بينهما."(3)

و البلاغة في هذا العصر هي السلامة في المنطق عند المتكلم من العيوب (4). إن ما يتبادر إلى ذهن دارس البلاغة لأول وهلة، يتيقن من أنّ معرفة البلاغة أمر لا يمكن بأي حال من الأحوال تركه، إذ به تقام الركائز اللغوية.

---

(1) المصدر السابق.

(2) ينظر التفكير الإسلامي عند العرب، للدكتور صمود، ط1 سنة 1981 مطبعة التونسية، ص17.

(3) ينظر القاموس المحيط ج1، المقدمة، ط دار الجيل.

(4) البيان و التبيين الجزء الأول – باب البلاغة، ص31.

فعمدة اللغة و كيانها يتعلق بالعلوم البلاغية، فلا يتصور درس نص من النصوص دون التعرض لإحدى هذه العلوم؛ و إن كانت النصوص العلمية تعتمد الدّقة إلاّ أنها لا تستغني عن هذا العلم الخالد.

و البلاغة موجودة في النصوص المكتوبة أو الملفوظة، و ما روي على لسان ابن المقفع حين سئل عن البلاغة فأجاب: " البلاغة اسم يجري في وجوه كثيرة منها ما يكون في السكوت و منها ما يكون في الإستماع، و منها ما يكون شعرا، و منها ما يكون سجعا، و منها ما يكون خطبا و ربما كانت رسائل، فعامة ما يكون من هذه الأبواب، فالوحي فيها و الإشارة إلى المعنى أبلغ و الإيجاز هو البلاغة." (1)

و قد جاء هذا الإختلاف، لأن كل واحد تختلف ثقافته و بيئته عن الآخر، فتعريفات اللغويين تختلف عن تعريفات المتكلمين و الكتاب، و الشعراء، و الفلاسفة، فكل أعطاها حدّها حسب اختصاصه، و مما ذكرنا آنفا يتبيّن لنا أنّ البلاغة نشأت عن روافد فكرية، و هذا ما نلمسه في تعريف علي بن أبي طالب رضي الله عنه على أن البلاغة : " لا تخرج عن الإفصاح و الإبانة" ثم يشير إلى خصائصها اللغوية إلى أنها طاقة كامنة من الطاقات الإحائية.(2)

إن النفس هي التي تحدد وضعية الكلام و المتكلم، فلا غرو في أن المتكلم يظهر إخفاء إذا استغنى عن الكلام أو إيجاز أو إشارة، فكل ذلك كان بيانا ألطف و أنسب من الإطالة؛ لما فيها من رونق و بما أنه خاص، لقد وافق المقال المقام.(3)

و يلاحظ هذا النسق في كتاب نهج البلاغة للإمام علي كرم الله وجهه حيث أنه اختار كل خطبة لأصحابها الموجهة إليهم، فإذا كانت للعامة انتقى كلاما يناسبهم، و إذا كان للخاصة اختاره من مقامهم.

---

(1) ينظر نهج البلاغة للإمام علي كرم الله وجهه ط 1987 دار الكتاب – لبنان – ص 148.

- Robert Escarpit professeur emerite de Bordeaux edition Bouchene Alger 1973. P. 8.
- Groupe MJ F EDELINE Paris 1970. P. 30

و حين اتسعت رقعة الدولة الإسلامية و ظهر أئمة الأدب و أرباب المقالات من علمـــاء الكلام في بيان وجه إعجاز القرآن الكريم، فاختلفوا طرائف قددا، و كان كل واحد منهم طائفة ينتسب إليها، فاختلفت الآراء، فكان كل مذهب يعتمد على ركائز، و معظم المتكلمون خاضوا مسلكا يميل إلى ما يرضي نهجهم دون مراعاة القواعد التي تضبط كلامهم. (1)

جاء في الصحاح الجوهري في مادة [بلغ](2) بلغـــت المكـــان بلوغـــا وصلـــت إليـــه، و كذلك شارفت عليه و منه قوله تعالى :﴿ و إذا طلقتم النساء فبلغن اجلهن فامســـكوهن بمعروف﴾ (3)، أي قاربنه ،و بلغ الغلام أدرك، و الإبلاغ الإيصال، و كذلك البليغ، و الإسم منه البلاغ، و البلاغ أيضا : الكفاية و منه قول الراجز: " تزحّ من دنياك بالبلاغ" و بلّغت الرســـالة. و بلغ الفارس إذا مدّ يده بعنان فرسه ليزيد في عروه، وشيء بالغ أي جيّد و قد بلغ الجودة مبلغا. و يقال أمر الله بلغ بالفتح أي بالغ من قوله تعالى :﴿ إن الله بالغ أمره﴾ (4) قال الفراء: " يقـــال الـــلّهم سمع لا بلغ و سمع لا بلغ" ، معناه يسمع به و لا يتمّ.

و قال الكسائي : " إذا سمع الرجل الخبر لا يعجبه قال: اللهم سمع لا بلغ، و سمع لا بلـــغ، و سمعا لا بلغا. و قولهم: أحمق بلغ بالكسر، أي هو مع حماقته يبلغ ما يريده. يقـــال بلـــغ ملـــغ. و البلاغة الفصاحة.

و بلغ الرجل بالضّم، أي صار بليغا، و البلاغات كالوشايات، و البلغين : الداهيـــة. و في الحديث أن عائشة قالت لعلي رضي الله عنهما حين أخذت : " بلغت منا البلغين". و بالغ فلان في أمري إذ لم يقصر فيه. و البلغة ما يتبلغ به من العيش. و تبلغ بكذا أي اكتفى به.

---

(1) ينظر العلوم البلاغية، لأحمد مصطفى المراغي دار القلم، بيروت، لبنان سنة (دت) ص 7-10.

(2) الصحاح ص 1316 - 1317.

(3) سورة البقرة الآية 230.

(4) سورة الطلاق الآية رقم 3.

و تبلغت به العلة أي اشتدت، و البلغاء الأكارع في لغة أهل المدينة، قال أبوا عبيد : و أصلها بالفارسية " بايها"

و جاء في اللسان لابن المنظور، البلاغة: الفصاحة. و البلغ : البليغ من الرجال، رجل بليغ و بلغ و بلغ: حسن الكلام فصيحه يبلغ بعبارة لسانه كنة ما في قلبه، و الجمع بلغاء و قد بلغ، بالضم، بلاغة أي صار بليغا و قول بليغ: بالغ و قد بلغ. و البلاغات كالوشايات.
و البلغن: البلاغة؛ عن السيرافي، و مثل به سيبويه و البلغن أيضا النمام. و البلغة ما يتبلغ به من العيش، زاد الأزهري، و لا فضل فيه." (1)

فالبلاغة إذا مصدر لفعل بلغ يبلغ بمعنى صار أو كان فصيحا. و البليغ هو الفصيح، و جمعه بلغاء و تطلق صفة البليغ على الكلام و المتكلم معا. و جاء في أساس البلاغة للإمام جار الله أبي القاسم، في مادة [ب ل غ] " أبلغه سلامي و بلغه، و بلغت ببلا غ الله : بتبليغه.
قال الكميت [من الطويل]:

فهل تبلغنيهم على نأي دراهم **** نعم ببلا غ الله و جناء ذعلب.

و بلغ في العلم المبالغ- و تبالغ في كلامه : تعاطى البلاغة و ليس من أهلها و ما هو ببليغ و لكن يتبالغ. (2)

، البلاغة إصطلاحا:

إن خير ما نورده ما جاء في كتاب البيان و التبيين للجاحظ، و عيون الأخبار لابن قتيبة، و كل التعريفات جاءت على صيغة السؤال ما البلاغة؟ و أحسن ما أثر عنهم: هي تخير الألفاظ في حسن لإفهام؛ و تقرير حجة الله في عقول المكلفين.

---

(1) لسان العرب، ج1، ص 487.

(2) أساس البلاغة، ص29 .

و قال الجاحظ (ت 255 هـ): " البيان اسم جامع لكل شيء كشف لك قناع المعنى و هتك الحجب دون الضمير حتى يفضي لسامع إلى حقيقته"، و قال الرماني (ت 395هـ): " البلاغة ايصال المعنى إلى القلب في أحسن صورة من اللفظ"، و قال ابن المعتز (ت 296هـ) " البلاغة البلوغ إلى المعنى و لم يطل سفر الكلام"،و قال أعرابي: " التقرب من البعيد و التباعد من الكلفة و الدلالة بقليل على كثير، هذا، و البليغ عمرك الله من تراه يعبث بالكلام و يقوده بألين زمام" ، و قال النويري فأما البلاغة فهي أن يبلغ الرجل بعبارة كنه ما في نفسه و لا يسمى البليغ بليغا إلا إذا جمع المعنى الكثير في اللفظ القليل و هو المسمى إيجازا.

و تقع البلاغة وصفا للكلام و المتكلم فقط و لا توصف الكلمة بالبلاغة لقصورها عن الوصول بالمتكلم إلى غرضه و لعدم السماع بذلك.

و في تعريف المحدثين للبلاغة:" البلاغة هي السلامة في المنطق عند المتكلم من العيوب"، كما ذهب إلى ذلك صمود.

و إذا نحن أمعنا النظر في التعريفات التي وردت في شأن البلاغة قديما، فإننا نجد بعضها للعرب و بعضها الآخر مقتبسا من أقوام أخرى كانت لها صلة بالحضارة العربية الإسلامية كالفرس و الهنود و اليونان. و هذا يدل دلالة واضحة على امتزاج الثقافات و انصهارها في وعاء اللغة العربية التي أصبحت سيدة في تلك العصور لأن علماء العرب اطلعوا على ماجاء به غيرهم من الأمم و وظفوه في علومهم على غرار ما فعل الجاحظ في كتبه. و يشير إلى أن البلاغة موجودة في النصوص المكتوبة و الملفوظة كما روي على لسان ابن المقفع فأجاب : " البلاغة اسم يجري في وجوه كثيرة منها ما يكون في السكوت و منها ما يكون في الإستماع، و منها ما يكون سجعا، و منها ما يكون خطبا و ربما كانت رسائل، فعامة ما يكون من هذه الأبواب فالوحي فيها و الإشارة إلى المعنى أبلغ و الإيجاز هو البلاغة".(1)

و على هذا الأساس فإن معرفة البلاغة أمر لا يمكن بأي حال من الأحوال لأنها عماد اللغة و بها يعرف اعجاز القرآن الكريم و تتعود الألسنة على تحرير الكلام الجيد شعره ونثره.

(1) ينظر DR MULLER INITIATION A LA STATISTIQUE LINGUISTIQUE P. 256.

في العصر الجاهلي:

لقد وصل العرب في جاهليتهم إلى مرتبة عالية من البيان و كانوا ذوي فصاحة و بلاغة فتمكنوا من تصوير ما يحيط بهم في خطبهم و شعرهم، و كانت لهم أسواق تعج بالشعراء يعرضون فيها أشعارهم على علمائهم كالنابغة الذبياني (1) الذي اشتهر بالتمييز بين الشعر الجيد و الرديء، و يروى أن الأعشى (2) و الخنساء و حسان بن ثابت احتكموا إلى النابغة ليبدي بعض الملاحظات فيما جادت به قرائحهم من معان و أساليب، ففضل الأعشى على حسان و فضل الخنساء على حسان و على بنات جنسها، و قد ثار حسان عليه و قال له : " أنا والله أشعر منك و منها، فقال له النابغة حيث تقول ماذا؟ حيث أقول : | الوافر |:

لنا الجفنات الغرّ يلمعن بالضحى **** وأسيافنا من نجده يقطرن دما.

فقال له النابغة :" إنك لشاعر لولا أنك قللت من عدد جفانك... و لو قلت الجفان لكان أكثر لمقانا، و قلت يقطرن من نجده دما، فدللت على قلة القتل ولو قلت يجرين لكان أكثر لإنصباب الدم".

و مما تقدم يتضح أن الجاهليين كانوا على علم بالبلاغة لكنهم لم يصنفوها بمصطلحاتها و كانت شبه إرهاصات أولية تدور حول الذوق الأدبي و البيان و المعاني، و ما كاد العصر الجاهلي ينتهي حتى ظهر شعراء يميزون بين الألفاظ العتة و الألفاظ الراقية ذات المعاني السامية، و يفرقون بين كلام العامة و كلام الخاصة و يختارون أجود الألفاظ لتدبيج معانيهم الجزلة.

---

(1) هو من فحول الشعراء ذو عقل راجح، و قوة خيال و شاعرية دقيقة أقام في بلاط ملوك الحيرة، و لا سيما عند النعمان أبي قابوس و اشتهر " بالغسانيات"، توفي نحو 604م.

(2) هو ميمون بن قيس (ت 626 م) شاعر جاهلي أدرك الإسلام لقب بالأعشى لضعف بصره، و يعرف بالأعشى الأكبر.

و الواضح أن هذا العصر كان قمة في تحديد و تحسين اللغة العربية مما شابها من فساد معنوي و نلحظ ذلك في القرآن الكريم و تصويبه الناس حيث يقول الله جل ثناؤه : ﴿ لا تقولوا راعنا و قولوا أنظرنا ﴾ لأن كلمة " راعنا" لها معنى فاحش عند اليهود، و كان اليهود يسخرون حين يسمعونها من لدن المؤمنين.

و الحق أن كل هذه الشعوب و الأمم التي دخلت في الإسلام أو بقيت تحت حماية الدولة الإسلامية هرعت إلى تعلم اللغة العربية، لغة القرآن الكريم، و فهم معاني كلام العرب حتى تسير على نهجهم، و لم يزد على قرن حتى عمت اللغة العربية كل أنحاء الدولة الإسلامية.

فالبلاغة في نظر البلغاء ليست أمرا مستقلا عن اللغة، بل هي التي تساعدها على أداء وظيفتها في التعبير و الإبلاغ، و هي شاملة لعنصري اللغة: المعنى و اللفظ.

و لا يمكن أن تكون هناك لغة دون وجود ظواهر بلاغية، لأن البلاغة تظهر في كلام المتكلم أثناء الحديث مثل التقديم و التأخير، و الحذف و الفصل و الوصل... إلخ فكل هذه الظواهر التي تبدو في كلام المتكلم تبين أن الإنسان في حاجة ملحة إلى هذا العلم الذي لا يمكن الإستغناء عنه لتبليغ ما يريد إلى غيره.

و حين نزل القرآن الكريم سمع العرب آيات الكتاب المبين فدهشوا مما وجدوا فيها من أساليب بلاغية و حاروا في تعليل دهشتهم، و إعجابهم، مع أنهم كانوا أهل فصاحة و أرباب بلاغة، ذلك أنهم سمعوا مثلها من قبل في نثر ناثر أو شعر شاعر أو سجع كاهن حتى قال قائلهم : " إنه لسحر ساحر".

و خير ما نستشهد به في البلاغة القرآن الكريم، على أن اللغة العربية هي أرقى اللغات كما وكد على ذلك الله جل جلاله في قوله : ﴿ قل لئن اجتمعت الإنس و الجن على ان ياتوا بمثله و لو كان بعضهم لبعض ظهيرا﴾(1)، و قوله :﴿ الرحمان علم القرآن خلق الإنسان علمه البيان ﴾. (2)

---

(1) سورة الإسراء، الآية رقم 88.

(2) سورة الرحمان، الآية رقم 1-3.

و من خلال هذه الآيات البينات يتبين لنا بأن القرآن معجزة في أسلوبه و نظمه و معانيه.

و من الآيات التي تقوّم ألسنة الناس، قوله تعالى : ﴿ لا تقولوا راعنا و قولوا انظرنا ﴾.(1) فالله جل جلاله ينبه المؤمنين إلى الإبتعاد عن هذه الكلمة " راعنا" التي لها معنى فاحش عند اليهود، و من هذا نلمس التوجيه القرآني للعرب في تمقيح لغتهم و تدقيقها.

و البلاغة تجمع ثلاثة أنواع تتمثل في البديع و المعاني و البيان، و الغرض من هذه الأنـــواع البلاغية سواء كانت في الكلام أو في المتكلم ترجع إلى أمرين:

أولـــهمـــا: الإحتراز من الخطأ في تأدية المعنى المراد بالإبتعاد عن التعقيد لفظا و معنى.

ثـــانـــيهما : تمييز الفصيح من غيره بمعرفة علمي النحو و الصرف.

و الواضح أنه لا يمكن للمرء أن يحيط إحاطة كاملة بنشأة البلاغة العربية و الحديث فيهـــا منثور في بعض الدراسات النظرية و كلام العرب المنثور و المنظوم، و يتبين ذلك مـــن تفننهـــم في طرق التعبير عما يختلج في خواطرهم مما يشهد لهم بعلو مكانتهم في عالم الفصاحة و البلاغة.

و إذا التفتنا إلى الكلام المنظوم و جدنا الإشعار تمثل أغلب أدبهم و قد صيغت في أساليب مختلفة من تشبيه و مجاز، و استعارة و كناية و كلها كانت ترد عفوية و تجري على ألسنة الشعراء مجرى السليقة دون اللجوء إلى التكلف و التصنع.

---

(1) سورة البقرة الآية رقم 104.

و هذا ما يشير إليه الأدباء و اللغويون الأوائل و خصوصا علماء القرن الثالث الهجري الذين جمعوا بين المدرستين البصرية و الكوفية، و من بينهم ابن قتيبة الدينوري (1)، تلميذ الجاحظ.

و الحق أن الشعراء كانوا يتميزون عن سواهم بعدم تقييدهم بالضوابط و القواعد التي تلزم الناثر اتباعها، غير أنّ واضعي اللغة ارتأوا ضبطها لتوحيد طرق التعبير فعملوا على جمعها و تقنينها.

و قد قسم جرجي زيدان مراحل اللغة العربية إلى ثمانية مراحل (2) أهمها:

العصر الجاهلي: الذي دخلت فيه بعض الأنواع التعبيرية في الألفاظ العربية و تراكيبها و نشأت بامتزاج العرب الأخرى مثل الروم و الفرس.

العصر الإسلامي:

الذي أدخل فيه الإسلام ألفاظا ذات معان جديدة مثل قوله تعالى : ﴿ قل يا أيها الكافرون﴾ (3)، فكلمة " الكافر" معناها لغة الليل المظلم لأنه يستر كل شيء بظلمته، و في الإصطلاح الشرعي هي اخفاء الحقيقة التي جاء بها محمد صلى الله عليه و سلم، قال ابن السكيت : " منه سميّ الكافر لأنه يستر نعم الله عليه." (4)

---

(1) هو أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الكوفي المتوفي سنة (270هـ)، و قيل سنة 276هـ) أحد حماع علوم اللغة العربية و الدين – 82 و كان ثقة عالما بالغة، و النحو، و غريب القرآن و معانيه و لقب بالدينوري لأنه تولى القضاء بمدينة دينور الفارسية، ينظر كتاب الفهرست " لابن النديم" ص 247، تحقيق مصطفى الشويمي.

(2) ينظر كتاب اللغة العربية كائن حي، لجرجي زيدان، ط2، دار الجيل، بيروت، لبنان، 1988، ص12 – 45.

(3) سورة الكافرون، الآية رقم1.

(4) الصحاح تاج اللغة و صحاح العربية ج2، ص 808.

و من ذلك قول الجاحظ : " من الشعراء العرب من كان يدع القصيدة تمكث عنده حولا كريتا و زمنا طويلا يردد فيها نظرة، و يجيل فيها عقله، و يقلب فيها رأيه، و تتبعا لنفسه، فيجعل عقله زماما على رأيه، و رأيه عيارا على شعره اشفاقا على أدبه، و احرازا لما خوّله الله من نعمة، و كانوا يسمون تلك القصائد الحوليات، و المقلدات، و المحكمات ليصر صاحبها فحلا خنديدا و شاعرا مفلقا." (1)

و مما تقدم يجب أن نقول بأنّ البلاغة العربية ظهرت منذ تحدث العرب بلغتهم إذ لا يعقل أن ترتقي هذه اللغة دون وجود البلاغة التي بلغت دورا كبيرا في تجلية المعاني الجوهرية داخل النصوص الأدبية النثرية منها و الشعرية.

و من ذلك يورد لنا الجاحظ رأي الأصمعي في أصحاب الحوليات مع التعليق و الإستشهاد فيقول: " و في بيوت الشعر الأمثال و الأوابد و منها الشواهد و منها الشوارد.

و الشعراء عندهم أربع طبقات فأولهم الفحل الخنذيد، و ثانيهم الشاعر المفلق، و ثالثهم الشاعر فقط و رابعهم الشعرور، و لذلك قال الأول في هجاء بعض الشعراء: | من الكامل|

يارابع الشعراء كيف هجوتني **** و زعمت أني هجم لا أنطق.

فجعله سكيتا مخلفا و مسبوتا مخلفا (2)، و يضيف قائلا سمعت بعض العلماء يقول: " الشعراء ثلاث شاعز و شويعر، و شعرور، قال و الشويعر مثل محمد بن حمران بن أبي حمران سماه بذلك امرئ القيس." (3)

فكل باحث يعلم أن هذا العلم جاء لغرض سام يتمثل في المحافظة على اللغة العربية لغة القرآن الكريم التي بها نزل، و الرسول نفسه صلى الله عليه و سلم كان شخصيا ينبه على الوقوع في اللحن كما جاء في الحديث الشريف حين لحن رجل في حضرته فقال:

(4)

---

(1) البيان و التبيين ج1، ص11.

(2)ذكر ذلك في الموتلف و المختلف، للآمدي ط 1968، بيروت، لبنان، ص31.

(3) من كتاب الخصائص ص8.

(4) أنظر الصحاح مادة | ل ح ن| ص 2194.

و قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه: " لأن أقرأ فأسقط أحب إلي من أقرأ و ألحن." (1)

و قد أجمع علماء اللغة العربية على أن أبا الأسود الدؤلي هو الذي بادر إلى تقويم الألسنة التي نشأ فيها اللحن بعدما دخل الأعاجم في الإسلام و وضع لهم إرشادات تضبط كلام القرآن العظيم.

و الحق أن الملاحظات البيانية جعلت الناس يتوقون إلى ترقية كلامهم، و البلاغة هي الفن الذي يعطي للكلام رونقه، و به صارت الحياة العقلية ذات درجة عالية. أحسن ماقيل الذي جاء في الذكر الحكيم قوله عز وجل: ﴿ هذا بلاغ للناس﴾.(2)

(1) ينظر فحول الشعراء، لابن سلام الجمحي، ط مطبعة المدني، القاهرة، مصر، سنة 1980، ص 12.

(2) سورة إبراهيم، الآية رقم 52.

الفصل الثاني

التقاطع بين مستوي النحو والبلاغة

الفصل الثاني

التقاطع بين مستويي النحو و البلاغة

- صلة النحو بالبلاغة 49
- الدليل على الصلة 50
- مظاهر الصلة 51
- صلة البلاغة بالدراسات القرآنية 55
- من مزايا القرآن الكريم 58
- بلغاء القرن الثالث الهجري 60
- بين أصول الفقه و النحو 69
- البلاغة و الأساليب القرآنية 92

صلة النحو بالبلاغة:

تتنوع التراكيب في فن القول حسب الأغراض و الفنون التي يحتاجها الإنسان في حياته من تصوير رغبة إلى تجسيم أمر إلى أبراز نازغة أو كشف هامسة إلى غير ذلك من مواطن حديث النفس و القلب. (1)

و الإنتظام في هذه التراكيب من حيث البناء النحوي و التنظيم الصرفي وجه من وجوه الصحة اللغوية و باب من أبواب الجمال الأدبي و الأسلوب البليغ و ناحية من نواحي الآداء الفكري الذي يحمل رسالة أو ينقل فكرة أو خاطرة أو لونا من ألوان التأثير، و ذلك دليل على الجمال و الجلال الذي تحمله روافده المختلفة.

و نرى القدماء قد تفطنوا إلى هذه الشمولية في العمل الأدبي لأنهم ربطوا كل ذلك بالرغبة، أو الحب، أو الكره، أو القبول أو الرفض و كلها من العوامل التي تنشأ من النفس البشرية.

فلا يمكن فهم خصائص اللغة العربية من الإعراب، و مناسبة حروف العربية لمعانيها، و دوران المادة حول معنى واحد و الإيجاز إلا في إطار الحسن النحوي و الذوق البلاغي مثل قضايا الإشتقاق، و الزيادة و الإبدال.

و الحديث عن الحذف في المبنى و المعنى يبني على الصلة بين النحو و البلاغة، و هذا يوافق ما قاله ابن جني من أن: " قد حذفت العرب الجملة، و المفرد، و الحرف، و الحركة، و ليس شيء من ذلك إلا عن دليل عليه."(2)

---

(1) ينظر تأويل مشكل القرآن، ص 210- 231 و عيون الأخبار ص 171- 172.

(2) الخصائص ص 360. كما ينظر د. OSWALD DICTIONNAIRE ENCYCLOPEDIQUE EDITION DU SEUIL 1972 P1, P3.

الـــدلـــيـــل عـــلـــى صـــلـــة الـبـــلاغـــة بـــالـنـــحـــو :

و الدّليل على صلة البلاغة ما أولاه البلاغيون من اهتمام بالحذف و أسموه بالقرينة و أفردوا له دراسات تفصيلية شاملة معتمدة على المنطق فقسموا هذه القرينة إلى عقلية و معنوية و كما نجد ذلك في كتب المتأخرين.(1)

و في اللغة العربية أثر واضح للدرس النحوي في علم البلاغة إذ كثيرا ما نلقى النحاة يتحدثون عن التقديم و التأخير و الحذف في تركيب الجملة و ما يتبعها من تقدير و تفسير نحويين. (2).

و مما لاشك عن الشواهد التي تبين ما للنحو من فوائد لا يستغنى عنها في الدرس البلاغي ما جاء في كتاب الكامل للمبرد (ت 285هـ)، و ما جاء في كتاب الخصائص لابن جني (ت 395هـ) و ما تضمنه كتاب الصاحبي، و ما ذكره أبو علي القالي في أماليه و ابن قتيبة في عيون الأخبار.(3)

و بناء الجملة لا يقتصر على القاعدة النحوية دون الفكرة البلاغية، و هناك أدلة كثيرة تبين ما يؤكد صلة النحو بالبلاغة مثل الحديث عن المطابقة بين التابع و المتبوع لا سيما عطف البيان الذي يوافقه في الإعراب و التبكير و التعريف و التنكير و التأنيث و الإفراد و التثنية و الجمع.(4)

فمعظم الدراسات تؤكد على توثيق الصلة بين الدرس النحوي و البلاغي لأن كلاهما ينظر إلى الأصل و الفرع، و من ذلك أبواب كثيرة من بينها باب الضمائر المنفصلة، و باب تسمية المذكر بالمؤنث و بعض وجوه الإعراب التصديري بالإضافة إلى الحديث عند الحذف.

---

(1) ينظر الخصائص ص 32.

(2) شروح التلخيص ص 8-9.

(3) ينظر في الأدب و البيان لمحمد بركات حمدي أبو علي ص 127.

(4) من المصدر السابق ، الصفحة نفسها.

و الإختصار و التكرار الذي ذكره ابن قتيبة، و الجاحظ، و عبد القاهر الجرجاني و ابـــن جـــني القائل: " قد حذفت الجملة و المفرد و الحرف." (1)

و كل هذا ينبئ عن العلاقة الوطيدة الموجودة بين النحو و البلاغة و يظهر لنـــا التفكـــير النحوي البلاغي عند العرب و يعرفنا بالسبل السليمة لأخذ النافع من التراث و المفيد من لغـــات غيرنا و عدم إقحام أي دراسة أو مصطلح من غير تصوير سليم كحركة الإحياء اللغوي في العصر الحاضر أو فهم لمعنى التجديد في علم البلاغة و فصاحتها. (2)

مـــظـــاهـــر صـــلـــة الـــنحو بـــالـــبـــلاغـــة :

و من مظاهر صلة النحو بالبلاغة إنه لا يمكن فهم خصائص العربية من إعراب و تعريـــب و دخيل و مناسبة حروف العربية لمعانيها و دوران المادة حول معنى واحد و إيجاز إلا في إطـــار الحسن النحوي و الذوق البلاغي.

و لقد حظيت الدراسات النحوية و البلاغية باهتمام بالغ كل على حدة منذ القرون الأولى الهجرية، فكان العربي عالما بلغته دون احتياج إلى معلم مرشد يقوم لسانه، و في أيام الرسول صلى الله عليه و سلم بدأ اللحن يتفشى تدريجا لدخول الأعاجم في الإسلام و احتلاط العرب بغـــيرهم، و قد كان العربي يخاف من اللحن و يرى ذلك شيئا نكرا و عيبا يشوب شخصيته حتى كان من يلحن يتجنبه الناس مخافة أن ينتقل إليهم اللحن. ففي عهد رسول الله صلى الله عليه وســـلم، روي أن رجلا قد لحن في حضرته فقال: " أرشدوا أخاكم فقد ضلّ" و هذا يبين لنا أن النحـــو كـــان معروفا عموما من غير أن يكون علما قائما بذاته له حدوده و مصطلحاته و أن العربي كان يعرف المعنى و يدركها من خلال الحركات الإعرابية.

---

(1) ينظر علم الفصاحة العربية لمحمد علي رزق، دار المعارف، بيروت، لبنان، ط 1979، ص 127.

(2)ينظر الخصائص ج 1،ص8. .

و من ذلك روي عن أعرابي أنه قال: " من يقرئني شيئا مما أنزل على محمد، فأقرأه رجل من سورة براءة : ﴿ و أذان من الله و رسوله إلى النّاس يوم الحج الأكبر أنّ الله بريء من المشركين و رسوله﴾.(1)

فقال الأعرابي: إن كان الله بريء من رسوله فأنا أبرأ منه أيضا، فدعاه عمر ثم حكيت له القصة فصوبه و صحح له الخطأ الذي قرىء من قبل الرجل فهذا يدل أن العربي كان بالحركات يدرك المعنى.

إن كلا من النحو و البلاغة ضبط للكلام حسب الأغراض و الفنون التي يحتاجها المتكلم في حياته من رغبة في تجسييم الأمور المراد كشفها إلى غيره من بني جنسه و من تعبير عما يختلج في نفسه.

فالنحو هو وجه من وجوه الصحة اللغوية إذ به يعرف صحيح الكلام و سقيمه و العبارة الصحيحة تؤدي إلى جمال الصياغة و الأسلوب البليغ و لذلك نجد أن النحو علم من العلوم التي سبقت علم البلاغة في النشأة و الدرس.

و الحق أن الكلام لا يؤدي إلى مقتضى الحال و لا يفهم معناه إلا إذا سار على القوانين النحوية التي تضبطه و قد استنبطها العلماء النحارير الذين تفرغوا للعلم و ربطوا هذه العلوم اللغوية بالنفس الإنسانية، ففي البلاغة يتضح هذا الربط من خلال الأساليب التي يتضمنها أي نص نثرا كان أم شعرا، كالتشبيه الضمني الذي يورده الكاتب في نصه ليظهر حالة نفسية كانت تختلج في صدره، و في النحو يتضح ذلك و يتجلى في تخريج الكلام و اختيار المتكلم للصياغة التي يجيدها و يحبذها و نرضيه و سامعيه فعلى سبيل المثال لا الحصر قوله تعالى: ﴿قتل أصحاب الأخدود﴾. (2)

(1) سورة براءة الآية رقم 3 قرأ (رسوله) بالكسر سورة التوبة رقم الآية 3.

(2) سورة البروج الآية رقم 43.

إذ لم يصرح الله جل جلاله بالفاعل لحالة خاصة بالذي يسمع أو يقرأ تبعا لما تقتضيه المناسبة القرآنية. (1)

الدليل على الصلة الوثيقة بين الدرس النحوي و علم البلاغة أن فصل أحدهما على الآخر مضرّ بكليهما و يؤدي إلى جمود و عقم في اللغة، فالنحو وضع أساس فيما تركب من ألفاظ البلاغة وضعت للنظر في أمر هذا التركيب من حيث اللفظ و المعنى جميعا، و لابد للبلاغة من أن تعتمد على النحو الذي هو اللبنة الأولى لها و الشاهد على ذلك ظاهرة الحذف في الدرس النحوي فإنها تأخذ وجه الصلة بين الدرس النحوي و علم البلاغة.

و قد احتج عبد القاهر لتقدير المحذوفات مبينا أن ذلك يرجع إلا سببين، أولهما أن يتمتع حمل الكلام على ظاهرة لأمر يرجع إلى غرض المتكلم كما في قوله تعالى: ﴿ واسأل القرية﴾ (2) إذ الغرض و اسأل أهل القرية فليس هنا الحذف راجع إلى حذف التركيب اللغوي، وذلك أن مثل هذه العبارة لا تحتمل الحذف لو نطق بها رجل مر بقرية قد خربت و باد أهلها فأراد أن يقول لصاحبه واعظا مذكرا، أو أن يخاطب نفسه متعظا و معتبرا: سل القرية عن أهلها، على حد قولهم: سل الأرض من شق أنهارك و غرس أشجارك، فلا حذف في العبراتين.

و إن كانت عناية البلاغيين بهذه الأغراض تفرق عناية النحاة، و بعض النحاة قد يعرض عن ذكرها فصلا للدرس النحوي عن البياني" (3)

و ليس ما ذكرنا حصرا لجميع الإتجاهات ورصدا لجميع التأثيرات بل هو إبراز العلاقة بين النحو و البلاغة التي وجدت منذ العصر الجاهلي دون أن يكون

---

(1) ينظر الأسس النفسية لأساليب البلاغة عبد الحميد طبعة المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع، بيروت، لبنان، سنة 1984،ص 54 و ما بعدها.

(2) سورة يوسف الآية رقم 82.

(3) في الأدب و البيان ص 133.

صلة البلاغة بالدراسات القرآنية :

إن الصلة بين البلاغة و الدراسات القرآنية أمر لا مرية فيه و ضرورة حتمية، لأن البحث عن محتوى البلاغة يقوم على ما نطق به العرب و ما جاء في أراجيزهم و شعرهم من حسن الكلام الذي هو البلاغة. (1)

و لذلك ربطت الدراسات اللغوية بالقرآن الكريم في مجملها و لم تخصص كتب تدرس البلاغة بمصطلحاتها الحالية، إلا أن هناك كتبا تضمنت بعض الإشارات البلاغية مثل " مجاز القرآن" لأبي عبيدة و كتاب الفصاحة لأبي حاتم الشجستاني الذي ينتمي إلى المصنفات الأدبية.

و قد تناول العلماء القدماء مجاز القرآن لأبي عبيدة بالدراسة و الشرح كالفراء و الأصمعي و أبي اسحاق بن علي الشيرازي صاحب اللمع في أصول الفقه و عدّوه مجاز القرآن بالمعنى، غير أن بعض المحدثين كطه حسين وابراهيم مصطفى ذهبا إلى أنه كتاب لغة.(2)

و الحق أن طبيعة الأسلوب القرآني تختلف مع كل أنواع الأساليب البشرية، فهو ليس من قبيل الشعر و لا من قبيل النثر بأنواعه المعروفة و إن كان يجمع من خصائص كل منهما، مع اتسامة بخصائص جمة ميزته عن كل ما عداه.(3)

كما يظهر من قول الله تعالى في شأن القرآن الكريم: ﴿ و ما هو بقول شاعر قليلا ما تؤمنون، و لا بقول كاهن قليلا ما تذكرون﴾.(4)

---

(1) ينظر المثل السائر في أدب الكاتب و الشاعر لابن الأثير في تعريف النحو ص44.

(2) ينظر التفكير البلاغي عند العرب لحمادي صمود ص 90 و مقدمته فؤاد ص 16-17.

(3) ينظر إعجاز القرآن و البلاغة النبوية لمصطفى صادق الرافعي ط3 دار الكتاب العربي ص 232 و لغة القرآن لعبد الجليل عبد الرحيم ط مكتبة الرسالة الحديثة (دت) ص 244، و في شأن أسلوب القرآن قال عبد الرحمان بن خلدون:" فاعلم أن القرآن نزل بلغة العرب و على أساليب بلاغتهم".

(4) سورة الحاقة الآيتان رقم41-42.

فلو كان هذا القرآن من الفنون الأدبية البشرية كما أعجز الناس في الفترات المتعاقبة بنسقه المحكم و تراكيب آياته البينات من حيث الشكل و المضمون. و كيف لا يعجز و هو من عند الخالق الذي أنطق كل شيء، و علّة إعجازه مذكورة فيه من كل الجوانب و قال الوليد بن المغيرة واصفا بلاغة القرآن و إعجازه: " و الله قد سمعت كلاما من محمد ماهو من كلام الإنس و لا من كلام الجن، و إنه لحلاوة و إن عليه لطلاوة، و إن أعلاه لمثمر و إن أسفله لمغدق."(1)

و الواقع أن أغلب التعاريف لم تتعرض إلى الأسلوب القرآني بل اقتصرت على تعريفه أدبيا، و قد عرفه البلاغيون بأنه اختيار الألفاظ و تأليفها للتعبير بها عن المعاني قصد الإيضاح و التأثير.(2)

و كلا التعريفين لا ينطبقان على تعريف الأسلوب القرآني لأن أسلوبه يمانع من الإشتراك و هو متميز بذاته عن كل الأساليب المعروفة.(3)

و حول هذا المعنى يقول مصطفى صادق الرافعي: " و مما لا يسعه طوق إنسان في نظم الكلام البليغ، ثم مما يدل على أن نظم القرآن الكريم مادة فوق الصنعة و من وراء الفكر، و كأنها صبت على الحملة صبا، أنك ترى بعض الألفاظ لم يأت فيه إلا مجموعا و لم يستعمل منه صيغة المفرد، فإذا احتاج إلى هذه الصيغة استعمل مرادفها كلفظة اللب لم ترد إلا مجموعة (4) كقوله تعالى : ﴿ إن في ذلك لذكرى لأولى الألباب﴾(5)

و من المعلوم أن القرآن الكريم كان حصنا حصينا للغة العربية إذ بأساليبه حيّت اللغة و أصبحت ذات مكانة بين الأمم و استوعبت علوم الحضارات كلها.

---

(1) ينظر الأصالة، منتقى القرآن الكريم، ج2، سنة 1981، ص 286.

(2) ينظر إعجاز القرآن و البلاغة النبوية ص 244.

(3) ينظر كتاب لغة القرآن لعبد الجليل ص

(4) إعجاز القرآن ص 232.

(5) من سورة ص الآية رقم 43.

و لذلك قامت الدراسات اللغوية و البلاغية من أجل فهم لغة القرآن و ما جاء فيه من أحكام شرعية.

و القرآن أيضا كان مناسبا لكل درس من الدروس، إذ نرى الله جل جلاله حين يخاطب العرب و الأعراب يخرج الكلام مخرج الإشارة و الوحي و الحذف و حين يخاطب بني اسرائيل يبسطه.(1)

و لّما نزل القرآن الكريم أحس العرب بشيء من الدهشة التي أدت بهم إلى القول بأنه ليس من قول البشر و ذلك لما فيه من أساليب متنوّعة متميزة تتماشى و اختلاف المخاطبين في أحوالهم و أساليبهم، و مستوياتهم، و تعدد الأغراض التي قصد إليها و الموضوعات التي عالجها و الحقائق التي كشفها لهم و كانت غائبة عن أذهانهم.(2)

فهو أسمى الأساليب و الأسلوب لغة هو طريق التعبير (3) و أفصح كلام يجنح إليه و إن كان يسري ضبطه على قوانين تركيب الجملة العربية إلا أن جملة تختلف عن جملة المتداولة لما اشتملت عليه من حسن البيان، و دقة الصنع و بديع الأحكام، و تراكيبه تفوق كل التراكيب اللغوية المعروفة بفضل بديع إحكامها و دقة تأليفها، فهي تحمل معاني قدسية و تنطوي على أسرار ربانية و لن يستطيع أحد أن يأتي بمثلها، لقوله تعالى: ﴿ قل لئن اجتمعت الإنس و الجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتوا بمثله و لو كان بعضهم لبعض ظهيرا﴾.(4)

و مما تقدم نستخلص أن لغة القرآن بعثت الروح في لغة العرب و كانت من وراء نشأة العلوم اللغوية و الدليل على هذا الإرتباط الوثيق بين

---

(1) ينظر لآي الذكر الحكيم من سورة البقرة.

(2) ينظر إعجاز القرآن الكريم لمصطفى الكريم لمصطفى صادق الرافعي ص29.

(3) ينظر الصحاح و اللسان في مادة [سلب] ص 145-149.

(4) سورة الإسراء الآية رقم 88.

الدرس اللغوي و القرآني إن العرب أنفسهم كانوا يخضعون لذلك فلم يستطيعوا نهج الدرس اللغوي إلا باتباعهم أصول اللغة و التراجم بالإقتباس من القرآن الكريم و تعابيره الراقية و إن كانوا لا يؤمنون بما جاء به القرآن الكريم من تعاليم سماوية. (1)

مزايا القرآن الكريم:

و من مزايا لغة القرآن الكريم أنها تضم كلمات و تعابير و إن كانت من اللغة العربية إلا أنها جاءت تحل بدلالات لم تعهد من قبل لدى المجتمع العربي.

و من أمثلة ذلك قوله تعالى : ﴿ مدهامتان﴾ فإن هذه الكلمة الموجزة دلت على أشياء لم تكن قريحة من قرائح العرب لتأتي بمثلها في هذا الأسلوب المعجز.

و الواقع أن الفرق شاسع بين لغة القرآن و لغة التخاطب من حيث البلاغة لأن التفاضل بين لغة و أخرى إنما يقع في حسن الرصف، و الآداء و الإيجاز و غيرها من علوم البلاغة. لكن القرآن الكريم جمع جواهر ما ينتهي إليه المتكلم و السامع لأن لغته تخاطب البشرية جمعاء، و لنا أن نسمي ذلك أمرا من أمور الله تعالى يبثها في نفوس البشر بدليل قوله تعالى : ﴿ الرحمن علم القرآن خلق الإنسان علمه البيان﴾.(2) فالبيان ههنا يدل على الكشف و الوضوح، و له تفاسير أخرى في طيات كتب التفسير.

و ما كان للغة أن تتميز عن أخرى إلا بجوهرها فعلاقة البلاغة بالدراسات القرآنية من الضرورات الأكيدة بحيث لا يتصور دراسة نص قرآني في مسائل التفسير أو المقاصد التشريعة دون التعرض للبلاغة التي هي لب اللغة العربية.

---

(1) ينظر إعجاز القرآن الكريم و البلاغة النبوية ص 29.

(2) سورة الرحمان الآية رقم 64.

القرآن الكريم أصل الدراسات :

فالقرآن هو الأصل الأصيل للدراسات اللغوية التي تولدت منها الدراسات البلاغية و قبل أن تصير علما قائما بذاته كباقي العلوم العربية، و صلة البلاغة بالقرآن الكريم و طيدة إذ من أجله سنت، فكان أهلها يتبعون الإعجاز القرآني و ينظرون إلى أسلوبه تارة و إلى بيانه تارة أخرى و يعتمدون عليه في الإحتجاج بألفاظه الفصيحة و معانيه البليغة، و خير الشواهد اللغوية و البلاغة هي موجودة في القرآن الكريم الذي قال فيه الله تعالى : ﴿ و إن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله و ادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين ﴾ (1) و قوله هذا بيان على اعجازه و قوة بيانه و حسن رصفه.

و القرآن الكريم قد دفع البلاغة إلى دراسة الظواهر اللغوية التي أنشأها، فمن هذا المنطلق انبثقت الدراسات ذات الأهمية الكبرى لفهم ما في الآي الكريم و الذكر الحكيم و لخدمة الدين.

---

(1) سورة البقرة الآية رقم 23.

و من النظريات الكثيرة التي تطرق إليها الجاحظ في كتاباته نذكر على سبيل المثال لا الحصر:

- **الإشـــارة :**

و قد عرفها في كتابه الحيوان بقوله: " و اللسان يصنع في جويّه(1) الفم و في خارجه و في لهاته و باطن أسنانه مثل ما يصنع القلم في المداد و الليفة (2) و الهـــواء و القرطـــاس..." إلى أن قال : " و يعرف ما كان منها مصورا في تلك الصور الكثيرة ترادها على الأسماء... كما استدلوا بالضحك على السرور و البكاء على الألم. "(3)

- **الإيـــحـــاء:**

و يظهر في قوله: " فالأجسام الخرس الصامتة ناطقة من جهة الدلالة، و معربة من جهـــة صحة الشهادة على أن الذي فيها من التدبير و الحكمة مخبر لمن استخبره، و ناطق لمن اســـتنطقه، كما خبر الهزال و كسوف اللون على سوء الحال و كما ينطق السمن و حسن النضرة على حسن الحال" و قد استشهد ببيت شعري فقال: [من الوافر]

متـــى تك في عدو أو صديق **** تخبرك العيون عن القلوب. (4)

الحـــذف بـــالـــمـــجـــاز :

و يظهر فيما أورده الجاحظ من قول " الفضل بن عيسى - ابن إبان" في قصصه: " ســـل الأرض فقل من شق أنهارك، و غرس أشجارك، و جنى ثمارك، فإن لم تجبـــك حـــوارا أجـــابتك إعتبارا" (5) قال الـــجـــاحـــظ : " فـــالـــجمـــاد لأبـــكـــم الأخـــرس مـــن هـــذا الـــوجـــه قـــد شـــارك فـــي البـــيـــان الإنسان الحـــي الناطق".

---

(1) الفم فتحته و فرجته: الحيوان ج 1 ص 49.

(2) واحده الليث و هو شيء أسود يوضع في دواة الكحل المصدر السابق من الصفحة نفسها.

(3) المصدر نفسه و الصفحة نفسها.

(4) المصدر نفسه و الصفحة نفسها.

(5) الحيوان ج1، ص 31.

و لم يلتفتوا إلى أبحاث ابن قتيبة البلاغية ذات القيمة التاريخية الكبرى لكون صاحبها يثبت الحلقة المفقودة بين الجاحظ و ابن المعتز.

و من هذه الحلقة نعرف أن البلاغة قد خطت خطوة واسعة نحو التبويب و الترتيب لأن ابن قتيبة الذي وضع كل لون من الألوان البلاغية تحت باب خاص به وضع لكل باب شواهده.

فالبلاغة كانت في أمس الحاجة إليه خاصة في هذه الفترة لأنها كانت مفرقة هنا و هناك لا ينظمها عقد و لا يجمعها شمل، و حين نعود إلى ابن المعتز في كتابه البديع نجده قد سار على نهج ابن قتيبة في تصنيفه.

إلى أن ما جاء به أبو عبيدة في مؤلفه (مجاز القرآن)، بمعنى تأويله أو تفسيره و ليس بمعناه البلاغي، هو الذي أنسى الرعيل الأول من الباحثين الذين سبقوه مثل " الخليل بن أحمد الفراهيدي و سيبويه".

و من الثابت أن أهل العلم في هذا الميدان يردون أصول هذا العلم إلى " عبد القاهر الجرجاني" الذي بنى نظرياته في القرن الرابع الهجري على من سبقوه بطريقة أدت بالمحدثين إلى اتباعه دون سواه، و هذا ما يراه الباحث عبد القادر حسين في مؤلفه (أثر النحاة في البحث البلاغي) و " عبد الواحد وافي" في كتابه (فقه اللغة) (1)

و ما كان للبلاغة العربية أن تنشأ إلى على ركائز متينة ألا و هي القواعد النحوية و في ذلك يقول ابن الأثير : " أما علم النحو في العربية فإنه في علم البيان من المنظوم و المنثور بمنزلة أبجد في تعليم الخط".(2)

---

(1) ينظر قواعد التنظيم في اللغة العربية ص 210 و ما بعدها.

(2) المثل السائر 139.

الأخـــفـــش الأوســـط:

كانت دراسة هذه الأصول في الحقبة الزمنية التي عاشها الأخفش إرهاصات أولية لنشـــوء علم كانت جذوره ضاربة في القدم إلا أن معالمه لم تكن واضحة تمام الوضوح و لا مستقلة بذاتها، فأخذها العلماء بالدرس و التحليل مستعينين في ذلك بعلوم شتى، و من بين هذه العلوم علم النحو التي ظهرت مصطلحاته مبكرة. و نرى من بين العلماء الذين نهجوا هذه الدراسات الأخفش (1) صاحب المصنفات الكثيرة التي بلغت ستة عشر مؤلفا و دارت حول اللغة و النحو، و لهذا وجدنا البحث ملائما للدرس البلاغي لأننا نكشف من خلال ما كتبه الأخفش بعض النظريـــات الـــتي ضمنها البلاغيون من بعده و كانت كلها مستوحاة من الدراسات اللغوية الشمولية.

و قد لزم الأخفش سيبويه و تتلمذ عليه و أخذ منه كل شيء و هـــو الـــذي روى عنـــه (كتابه) الشهير و قرأه عليه مثلما يستشف من قوله : " كنت أسأل سيبويه عما أشكل علي منه فإن تصعب الشيء منه قرأته عليه (2) ثم قام بدور الشارح و أملى الكتاب على طلابه مثل أبـــي عمر الجرمي (3) و أبي عثمان المازيني (4) من المدرسة البصرية و الكسائي (5) زعيـــم المدرســـة الكوفية.

و من تصفحنا لكتاب (معاني القرآن) نجد إشارات كثيرة ترمز إلى دلالات بلاغية نذكر من بينها على سبيل المثال لا الحصر، الإستثناء، و الإضافة، و التأنيث و التذكير و النداء و بعـــض الإشارات التي تومئ بالدرس البلاغي أثناء تعرضه لدراسة معاني القرآن من سور الذكر الحكيم.

---

(1) هو أبو الحسن سعيد بن مسعدة مولى بني مجاشع بن دارم من علماء النحو البصريين أخذ النحو عن سيبويه و توفي (ســـنة 221هـــ) و له (معاني القرآن).

(2) هو أبو عمر صالح بن اسحاق (ت) قرأ كتاب سيبويه على الأخفش الأوسط أخذ اللغة عن أبي زيد و ضمنه، و له كتابا (تفسير غريب سيبويه).

(3) هو صالح بن إسحاق النحلي مولى يحي بن أنمار، ينظر الفهرست ص 256.

(4) هو أبو عثمان بكر بن محمد المازني نسبة إلى بن مازن بن شيبان النحوي البصري (ت232 هـــ) ينظـــر الفهرســـت ص 257.

(5) هو علي بن حمزة من أصل فارسي ولد بالكوفة سنة 119 و له من المؤلفات : (مختصر في النحو) و له (كتاب المدود في النحو) و (ما تلحن فيه العامة) ينظر الأعلام.

و قد ذكرنا هذا العالم النحوي في هذا الباب لاتصاله باللغة اتصالا وثيقا و قيامه بدور همزة وصل بين العلماء، مثل أبي عبيدة و الخليل بن أحمد و من تبعهم من اللغويين مثل " ابن قتيبة" و " أبي حاتم السجستاني " و " المبرد" و " الزجاج" (1) و من يتعرض للحديث عن الأخفش لابد أن يخوض في مسألة جديرة بالإهتمام و البحث و نعني بها موقفة من الدراسات القرآنية.

كما أجمع أصحاب التراجم على أنه نحوي على شاكلة ابن الأثير القائل :" مات الأخفش النحوي البصري في أحداث سنة (211 هـ) (2) و له في النحو من الكتب كتاب الأوسط في النحو، كتاب المقاييس في النحو، كتاب المسائل الكبير، كتاب المسائل الصغير و قد ذكرها محمد بن اسحاق النديم و السيوطي. (3)

المبرد:

إن ما يمكن القول عن هذا العالم، هو إمام النحاة في عصره، و كان من أعلم الناس بمذاهب البصريين في النحو و مقاييسه (4) و قد أجمع أصحاب التراجم على زعامة المبرد للنحو: فالسيرافي يقول: انتهى علم النحو بعد طبقة الجرمي و المازني إلى " أبي عباس بن يزيد الأزدي" (5) و يقول عنه " ابن الأنباري" : " كان شيخ أهل النحو و العربية (6) و يذكر عنه ابن خلكان : إنه كان إماما في النحو و اللغة (7) و مهما يكن فإن المبرد زعيم من زعماء النحو في البصرة، و حامل، لوائه ضد نحاة الكوفة فكان يناظرهم و يضعف آرائهم و إضحاد زعيمهم، و تعلق المبرد بالنحو منذ صباه، و قد تعلم على شيوخه من بينهم أبو عمر و الجرمي (ت 244 هـ) فقرأ عليه.

---

(1) ينظر الكامل في التاريخ لابن الأثير فهو أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد ابن عبد الكريم بن عبد الواحد السباني المعروف بابن الأثير الجزري الملقب بعز الدين (ت 630هـ) ج6 ص 91.

(2) المصدر نفسه ج 5 ص 215.

(3) الفهرست ص 236.

(4) مقدمة تهذيب اللغة د ت مج 28.

(5) أخبار النحويين البصريين للسيرافي ط القاهرة 1955.

(6) نزهة الألباء، ط بيروت دت ص 279.

(7) وفيات الأعيان ج3 ط القاهرة سنة 1948 م ص 445 مصورة.

كتاب سيبويه بعد وفاة شيخه لزم أبا عثمان الجرمي (ت 149 هـ) و قد أعجب به المازني حتى لقبه بالمبرد " بكسر الراء، لتثبيته في القول من المسائل التي تعرض له، و لكن الكوفيون حرفوا اللقب و فتحوا الراء، إعناتا له، و سوء قصد." (1)

و قد صنف المبرد العديد من الكتب و الرسائل في النحو و التصريف و البلاغة مثل "إعراب القرآن" و المدخل في النحو و المذكر و المؤنث و المنصف، و الكامل الذي يجمع من علوم الأدب و اللغة العربية، و مما مكنه أن يكون عالما في النحو و فنون كثيرة مثل النقد الشعر و نظمه. فهو يجمع فصاحة اللسان و حسن البيان.

و كان المبرد يرى فضل الشعر على النثر البليغ، لما في الشعر معانيه، كان فصيح اللسان، حسن البيان و له آراء بلاغية و أقوال فيها و من بين أقواله في تعريف البلاغة فيقول: إن حق البلاغة إحاطة القول بالمعنى و اختيار الكلام، و حسن النظم حتى تكون الكلمة مقاربة أختها، معاضدة شكلها و أن يقرب بها البعيد و يحذف منها الفصول. (2)

و من النظريات النحوية البلاغية التي تطرق إليها المبرد في كتاباته نذكر على سبيل المثال لا الحصر:

- الإختصار و الإطناب، ففي صدر كتابه الكامل يقول: " من كلام العرب الإختصار المفهم، و الإطناب المفخم، و قد يقع الإيماء إلى الشيء فيعني عند ذوي الألباب عن كشفه، كما قيل لمحة دالة" (3) و يعبر المبرد اللمحة الدالة أقرب أنواع الإختصار مقتديا في ذلك ما قاله صحار العبدي لمعاوية.

و للمبرد قيمة شعرية و نثرية فنيتان على قدر الغتب و المجاهدة في إضهار اللفظ و المعنى (4)

---

(1) تاريخ بغداد (ج 3) ط القاهرة 1931 منصورة.

(2) ينظر المزهر (ج 2) ص 268.

(3) الكامل ص 17.

(4) أثر النحاة في البحث البلاغي لعبد القادر حسين ص 200-201.

- التقديم و التأخير و انفصال الكلام عن بعضه، فالمبتدأ منفصل عن الخبر و النعت عن المنعـــوت و المستثنى لم يعقب المستثنى منه و لقد ورد ذلك في الكامل أثناء تفسيره لمعنى البيت الآتي قـــول الفرزدق | من الطويل| :

و ما مثـــلـــه فـــي الناس إلا مـــمـــلكا **** أبـــو أمـــه حـــي أبـــوه يـــقاربه

كل هذا واضح حين وضع المبرد الكلام في موضعه. (1)

- **الإلـــتـــفـــات**: و إنه كثير جدا و العرب تترك مخاطبة الغائب إلى مخاطبة الشاهد إلى مخاطبة الغائب و يستشهد على ذلك يقول ذي الرمة | من الطويل | :

و ما كنت مذ أبصرتني في خصومة **** أراجع فيها يا ابنة الخير قاضيا
من آل أبي موسى ترى القوم حوله **** كأنهم الكروان أبصرن بازيـــا

فقال " ترى " و لم يقل " ترين" و كانت المخاطبة أولا لامرأة.

- الفصل و الوصل من خلال تناوله واو الإبتداء، هو يتحدث عن كمال الإنقطـــاع الـــوارد في الفصل، كمال تحدث عند كل الإتصال، كما تحدث عند الحذف و الإيجاز. (2)

و نكتفي بذكر هذه الأمثلة التي تناولها المبرد العالم الذي جمع بين النحو و البلاغة.

---

(1) المصدر السابق ص 204.

(2) المصدر السابق ص 205.

بـــيـــن أصـــول الـــفـــقـــه و أصـــول الـــنـــحـــو:

إن الأصول النحوية عند البلاغيين في القرن الثالث الهجري، أمر يستدعي البحث في أصول الفقه في تلك الحقبة الزمنية.

و الذي لآغرو فيه أن اللغة العربية و قواعدها ما أسست إلا لهدف أسمى ألا و هـــو فهـــم القرآن الكريم و تطبيق شرائعه، فإن بها يحفظ الدين، و لذا كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه لا يقرئ القرآن إلا عالم باللغة، و قال بعض العلماء من [البسيط المخلع]

حفظ اللغات علينا ***** فرض لحفظ الصلاة

فليس يحفظ دين ***** إلا بحفظ اللغات (1)

و الذي لآمراء فيه أن أصول الفقه هي: القرآن و السنة، و الإجماع، و الإجتهاد، و القياس و الإستصحاب هذا ما اتفق عليه جمهور الفقهاء أما إذا تمعنا ما يخص الأصول النحوية التي استأنس بها البلاغيون في متون و مدونات علماء اللغة في هذا القرن قد انحصرت في السماع و الإجمـــاع و القياس، و الإستصحاب.(2).

(1) ينظر القاموس المحيط تأليف مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي طبعة دار الجيل بيروت (دت)، ص7.

(2) ينظر معاني القرآن للأخفش في المقدمة.

و يتضمن القرآن الكريم و الحديث النبوي الشريف و ما نقل من كلام العرب من شعر و نثر، حيث لا يجوز للمتكلم التصرف و التحريف فيه، و لا تدخل للعقل فيه، أما العقلي فالقياس و الإستصحاب و نحوها، إذ لا يكونان إلا بإهمال العقل، و من ثم ساغ للنحو أن يعلل لما بين الأصول النحوية و الفقهية، بقوله: " لأن النحو معقول من منقول، كما أن الفقه معقول من منقول، و يعلل حقيقة هذا أرباب المعرفة بهما" (1)

و لعله أثر مصطلح النقل عن السماع لأنه قد يشعر بأن ما نقله الناقل قد تسمعه من مصدره الأصلي دون فاصل أو فواصل فالنقل أعم بهذا المعنى و أسهل إذ يشمل السماع المباشر و غير المباشر.

و السماع أو النقل هو الأصل الأول في اللغة العربية، و يقابله في أصول الفقه الكتاب و السنة و حسب ما تداولته الكتب في هذه الحقبة الزمنية نجد أن كلا من الفراء و الأخفش و المبرد، و من حذا حذوهم يستشهدون بما جاء من الذكر الحكيم.

(1) ابن الأنباري نزهة الألباء ص 55 تحقيق الدكتور عطيه عامر ط استوكهولم 1963 من المقدمة.

قد أسس الفقهاء، منذ أواخر القرن الثاني الهجري و أوائل القرن الثالث الهجري إلى تدوين أصول الفقه لاستخراج الأحكام الشرعية، و لقد كانت الحاجة ماسة إلى ذلك، بعد أن انقضى زمن الرسول صلى الله عليه وسلم و أصحابه و تابعيهم و دخل الناس في دين الله أفواجا فاتسعت رقعة الدول الإسلامية، و اختلط العرب بالعجم، و التبس على كثير من المسلمين فهم القرآن و الحديث الشريف، فكانت طائفة من أهل البدع و الزيغ اجترأت على إنكار ما لا ينكر، و الإحتجاج بما لا يقبل.

و الحق أن هذه أصول ذات جذور قديمة منذ زمن الرسول صلى الله عليه وسلم حيث قال رسول الله صلى الله عليه و سلم حين بعث معاذ بن جبل إلى اليمن : " كيف تقضي إذا عرض لك قضاء؟ قال بكتاب الله، قال: فإن لم يكن في كتاب الله قال فبسنة رسول الله صلى الله عليه و سلم قال: فإن لم يكن في سنة رسول الله صلى الله عليه و سلم : قال: أجتهد رأيي و لا آلو قال : فضرب رسول الله صلى الله عليه و سلم صدره، و قال : الحمد لله الذي وفق رسول رسول الله صلى الله عليه و سلم لما يرضي الله رسوله. (1)

(1) حديث شريف رواه البخاري و مسلم.

و لقد اختلف العلماء في من كان أول من جميع الأدلة و القواعد الأصولية، ومرتب لها في سفر مستقل، قيل إنه الإمام أبو يوسف صاحب أبي حنيفة، إلا أن هذا الأخير لم تصل إلينا كتبه في الأصول، و أكد آخرون إلى أن أول من جمع الأصول في كتاب جامع هو الإمام محمد الباقرا بن علي زين العابدين و ابنه عبد الله جعفر الصادق، و الراجح أنه الإمام محمد بن إدريس الشافعي المتوفي (204 هـ). (1)

اتفق العلماء على أن الأحكام الشرعية عشرة (2) أربعة منها متفق عليها و هي الكتاب و السنة و الإجتهاد و القياس مرتبة على هذا النحو و ستة منها مختلف فيها الإستدلال بها، و هي الإستحسان و المصالح المرسلة، و استصحاب الحال، و العرف، و مذهب الصحابي، و شرع من قبلنا و الثابت أن أصول الفقه كان أشد العلوم أثرا في الدرس النحوي منذ نشأته، و أوضح هذا التأثير ما يأتي:

أولا:

العناية القصوى بالنصوص و استقصائها و الحرص الكامل على سلامتها بما و ضعوا لها من حدود زمانية و مكانية، و ضوابط لنقد النص، سندا و متنا، ثم الإعتداد بها فيما يضعون من قواعد، استشهادا أو تأويلا و تخريجا، و قد صرفهم عن النظر العقلي المحض البعيد عن الواقع اللغوي، دون الإبتعاد عن التفكير في الإجتهاد فكانت إضافة العقل إلى النقل.

ثانيا:

المصلحة في أصول الفقه كما لخصها في عبارة لا ضرر و لا ضرار " أما الغاية في أصول النحو " لا خطأ و لا لبس" فهما يستمدان من مصدر واحد هو من المنهج الإسلامي.

---

(1) ينظر أعلام الموقعين لابن قيم الجوزية القاهرة 1905، ص62.

(2) ينظر التفكير النحوي دار الثقافة بيروت ص 226 د. تمام حسان – الأصول – ط القاهرة 1982 ص45.

ثـالـثـا:

قـضـيـة الأصـل و الـفرع:

التي شغل بها النحاة منذ المرحلة الأولى للدرس النحوي مستفادة من أصول الفقه فقد سبق إليها أبو حنيفة و أصحابه و كان النحاة لا يقفون في الدرس النحوي على الأصول الفقهية، و عنها يأخذون، فالمعروف أن الخليل بن أحمد كان يعيش في عصر أبي حنيفة و قد أخذ الخليل مذهب أبي حنيفة في مسائل النحو (1) في القياس و أن سيبويه احتذى بأبي يوسف.

رابـعـا:

تأثير العلة الأصولية في العلة النحوية و قد أثبت هذه المصنفات التي أظهرها العلماء في القرن الثالث الهجري من مثل الفراء و الأخفش سعيد بن مسعدة صاحب كتاب معاني القرآن لتكون وسيلة لتبرير الحكم النحوي، و قبوله، و كان لهذا الفضل في تحديد مسالك الأصول و شروطها و سلامتها و أقسامها. (2)

خـامـسـا:

استأنس النحاة بالأصوليين في تعريف الأبواب النحوية و تحديد المصطلحات إذ كان المقصد منه عند الأصوليين تمييز المعرف من غيره مما يؤدي إلى الإلتباس به أو يشترك معه دون قصد إلى إدراك ماهية المعرف و حقيقته و كذلك كان هدف التعريف عند النحاة قبل علملية الفكر المنطقي عندهم. (3)

---

(1) أحمد علم الدين الجندي في الإعراب و مشكلاته ج2 ط 1978 ص170.

(2) تقويم الفكر النحوي ص218 بتصرف.

(3) المرجع السابق ص 86.

ثـــالـــثـــا:

قـــضـــيـــة الأصـــل و الـــفرع:

التي شغل بها النحاة منذ المرحلة الأولى للدرس النحوي مستفادة من أصول الفقه فقد سبق إليها أبو حنيفة و أصحابه و كان النحاة لا يقفون في الدرس النحوي على الأصول الفقهية، و عنها يأخذون، فالمعروف أن الخليل بن أحمد كان يعيش في عصر أبي حنيفة و قد أخذ الخليل مذهـــب أبي حنيفة في مسائل النحو (1) في القياس و أن سيبويه احتذى بأبي يوسف.

رابـــعـــا:

تأثير العلة الأصولية في العلة النحوية و قد أثبت هذه المصنفات التي أظهرهـــا العلمـــاء في القرن الثالث الهجري من مثل الفراء و الأخفش سعيد بن مسعدة صاحب كتاب معاني القـــرآن لتكون وسيلة لتبرير الحكم النحوي، و قبوله، و كان لهذا الفضل في تحديـــد مســـالك الأصـــول و شروطها و سلامتها و أقسامها. (2)

خـــامـــســـا:

استأنس النحاة بالأصوليين في تعريف الأبواب النحوية و تحديـــد المصطلحـــات إذ كـــان المقصد منه عند الأصوليين تمييز المعرف من غيره مما يؤدي إلى الإلتباس به أو يشترك معه دون قصد إلى إدراك ماهية المعرف و حقيقته و كذلك كان هدف التعريف عند النحاة قبل علملية الفكـــر الـــمنطقي عندهم. (3)

---

(1) أحمد علم الدين الجندي في الإعراب و مشكلاته ج2 ط 1978 ص170.

(2) تقويم الفكر النحوي ص218 بتصرف.

(3) المرجع السابق ص 86.

سادسا:

تقسيم الحكم النحوي إلى واجب و ممنوع، و حسن و قبح، و خلاف الأولى و جائز على السواء ليس إلا أثرا من آثار تقسيم الحكم الفقهي كما تحدد في أصول الفقه.

سابعا:

ضمن النحاة قواعد أصولية ارتضوها لتكون ضوابط للترجيح بين الأدلة المتعارضة سواء أكان تعارض سماع أم تعارض قياس أم تعارض سماع و قياس.

ثامنا:

تقبل النحاة كثيرا من مصطلحات علم أصول الفقه، و خاصة ما يتصل منها بالأصول العامة و طرق الإستدلال. (1)

و قد ارتكز النحاة على محتوى أصول الفقه لما فيه من مصطلحات كالقياس و التعريف و طرد الأحكام (2)... إلخ و لهذا نجد النحاة أنهم وضعوا كتبا في أصول النحو مطابقة لأصول الفقه متأثرين بالكتب التي وضعها الأصوليون في مسائل الخلاف بين الشافعي و أبي حنيفة مستعرين منه التسمية و المنهج حيث كان تعريفهم للنحو على تعريف الفقهاء لأصول الفقه فتعريف أصول الفقه كما يراها ابن الأنباري هي أدلت النحو التي تفرعت عنها فروعه و أصوله كما أن معنى أصول الفقه أدلة الفقه التي تفرعت عنها جملة و تفصيلا.

---

(1) التقويم النحوي ص 228.

(2) نفس المرجع السابق ص 237.

و الأرجح أن أول من وضع كتابا في أصول النحو هو أبو بكر محمد بن السّرى سهل بن السراج (ت 316 هـ) و لو تمعنا ما جاء في الكتاب لوجدنا ما عناه الكاتب هو قواعد النحو الأساسية و لا أدلّته التي استنبطت منها هذه القواعد و بين هو ذلك في كتابه في مواضع كثيرة.

و بين ذلك في كتابه (1) فقال :" و غرضي في هذا الكتاب ذكر العلة التي إذا أطردت وصل بها إلى كلامهم فقط، و ذكر الأصول و الشائع لأنه كتاب إيجاز." (2)

و كان يعرض لقواعد النحو التي يراها أساسية يذكر عددا من الأصول الكلية تحكم الفروع و الجزئيات، بعضها يتصل بأصل الوضع و بعضها الآخر يتصل بأصل القاعدة.(3)

فأما أصل الوضع فنجد إليه إشارة إلى الوضع في الحروف بقوله : " فأما الإسم بني مع الإسم فخمسة عشر و ستة عشر و كل كلمتين من هذا الضرب من العدد فهما مبنيان على الفتح فكان الأصل خمسة و عشرة فحذفت الواو و بني أحدهما مع الآخر اختصارا و جعلا كاسم واحد (4).

و أوضح بأمثلة فقال:" ... و من ذلك قولهم، و بين بين...، و أعلم أنهم لا يجعلون شيئا من هذه الأسماء بمنزله اسم واحد إلا إذا أرادوا الحال و الظرف، و الأصل و القياس الإضافة و في الصنع المفردة في نحو قوله: " و ما فعل فمثل نذير و نذر، و مثله ثني و ثن، و كان الأصل ثنوا، فوقعت الواو ظرفا قبلها ضمة، فقلبت ياءا و كسر ما قبلها" و يقول في شأن الكلام :" و أصل الكلام موضوع للفائدة".

---

(1) ابن السراج الأصول في النحو – تحقيق عبد الحسين الفتلي ط بيروت 1985 ج1 ص 328.

(2) السابق 36/1.

(3) ينظر في أصل القاعدة، الأصوْل، للدكتور تمام حسان القاهرة 1982 ص 116– 134.

(4) ابن سراج 240 ، ج1، ص 18.

و إن اتسعت المذاهب فيه مثل قوله: " الإيجاب على غير الشرط أصل الكلام" (1) و قوله إذا قلت : ضرب زيدا غلامه كان الأصل: ضرب غلام زيد زيدا، فلما قدمت زيدا المفعول قلت زيدا قلت غلامه، و كان الأصل غلام زيد، فاستغنيت عن إظهاره لتقدمه" (2) و قوله : " قد جاءت حروف حافضة، و ذكروا أنها زائدة إلا أنها تدخل لمعان مثل ذلك : ﴿ اليس الله بأحكم الحاكمين ﴾، و قوله تعالى : ﴿ أليس الله بكاف عبده﴾ و ها هنا قد دخلت الباء للتوكيد" و مثله ليس زيد بقائم لتوكيد النفي وأصل الكلام فعل و فاعل و مبتدأ و خبرهما جملتان فعلية و اسمية.

(1) ابن السراج ص 18 ج2.

(2) السابق ص 182.

إن أول ما عنى به البلاغيون في هذا القرن الثالث الهجري هما وضع النحاة من ضوابط تظهر لعلم النحو من معالم يسلكونها فتبين و تكشف لهم أسرار محتويات النص القرآني، إذ أنّ العلماء الأولون قد اعتمدوا على السّماع و أنّ مصادره تتضمن آي الذكر الحكيم الذي جاء بلغة العرب، و كان المعجز لهم، فسمى بأسلوب الحكيم، إذ تحدى العرب على أن يأتوا بمثله فقال : ...﴿ فإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله، و ادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين﴾ (1) و قد حاول أناس حين نزول القرآن العظيم محاكاته و نظم الأبيات، و نثر القصص، فلم يلبثوا برهة إلاّ تبين لهم بأنه معجز فوضعوه القبس الذي منه يقتبسون و المنهل الذي منه ينالون مقاصدهم على مختلف مساريهم.

و الواضح أن " القرآن هو كلام الله تعالى المنزل على نبيّه المكتوب بين دفتي المصحف و هو متواتر بين الأمّة، إلاّ أنّ الصحابة رووه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم عن طرق مختلفة في بعض ألفاظه و كيفيات الحروف في أدائها و تنوقل ذلك و اشتهر إلى أن استقرت منها سبع طرق معينة تواتر نقلها أيضا بأدائها و اختصت بالإنتساب إلى من اشتهر بروايتها من الجم الغفير فصارت هذه القراءات السبع أصولا للقراءة، و ربما زيد بعد ذلك قراءات أخر لحقت بالسبع إلاّ أنها عند أئمة القراءة لا تقوى قوتها في النقل و هذه القراءات السبع معروفة في كتبها، و قد خالف بعض الناس في تواتر بعض طرقها لأنها عندهم كيفيات للأداء و هو غير منضبط و ليس ذلك عندهم بقادح في تواتر القرآن، و أباه الأكثر و قالوا بتواترها، و قال آخرون بتواتر غير الأداء منها كالمدّ و التسهل لعدم الوقوف على كيفيتها لسماع دونت فكتبت فيما كتب من العلوم.

(1) سورة البقرة الآية رقم 23

وصارت صناعته مخصوصة، و علما منفردا و تناقله الناس بالمشرق و المغرب الأندلسي في جيل بعد جيل إلى أن ملك بشرق الأندلس مجاهد من موالي العامريين، و اجتهد في الغرب والواقع أن أصل القاعدة في قوله : " و أصول الأسماء كلها الصرف" و جاء في الأصول لابن السراج أيضا يقول: الأصل في كل مبني أن يكون المرفوع و المنصوب و المخفوض على صيغة واحدة." (1) و في قوله الإعراب في الأصل للأسماء و ما أشبهها من الأفعال أعرب." (2)

و الحق أن ابن السراج قد ذكر في سياق حديثه أصول النحو بالمعنى الذي حددناه مما عرف من بعد بأصول النحو بمعنى أدلته التي تأصلت بها أصولة و تفرعت فروعه، فعرض في مواضع من كتابه للسماع و القياس، و المطرد و الشاذ و العله، حيث أنه أثبت أن الشاذ أعم من السماع إذ السماع غير مفهوم على المطرد مما سمع عمن ترضى عربيته و الشاذ غير المطرد على إطلاقة سواء أكان في مسموع أم في قياس أم فيهما معا و العلل عنده نوعان، علل أول يتوصل بها إلى فهم كلام العرب و استيعاب قواعد لغتهم و علل ثوان تسمى أحداها علة العلة و الهدف منها استنباط حكمة العرب في الأصول التي وضعتها(3) فيقول صاحب الأصول : " و اعتلالات النحوين على ضربين هو ضرب منها مؤدي إلى كلام العرب كقولنا: كل فاعل مرفوع و ضرب آخر يسمى علة العلة مثل أن يقولوا: لم صار الفاعل مرفوعا و المفعول منصوبا.

و هذه النبذة الوجيزة توضح لنا ما الأصول الفقه من أثر على الأصول النحوية و عرض بعض من اهتم بهذه الأصول، و نحن في هذه الرسالة نضع إشارة إلى الأصول النحوية عند البلاغين في القرن الثالث الهجري، مقتصرين على ما ضمنه البلاغيون في درسهم من الأصول النحوية مؤسسين به علمهم البلاغي و هي السماع و الإجماع و القياس و الإستصحاب بخاتمة تعرض فيها بأمثلة لمختلف الأصول.

---

(1) السابق ج 2، ص 238.

(2) الجزء 2 ص 259.

(3) ابن السراج ج1، ص 81.

تعليمه و على أئمة القراء، فكان سهمه وافر في ذلك و اجتهد واختص مجاهد بعد ذلك بإمارة ذاتية، و الجزائر الشرقية قد اشتهرت بها سوق القراء خصوصا فظهر لعهده أبو عمرو الداني و بلغ الغاية فيها و عوّل الناس عليها و عدلوا عن غيرها و اعتمدوا من بينها كتاب التسيير له...." و ربما أضيف إلى فنّ القراءات فن الرسم أيضا و هي أوضاع حروف القرآن في المصحف و رسومه الخطية، لأن فيه حروفا كثيرة وقع رسمها على غير المعروف من قياس الخط كزيادة ياء في " بأييد" و زيادة الألف في لا أذن و لا أوضعوا و الواو في جزاء الظالين، و حذف الألفات في مواضع دون أخرى و ما رسم فيه من التاءات ممدودا و الأصل فيه مربوط على شكل أنها مثل ﴿و بنعمت ربك فحدث﴾ و غير ذلك...

و من تفاسير القرآن ما يرجح إلى اللسان من معرفة اللغة و الإعراب و البلاغة في تأدية المعنى بحسب المقاصد و الأساليب و هذا الصنف من التفسير قل أن ينفرد عن الأول الذي يعتمد على القصص و ما استفيد من أهل الكتاب، ثم صارت علوم اللسان صناعية في التراكيب، وضعت الدواوين في ذلك، بعد أن كانت ملكا للعرب لا يرجع فيها إلى نقل و لا كتاب، و صارت تلقى من كتب أهل اللسان، فاحتج إلى ذلك في تفسير، القرآن، لأنه بلسان العرب و على مناهج بلاغتهم.

وهو الحجة الناصعة و الـــدّليل الواضح على فصاحة و بيان العربية، إذ لا يمكن إعطاء الحجة على صحة أي كلام في سرّ فصاحته دون اللجوء إلى القرآن الكريم، فهو الأصل الجوهري للغـــة العربية، يقول جلّ من قائل:﴿ إنّا أنزلناه قرآنا عربيا لعلهم يتفكرون﴾ و في كثير من المواطن نجد آي الذكر الحكيم ترشد الناس إلى التمسك بهذا اللسان من ذلك قوله تعالى : ﴿ لا تقولوا راعنا و قولوا أنظرنا﴾ فقد نبه العرب حين كان اليهود يهزؤون بهم عند سماعهم نطق كلمة راعنا التي كان معناها فاحش.

كما نرى رسول الله صلى الله عليه و سلم : حين أخطأ أحد بحضرته قال : [illegible] اخاكم فانه قد ضل". (1)

فإنه يتناول عدد من آي الذكر الحكيم فيصف مخارجها مواضع و بيان صفاتهـــا تقاربـــا و تباعدا، و جهرا و همسا، و أطباقا و انتفاحا و الأصوات المتناولة بهذا هي:
التّاء و الثاء و الدّال و الذال و الطاء و اللام و قد جاء كلامه في غير موضوع من الكتاب فكـــان تارة يعرض لتقارب المخارج الصوتية من غير وصف أو تعليق كقوله : و قال قالوا اطرنـــابك (2) فأدغمت التاء في الضاد لأنّها من مخرجها و تارة يصف مخارج الأصوات و يعـــين مواضعهـــا في الجهاز الصوتي كقوله: " التا تدغم أحيانا في الحال لأنّ مخرجها (قريب).. فأدغمت التاء في التاء فـــي الدال لأنّ التاء قريبة الـــمخرج من الدال فخرج الدال بطرف اللسان، و أطراف الثنيتين و كل ما قرب مخرجه فافعل به هكذا.

---

(1) الخصائص ، ج1، ، تحقيق عبد الوهاب النجار ط بيروت 1988، ص8.

(2) سورة النمل الآية رقم 47.

(3) سورة المطففون الآية رقم 36.

و كقوله تعالى ﴿هل ثوب﴾ (1) إن شئت أدغمت و إن شئت لم تدغم لأن اللام مخرجها بطرف اللسان قريب من أصول الثنايا و الثاء بطرف اللسان و أطراف الثنايا إلا أن اللام بالشق الأيمن أدخل في الفم و هي قريبة المخرج منها ﴿ بل تؤثرون﴾ (2) فادغمت اللام في التاء لأن مخرج التاء و بالتاء قريبا من المخرج اللام.

و كان تارة يصف مخارج الأصوات و يطلق على الأصوات نعوتها العلمية المختلفة كقوله و قال الله ﴿ واذكروا مع أمه﴾ (3) و إنما هي افتعل من " ذكرت" فأصلها " اذتكرت و لكن اجتمعنا في كلمة واحدة و مخرجهما متقاربان فالأول مجهور و الثاني مهموس فكرهوا أن يذهب منه الجهر فجعلوا في موضع التاء حرفا من موضعها مجهورا هو الدال لأن الحرف الذي فيها مجهور هو الذال و قرئت هذه الآية ﴿ أن يصلحا بينهما صلحا﴾(4) و هي أن يفتعلا من الصلح فكانت التاء بعد الصاد فلم تدخل الصاد فيها للجهر للأطياف فأبذلوا التاء صادا و قال بعضهم يصطلحا و هي الحيرة لما لم يعدر على إدغام الصاد في التاء حول في موضع التاء حرف مطبق.

---

(1) من سورة المطففين آية رقم 83.

(2) سورة الأعلى الآية رقم 16.

(3) سورة النساء الآية رقم 128.

(4) من سورة سبأ الآية رقم 137.

يمثل أساسا بالغ الأهمية للكتاب لأنه الكلام الذي يقاس به غيره و يعتمد عليه في معرفة القصد و الجور في ما نحا نحوه و اتخذ نهجه و إن كان القرآن الكريم من لغة العرب فإن معرفة جوانبه لغة و صرفا و نحوا لا تتم إلاّ بالرجوع إلى كلام العرب و تبيين خصائصه و مناهجه.

و الأجدر أن تبين لما للقرآن من صدارة في حفظ و مدّ بالغ الأهمية لهذه اللغة العربية من طول عمر و خلود، حيث نجد العلماء الذين اشتغلوا بالعربية في كل مجالاتها لا يستغنون عن هذا الكتاب حيث وضعوا مادته الأصلية موطنا للبحث و الإمعان لإستخراج لبّ العلة و بيانا و كشفا لأسرار العربية و فهم كنهها من خلال عرض الآيات المتعاقبة، إذ أنّ القرآن الكريم يفسر بعضه بعضا، فكان لزاما أن نتوخى التأويل فيه واستخلاص صفوة تعابيره.

و كون القرآن هو الأصل الأول للغة العربية فيه بنيت الضوابط القاعدية لدى النحاة فيه استشهدوا و عللوا صحة لغة، و تقوية أخرى و استعملوا بيان ذلك النص القرآني الذي كان الفصل الحق في إعطاء سرّ الإحتجاج لمن كان أهلا له، فلو نظرنا إلى من يحتج بلغته لوجدنا أنهم يتوقفون عند ابن هرمة فالسبب هو أن الشاعر كان قوي المعاني جيد الرصف استفاد من ألفاظ القرآن و تراكيبه و أحسن نظمها في قوالب يستساغ سماعها.

فإن القرآن الكريم يعد بحق هو المادة العلمية الأولى لكل علم، و كلّ من النحو و البلاغة في إطارهما العلمي لا بدّ أن نرجع إلى آي الذكر الحكيم و التمعن في كثير من موضوعاته المتفرقة أجزاؤه في الثنايا و بين دفتي الكتاب و النظر الفاحص يؤدي إلى إدراك ما في طياته، و في هذا الشأن نجد علماء القرن الثالث الذي انبروا للدرس و التنقيب في أغوار أي الذكر المبين ألفوا كتب في معاني القرآن مثل الأخفش (1) الذي خصص كتابا أسماه معاني القرآن فضم فيه:

(1) هو سعيد بن مسعدة الباحي المجاشعي (ت225 هـ).

و إذا كان القرآن الكريم من كلام العرب فإن معرفة كنهه لغة و صرفا و نحوا و بلاغة إلا بالرجوع إلى كلام العرب و بين خصائصه و مناهجه في التأليف و التعبير و لقد دأب أهل العربية أن يرحلوا إلى البادية ليشافهوا الأعراب الفصحاء و تزخر كتب للنحو و النحاه و علوم العربية بأسماء و وقائع كثيرة في هذا الأمر و ألح العرب المسلمون و الذين اعتنقوا الإسلام أن يحافظوا على هذه اللغة التي كانت و سيلة لحفظ لغة التواصل و الشرح إذ بها يعي المسلم أحكامه و من هذا الآنف ذكره يؤدي إلى ما للعربية من أهمية بالغة لدى المسلم ولا جير أن العالم المسلم تتبع أسرار العربية و كشف أغوارها فدارت الدراسة حول الكتاب المبين الذي أوضح ما للعربية من شأن عظيم فيقول عز من قائل : ﴿ إنا أنزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون﴾.(1)

الإستشهاد " بالقرآن الكريم".

و الحق أن الضرورة الملحة تظهر أن القرآن هو الذي جمع أولئك العرب على لغة واحدة بما استجمع فيها من محاسن هذه النظرة اللغوية التي جعلت أهل الأمصار على مختلف لهجاتهم يأخذون بها و لا يجدون لهم عنها مرغبا إذ يرونها كمالا لما في أنفسهم من أصول تلك الفطرة البيانية التي أودعها الله في حافظاتهم اللغوية إذا كانت تعد من أسمى القيم التي اعتز بها العرب و القرآن الذي نزل على نبينا العربي الفصيح لم يجد له العرب أصولا و إن كانت من لغتهم بيانا و معنى حيث أجمع علماء اللغة إن القرآن اعجاز من كل جوانبه و جلت قدرة الله أن يضع لغة جامعة مانعة.

و الواضح أن أهمية النص في لغته و إن كانت الجوانب مختلفة في شتى العلوم تدفع العلماء على دراسته و تدارسه إلا أن كشف الأسرار و المعاني لا يكونان إلا باللغة حيث يقول جل جلاله: ﴿ الرحمان علم القرآن خلق الإنسان علمه البيان ﴾.(2)

---

(1) سورة الرحمان الآية رقم 1، 2، 3.

و من مثل ماجاء في سر الذكر الحكيم من لغات أهل الحضر و المضـــر كـــل حســـب ماأخذه و نجد أن القرآن قد استحود على جميع الألسنة كما وضع معالم تحمي و تحفظ سياق اللغة التي جاءت (أقالي) مميز خاص حتى أن بعض العلماء اسموها بلغة القرآن كي لا تختلـــط بلغـــة الخطاب الإسناني.

و لنضرب أمثلة على ذلك من آي الذكـــر الحكيـــم ففـــي ســـورة يوســـف : قولـــه تعالى :﴿ و جاءوا أباهم عشاءا يبكون. و قالوا يا أبانا إنا ذهبنا نستبق و تركنا يوسف عنـــد متاعنا فأكله الذيب ﴾(1).

فلنتمعن في السياق القرآني الكريم إنه عود القارئ و المستمع بصيـــغ و تراكيـــب تهـــز مشاعره دون أن يجد حرجا في فهمها، و ذلك أن العربية و صف لذات القرآن لا ينفصم عنـــه، ففي الآيات مثلا يأخذ النحاة أجزاء الجملة و يستدلون بمعانيها أن البلاغيون فيقفون على اللبنـــة الأولى للنحو كان النحو هو قاعدتهم الأولية، كما أن مذاهب النحاة المختلفة كـــانت ضوابـــط للبلاغة كالتقديم و التأخير و الحذف، و التعريف، و التنكير، و التأنيث، و التذكير، و الفصـــل، و الوصل، و كلّ في بابه إذ لجأ البلاغيون إلى تأسيس علمهم على مادة أصلية تتضمـــن الأصـــول النحوية.

ومن الواضح لدى الدارسين أن العلماء من الرعيل الأولى و القرن الثالث بـــالذات، بنـــوا ضوابط القاعدة النحوية على أصول لا يمكن الإستغناء عنها بأي حال من الأحوال و ثبت أن كنه هذه الأصول بها تستقيم معرفة علم البلاغة و من الحكمة الإستئناس بها.

---

(1) سورة يوسف الآية رقم 5.

و لتوضيح ذلك ليس معناه أن البلاغة كمادة علمية أو ثروتها العلمية لم تكن قادمة بل من يبحث فيها كان غير موجود أو بالأحرى العالم المستغل بها الذي خصص لهذا العلم أو مصطلح " بلاغي" و لكن نرى من اشتغل للبلاغة و أسس مصطلحاتها و جعل بها استقلالية هو صاحب السبق لا من خاض موضوعاتها كمادة و سرى حذوها.

و في هذا الشأن نجد النصوص التي تبين لنا أن بعض البلاغيين في القرن الثالث هجري أثاروا موضوعات جد خطيرة للغاية مستعينين بالقرآن العظيم و ذلك في الإيجاز مثلا ما جاء في كتاب تأويل مشكل القرآن تأليف أبي محمد عبد الله (بن مسلم بن قتيبة الدينوري المتوفي سنة 276 هـ في الحذف و الإختصار فيقول: " من ذلك أن تحذف المضاف و تضم مقامه المضاف إليه... (1) و لقد أتي بالأمثلة التي تناسب من القرآن الكريم إذ هي الأصوب و الأبلغ و الأصح، و الداعي إلى ذلك هو الإحاطة و الهيمنة فالإعجاز القرآني جلي في ذلك.

(1) تأويل مشكل القرآن لأبي محمد عبد الله ابن مسلم الدينوري المتوفي سنة 276 المكتبة العلمية شرح السيد أحمد صقر ص 210 سنة 1972.

و نستنتج من هذا القول: إن كل هذه الشعوب و الأمم التي التحقت بالإسلام أو كانت تحب حماية الدولة الإسلامية صارت إلا تعلم اللغة العربية، لغة القرآن الكريم و فهم معاني كلام العرب حتى تسير على نهجهم و لم يزد على قرن حتى عمت اللغة العربية كل أنحاء الدولة الإسلامية.

• ومن ميزة لغة القرآن :

إنه يضم كلمات، و تعابير و إن كانت من اللغة العربية إلا أنها تحمل دلالات لم تعهد من قبل لدى المجتمع العربي و من الأمثلة التي نوردها ما جاء في القرآن الكريم قوله تعالى : ﴿ مدهامتان﴾ (1) فإن تلك الكلمة الموجزة دلت على أشياء لم تكن قريحة من قرائح العرب لتأتي بمثلها في هذا لأسلوب المعجز.

و من جهة ثانية نلتمس الفرق الشاسع بين لغة القرآن و لغة التخاطب من حيث البلاغة لأن التفاضل بين لغة و أخرى إنما يقع في حسن الرصف و الإيجاز إلخ من علوم البلاغة لكن القرآن الكريم جمع كل جواهر ما ينتهي إليه المتكلم و السامع لأن لغة القرآن تخاطب البشرية جمعاء و لنا أن نسمي.ذلك أمر من أمور الله تعالى التي يبثها في نفوس البشر و من ذلك نجد قول الله تعالى من سورة الرحمان ﴿ الرحمان علم القرآن خلق الإنسان علمه البيان﴾ (2) فالبيان ها هنا يدل على الكشف و الوضوح و له تفاسير أخرى.

---

(1) من سورة الرحمان آية رقم 1،2،3.

(2) من سورة الرحمن الآية رقم 64.

و قد تناول موضوع علم البلاغة كل من النحاة و علماء الأصول، و الدراسات القرآنية، و تتأثر هذه الدراسات في شكل من التعمق مصنفة مرتبة حسب ما يقتضيه الدرس (1) و من العلوم التي ظفرت بعناية الدارسين في مجالات شتى النحو الذي وضع من أجل تقويم، و تقييم اللغة التي غدت غير واضحة لدى العرب و العجم الذين دخلوا في دين الله فكان لزاما على من عنوا بالعلوم الدينية عموما استقرأو النصوص الموثوق بها ثم عللوها و أولوا ما استطاعوا، راجعين في ذلك إلى الشعر و القرآن الكريم و الحديث الشريف حتى يسنوا للغة قوانين تضبط ألسنة هؤلاء الوافدين إلى أمة الإسلام من أمم مختلفة كذا من جاورهم من القبائل العربية ففسدت ألسنتهم.

و اللغة هي ترجمان عما في الضمائر من معان و لذلك نجد اختلاف بين من كاتب إلى آخر إذا كانا لا ينتميان إلى نفس البلد و السبب في ذلك هو اللغة فعلى غرار ذلك ما جاء من أخبار في اللغة الفارسية لا يؤدي المعنى الجوهري في اللغة العربية.

و البلاغة علم قائم بذاته كباقي العلوم اللغوية فكانت صلته بالقرآن وطيدة، إذ من أجله سنت، فكان أهلها يتتبعون الإعجاز القرآني، فينظرون إلى أسلوبه تارة و إلى بيانه تارة أخرى، و صارت البلاغة في ذلك لم يكن لها لتخرج منه إلاّ إذا بينت الحجة الدامغة، إلا أن ذلك كان أمرا راقيا كلّ يأخذ بحسب مقدرته، و كيف لا و الله جلّ جلاله يقول في محكم تنزيله :﴿ و أتوا بسورة من مثله﴾ (2) بيان على إعجاز و قوة بيانه و حسن رصفه (3)

---

(1) كل دارس أخذه حسب ما تحتاج إليه مادته ينظر لغة القرآن الكريم ص 287 و مابعدها ط مكتبة الرسالة الحديثة الأردن عمان و إعجاز القرآن لمصطفى صادق الرافعي ينظر فقه اللغة لعبد الواحد وافي ص 210.

(2) من سورة البقرة الآية رقم 23.

(3) لم يكن هناك فصل بين اللغة المعروف بمصطلحه الحالي بل كانت الدراسة تميل إلى الشمولية ينظر ابن قتيبة مشكل القرآن في نسخه و تزيينه و عيون الأخبار للكاتب لغه نفسه في تناوله المواد المختلفة.

و القرآن الكريم قد دفع البلاغة إلى دراسة الظواهر اللغوية التي أنشأها، فمن هذا المنطلق انبثقت الدراسات ذات الأهمية الكبرى لفهم ما في الآي الكريم و الذكر الحكيم، و لخدمة الدين.

فعلاقة البلاغة بالدراسات القرآنية من الضرورات الأكيدة، فلا يتصور دراسة نص قرآني في مسائل التفسير أو المقاصد التشريعية دون التعرض للبلاغة، إذ هي لبّ اللغة العربية، و بذلك استشهد علماء اللغة في بادئ الأمر.

البيان أمر ذكر في القرآن الكريم و كشفت عنه السنة النبوية الشريفة، و إن اللغة كانت أمرا ضروريا و البلاغة، النهاية و الهدف المنشود في عموم ما جاء في مفهومها عند القدماء(1).

و ما كان للغة أن تتميز عن أخرى إلاّ بجوهرها (2) البلاغي و إذا نظرنا إلى الدراسات و البحوث المتعلقة بالقرآن الكريم يحول نظرهم نحو اللغة و حسن رصفها، و أدائها و مكانة بلاغتها، فهم يرقون بأحاديثهم و كتاباتهم، و بالقرآن يشحذون قرائحه فيحرزون على أرقى المراتب و من الملاحظات الدقيقة إلى القرآن من حيث الأسلوب نجد إشارات تبّين ما للغة من فوائد جمة، لا يمكن التخلي عنها، و أرقاها ما جاء موجزا غير ممل و لا مخيل و هذا الذي تناوله الدارسون (3) من قبل في شأن القرآن الكريم.

---

(1) ينظر الشروح، للتلخيص و المفتاح لبهاء الدين السبكي.

(2) منهاج البلغاء ص 41.

(3) البيان و التبيين ص 78.

و أفصح كلام يحتاج الذكر و التنويه، و إن كان يسري ضبطه على قوانين ترتيب الجملة العربية، إلاّ أن جمله تختلف عن الجمل المتداولة لما اشتملت عليه من حسن البيان، و دقة الصنع و بديع الإحكام و ما تتركه في النفوس من أثر، فتراكيب القرآن الكريم تفوق أي تركيب لغوي، هذا فضلا عن بديع إحكامها، و دقة تأليفها، فهي تحمل معان قدسية، و تنطوي على أسرار ربانية، و تراكيب جديدة لم تعهدها اللغة العربية، و لن يستطيع أحد أن يأتي بمثله، و من ذلك قوله تعالى : ﴿ **فأتوا بسورة من مثله و أدعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين** ﴾. (1)

و من السالف ذكره نستخلص أن اللغة القرآنية بعثت الروح في لغة القرب المتداولة، و الدليل على ذلك نرى العلوم اللغوية لم تنشأ إلاّ في حضن الدراسات الإسلامية التي كانت تتصل اتصالا وثيقا، حتى المسيحيين الذين كانوا يعيشون تحت النفوذ الإسلامي خضعوا لذلك.

إذ لم يستطيعوا أن ينهجوا الدرس اللغوي إلاّ باتباعهم لأصول اللغة، و بما أن أرقى التعابير كانت في طيات الذكر الحكيم فألزموا بالإقتباس و إنّ كانوا لا يعتقدون بما جاء في القرآن من تعاليم. (2)

---

(1) سورة البقرة الآية رقم 23.

(2) ينظر إعجاز القرآن لمصطفى صادق الرافعي ص29.

البلاغة و الأساليب القرآنية:

حين نزّل القرآن الكريم أحس العرب بشيء من الدهشة التي أدت بهم إلى القول بأنّه ليس من قول البشر، و ذلك لما فيه من أساليب متنوعة، متميز في خطابه، نظرا لإختلاف المخاطبين في أحوالهم و مستوياتهم و تعدد الأغراض التي قصد إليها و الموضوعات التي عالجها، و كشفه للحقائق التي غابت عن آذانهم.(1)

فهو أسمى الأساليب، فالأسلوب في اللغة السطر من النخيل، و كل طريق ممتد فهو أسلوب، و من هذا أخذ و في الإصطلاح يشمل كل أنواع الأساليب على اختلافها، و تعددها و عرفه أهل اللغة هو طريقة التعبير (2) و التعاريف السابقة لم يتعرض إلى الأسلوب القرآني، فاقتصرت على تعريف أدبي، و قد عرفه البلاغيون بأنه اختيار الألفاظ و تأليفها للتعبير بها عن المعاني قصد الإيضاح و التأثير(3) و كلا التعريفين لا ينطبقان على تعريف أسلوب القرآن لأنّ أسلوب القرآن مانع من الإشتراك فهو متميز بذاته عن كل الأساليب المعروفة (4) و حول هذا المعنى يقول مصطفى صادق الرافعي رحمه الله " ومما لا يسعه إنسان في نظم الكلام البليغ تم مما يدل على أن نظم القرآن مادة فوق الصنعة و من وراء الفكر و كأنها صبت على الجملة صبا - أنك(5) ترى بعض الألفاظ لم يأتي فيه إلاّ مجموعا و لم يستعمل منه صغة المفرد، فإذا ارتجال إلى هذه الصيغة استعمل مرادفها كلفظة اللّب، فإنها لم ترد إلاّ مجموعة كقوله تعالى : ﴿ إنّ في ذلك لذكرى لأولى الألباب ﴾.(6)

---

(1) ينظر إعجاز القرآن لمصطفى صادق الرافعي ص 29.

(2) ينظر المعاليم العربية.

(3) المصدر السابق من نفس الصفحة الإشتقاق.

(4) ينظر للمصدر السابق رقم1.

(5) المصدر السابق.

(6) قرآن كريم من سورة ص آية رقم 43.

فطبيعة الأسلوب القرآني الكريم تختلف مع كل أنواع الأساليب البشرية فهو ليس من قبيل الشعر و لا من قبيل النثر بأنواعه المعروفة، و إن كان يجمع من خصائص كلّ منها، و قد تميز بخصائص جمة ميزته عن كل ماعداه (1) و قد بينه الله جل جلاله في القرآن الكريم حيث يقول: ﴿ و ما هو بقول شاعر قليلا ما تؤمنون، و لا بقول كاهن قليلا ما تذكرون﴾ (2)

و لو كان من الفنون الأدبية البشرية لما اعتجز الناس في الفترات المتعاقبة، و من الأمور التي تثير اهتمام الدارسين نسقه و استعمال حروفه و ظروفه و كلماته، و تراكيب آياته من حيث المشكل المضمون، فكيف لا يعجز و هو من عند الخالق الذي أنطق كل شيء فلا يحتاج ذلك إلى تعليل بشر فعله الإعجاز ففيه مذكورة من كل الجوانب، و ما على الإنسان إلاّ تتبع دقائقه و فهمها لينال مراده في كل مجال.

---

(1) ينظر اعجاز القرآن و البلاغة النبوية لمصطفى صادق الرافعي ص 232 ط 3 دار الكتاب العربي، و ينظر لغة القرآن الكريم الدكتور عبد الخليل عبد الرحيم مكتبه الرسالة الحديثة ط غير واردة.

(2) سورة الحاقة الآية رقم 41-42.

الفصل الثاني

التقاطع بين مستويي النحو و البلاغة

- صلة النحو بالبلاغة 49
- الدليل على الصلة 50
- مظاهر الصلة 51
- صلة البلاغة بالدراسات القرآنية 55
- من مزايا القرآن الكريم 58
- بلغاء القرن الثالث الهجري 60
- بين أصول الفقه و النحو 69
- البلاغة و الأساليب القرآنية 92

و من الظواهر النحوية التي وظفها البلاغيون في درسهم البلاغي:

تـــوكـــيـــد الضـــمـــيـــريـــن:

فإنّ سئل عن هذا الموضع، و قيل ما فائدة ذكرها في البلاغة، و هي في النحو أجدر ، فما حاجتنا بها هاهنا، فيتضح ذلك حين نبحث ما للضمير من قيمة في الدرس البلاغي، و ما ســـتراه سيكون أمرا خارجا عن الأمر النحوي، بل يكون ذلك مكملا للنحو. (1)

و نعني بقولنا توكيد الضميرين أن يؤكد المتصل بالمنفصل كقولك: إنّك أنت" أو توطيـــد المنفصل بالمنفصل مثل قول القائل : " أنت، أنت" أو توكيد المتصل بالمتصل مثل قولك " إنّك لعالم أو إنّك إنّك لجواد".

و كل هذا يأتي في معرض المبالغة و هو من أسرار علم البيان إذ كان المعنى المقصود معلوما ثابتا في النفوس البشرية، فأنت بالخيار في توكيد أحد الضميرين فيه بالآخر، و إذا كان غير معلوم و هو مما يشك فيه، فأولى حينئذ أن يؤكد أحد الضميرين بـــالآخر في الدلالـــة عليـــه، لتقـــرره و تثبيته.

(1) ينظر المثل السائر في أدب الكاتب و الشاعر في توكيد الضميرين.

التقديم و التأخير

في التقديم و التأخير : قال صاحب كتاب المثل السائر في أدب الكاتب و الشاعر.

هذا باب طويل عريض، يشتمل على أسرار دقيقة منها ما استخرجته أنا، ومنها ما وجدته في أقوال علماء البيان، و سأورد ذلك مبينا. و هو ضربان:

الأول يختص بدلالة الألفاظ على المعاني، ولو أخر المقدم أو قدم المؤخر لغير المعنى الثاني يختص بدرجة التقدم في الذكر لإختصاصه بما يوجد له ذلك، و لو أخر لما تغير المعنى.

فأما الضرب الأول فإنه ينقسم إلى قسمين إحداهما يكون التقديم فيه هو الأبلغ و الآخر يكون التأخير فيه هو الأبلغ فأما القسم الذي يكون فيه هو الأبلغ فكتقديم المفعول على الفعل و تقديم الخبر على المبتدأ و تقديم الظرف أو الحال أو الإستثناء على العامل فمن ذلك تقديم المفعول على الفعل كقوله: زيدا ضربت، و ضربت زيدا، فإن في قولك: "زيدا ضربت، تخصيصا له بالضرب دون غيره، وذلك بخلاف قولك ضربت زيدا، لأنك إذ قدمت الفعل كنت بالخيار في ايقاعه على أي مفعول شئت، بأن تقول خالدا أو بكرا، أو غيرهما و إذا أخرته لزم الإختصاص للمفعول و كذلك تقديم خبر المبتدأ عليه كقولك : " زيد قائم" فقولك قائم زيد قد أثبت له القيام دون غيره، و قولك زيد قائم، أنت بالخيار في إثبات القيام له، و نفيه عنه، بأن تقول ضارب أو جالس أو غير ذلك.

و هكذا يجري الحكم في تقديم الظرف كقولك إن علي مصير هذا الأمر، و قولك: إنّ مصير هذا الأمر إليّ إذ يحتمل ايقاع الكلام بعد الظرف على غيرك" فيقال: إلى زيد، عمر، أو غيرهما. و كذلك يجري الأمر في الحال و الإستثناء. و كذلك علماء البيان و منهم الزمخشري – رحمه الله– إنّ تقديم هذه الصورة إنما للإختصاص و ليس كذلك(1).

---

(1) ينظر المثل السائر.

أصـــل الحـــذف عـــنـــد الـــبـــلاغـــيـــين:

إن الحذف عند البلاغيين صورة من الظواهر الجمالية التي بنى عليها العرب الأول لغتهـــم، ثم جاء أقوام فساروا على نهجهم باتخاذهم هذه النظريات التي تزيد وضوحا ودقة للكلام. فدارس اللغة العربية يعلم أن العرب ما بهرهم القرآن الكريم من إعجازه، الفصاحة و البلاغة و من ذلـــك الحذف كقوله تعالى: ﴿ و جاء ربك و الملك صفا صفا ﴾(1) أي: وجاء أمر ربك، و هذا يسمى بالمجاز، و لقد عقد أبو عبيدة(2) كتابا سماه " مجاز القرآن"، و " المجاز يطلق على كلمة تغير حكم اعرابها بحذف لفظ أو زيادة لفظ، كقوله تعالى: ﴿ فسأل القرية ﴾(3)

و يمكن الإشارة إلى أن الحذف كان له الأثر البالغ في نفوس الدارسين و العلمـــاء منهـــم النحاة و البلاغيون من بعدهم، فكان ذلك كله من أجل فهم جمال و سر فصاحة اللغـــة العربيـــة و من ثم كشف معانيها، و التي تسهم في تفسير القرآن الكريم، ولذلك نجد أهل الشريعة أول ما يطلب عندهم حفظ اللغات و اللغات تحفظ و لا تضبط إلاّ بعلومها أو أركانها كما جاء في مقدمة ابن خلدون " ... اللسان العربي أركانه أربعة و هي اللغة و النحو و البيان و الأدب و معرفتها ضرورية على أهل الشريعة إذ مأخذ الأحكام الشرعية كلها من الكتاب و السنة، و هي بـــالعرب و نقلتها من الصحابة و التابعين عرب و شرح مشكلاتها من لغاتهم، فلابد من معرفـــة العلـــوم المتعلقة بهذا اللسان". (4)

---

(1) سورة الفجر الآية رقم

(2) أبو عبيدة معمر و بن المثنى التيمي من تيم قريش و له من الكتب ما عدده 115 كتابا.

(3) من التلخيص في علوم البلاغة

(4) مقدمة ابن خلدون.

و خير ما نستشهذ به في البلاغة القرآن الكريم على أن اللغة العربية هي أرقى اللغات كما أكد على ذلك الله جل جلاله في قوله: ﴿ قل لئن اجتمعت الإنس و الجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله و لو كان بعضهم لبعض ظهيرا﴾ (1) و قوله ﴿ الرحمن علم القرآن خلق الإنسان علمه البيان﴾ (2) و من خلال هذه الآيات البينات يتضح لنا بأن القـــرآن معجـــزة في أسلوبه و نظمه و معانيه و من الآيات التي تقوم ألسنة الناس قوله تعالى : ﴿ لا تقولـــوا راعنـــا و قولوا أنظرنا﴾ (3) فالله جل جلاله ينبه المؤمنين إلى الإبتعاد عن هذه الكلمة " راعنا" التي لهـــا معنى فاحش عند اليهود، و من هنا نلتمس التوجيه القرآني للعرب في تنقيـــح لغتهـــم و تدقيـــق معانيهم.

و البلاغة تجمع ثلاثة أنواع تتمثل في البديع و المعاني و البيان و الغرض من هذه الأنـــواع البلاغية سواء كانت في الكلام أو في المتكلم ترجع إلى أمرين.

- **أولهما**: الإحتراز من الخطأ في تأدية المعنى المراد بالإبتعاد عن التعقيد لفضا و معنى.
- **تانيهما** : تمييز الفصيح من غيره بمعرفتي علمي النحو و الصرف.

و الواضح أنه لا يمكن للمرء أن يحيط إحاطة كاملة بنشأة البلاغة العربية و الحديث عنهـــا منثور في بعض الدراسات النظرية و في كلام العرب المنثور و المنظوم و يتبين ذلك من تقنيتهـــم في طرق التعبير عما يختلج في خواطرهم مما يشهد لهم بعلو مكانتهم في عالم الفصاحة و البلاغة.

و إذا التفتنا إلى الكلام المنظوم، و جدنا الأشعار تمثل أغلب أدبهم و قد صيغت في أساليب البيان المختلفة من تشبيه، ومجاز، و استعارة و كناية و كلها كانت ترد عفوية و تجري على ألسنة الشعراء مجرى السليقة دون اللجوء إلى التكليف و التصنع.

---

(1) من سورة الإسراء رقم 88.

(2) من سورة الرحمان رقم 1و 2و3.

(3) من سورة البقرة رقم 104.

و هذا ما يشير إليه الأدباء اللغويون الأوائل، و خصوصا علماء القرن الثالث الهجري الذين جمعوا بين المدرستين البصرية و الكوفية، و من بينهم ابن قتيبة الدينوري (1) تلميذ الجاحظ.

و من ذلك نرى التحليل الوظيفي لمقولة التخصيص الذي نجده في نظرية متميزة حول الدور الإخباري لأجزاء الجملة أو عناصر الكلام المختلفة و عدا عن هذا الجانب يصرف اهتماما كبيرا في هذه النظرية إذ بها تحدد الخصائص الدلالية و الشكلية لما يسمى بالمعارف و النكرات و يميز هذا العنصر " ال" في مصطلح " أداة التعريف أو حرف التعريف" كوحدة لغوية متميزة إلا أن المسائل الأساسية لدراسة التعريف و التنكير لا تبحث في نظرية الأداة فقط بل في معاني التعريف كوحدة لغوية متميزة إلا أن المسائل الأساسية لدراسة التعريف و التنكير لا تبحث في نظرية الأداة فقط بل في معاني التعريف و التنكير و هذه النظرية تختص بها جميع وحدات اللغة. و نرى العلماء الأوائل قد قسموا الأسماء " معارف" و " نكرات".

و تبدأ هذه بدراسة صنف النكرات لأنهم وضعوا النكره هي الأصل و المعرفة هي الفرع و لاغرو وفي ذلك لأن من الطبيعي و البديهي مثل كون الواحد بداية العدد و تبعه في ذلك العلماء الذين تلوه (2).

(1) هو أبو محمد بن عبد الله بن قتيبة الكوفي المتوفي سنة 270 هـ أحد جماع علوم اللغة العربية و الدين و كان ثقة عالما بالغ و النحو و غريب القرآن و معانيه و لقب بالدينوري لأنه تولى القضاء بمدينة دينور الفارسية ينظر كتاب الفهرست لابن النديم ص 247 تحقيق د. مصطفى الشويمي.

(2) ينظر المصدر السابق الصفحة نفسها.

إن دراسة هذه الأصول تستدعي عند علماء اللغة العربية كثيرا من المسائل الأصولية التي لا تقل أهمية عنها و هناك نمطين لمعنى التعريف و التنكير.

أ – صـــنـــف خـــاص:

و هي الذي يكون فيها ضروريا لوجودها و قيامها بوظيفتها في اللغة و يطلـــق عليهـــا التعريف الأصلي و مثل هذا يكون في أسماء الإشارة و الموصولة.(1)

ب – صـــنـــف عـــام:

و هو الصنف الذي يحمل معنى النكرة في صيغته الأصلية ثم يصبح من المعارف نتيجة تأثير عوامل لغوية معروفة أي كل الأسماء العامة يمكنها أن تحل محل المعارف في طبيعتها و يدخـــل في هذا الإطار الإسم المعروف بأداة التعريف.

و ينظر علماء اللغة أن الضمير " أنت " يمكن أن يكون معرفا بالهمزة (2) التي تدل علـــى التعريف.

---

(1) علماء اللغة الرعيل الأول من درسوا اللغة شمولية دون تقسيمها إلى علوم منفرقة مثل ماجير عند ســـيبويه و ابـــن قتيبـــة و غيرهم.

(2) ينظر السيوطي : "الأشباه و النظائر" و كتاب "المزهر في اللغة و علومها" (المقدمة).

و ما يؤكد أن الأصول النحوية عند البلاغيين استنبطت من متـــون و مؤلفـــات العلمـــاء النحارير في هذا القرن الثالث الهجري الذي كانت الدراسات القرآنية تعج بالآراء التي تعـــالج في تأويل و فهم معاني القرآن الكريم كما نجدها في طيات الكتب المؤلفة آنذاك مثل كتاب معـــاني القرآن و مجاز القرآن لكل من الأخفش (1) و الفراء، و أبي عبيدة (2) و تأويل مشكل القـــرآن لأبي محمد بن عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري. (3)

و لنضرب أمثله على ذلك من الأصول التي ضمنها كل من الأخفش وابن قتيبة. فالأخفش قد اعتنى بالمعاني التي يقصد بها العلوم العربية التي تؤدي إلى كنه و ماهية القرآن الكريم، و في هذا الشأن نجده قد وظف في دراسته الأصوات اللغوية مثل قوله : " قالوا طيرنا بك".

(1) ينظر: معاني القرآن و كتاب مقاييس النحو، كتاب الأصوات، كتاب النصرين.

(2)هو معمر بن المثنى التيمي من تيم قريش لا تيم الرباب توفي 210هـــ، و له كتاب مجاز القرآن، و غريب القرآن و معـــاني القرآن، و غريب الحديث و كتب أخرى في مجالات شتى من الأدب و اللغة.

مـا أخـذه الـبـلاغـيـون مـن الـنحاة :

فالأصل الجوهري الذي اعتمده النحاة هو القرآن الكريم، إذ جعل النحاة معرفة مسالك الأسلوب القرآني حيث ركزوا على العطف إذبه يميز بين الإنشاء و الخبر، و كان البلاغيون آنذاك ينهجون نفس المسلك فسموه الفصل و الوصل، فلكل كلام يؤثر في النفس البشرية فيشكل نسقا لغويا ذو ميزة خاصة.

و مجمل القول أن البلاغيون و جمهور النحاة متع العطف بين الإنشاء و الخبر ضوابط عدة أوجزها فيما يأتي:

* ألا يكون ثم جامع بينهما و هذا هام جدا في جميع الجمل سواءا اتفقت انشاء و خبرا أو اختلفت، إن انتفى الجامع لم يستقم البته العطف بين الجملتين أي كان نوعهما. (1)

* ألا يكون للأولى المعطوف عليها كل أعرابي أو قيد دلالي يراد اشراك المعطوف له فيه قصد الإشراك من ذلك العطف، و الذكر الحكيم فيه كثير من ذلك : ﴿ و قالوا: حسبنا الله و نعم الوكيل ﴾.(2)

---

(1) ينظر: كتاب المفتاح ص 131.

(2) من سورة آل عمران الآية رقم 173.

و من أمثلة العطف التي ساقها النحاة و البلاغيون، و جعلوها مانعة بين الإنشاء و الخبر، مستأنسين بما جاء به العلماء في تأويل ذلك في علم التفسير متبعين نظرا تقويميا. (1)

فإن الأداة العاطفة في القرآن الكريم توحي بالمعنى الدلالي للآية ففي قوله تعالى: ﴿ و إن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله ، و ادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين، فإن لم تفعلوا,فاتقوا النار التي وقودها الناس و الحجارة أعدت للكافرين، و بشر الذين آمنوا و عملوا الصالحات أن لهم جنات تجري من تحتها الأنهار﴾(2)

إلى أن الآية : ﴿ و إن كنتم في ريب...﴾ الآية معطوفة على الآية ﴿ اتقوا﴾ و هما متشابهان انشاء ولفظا و معنى.

(1) ينظر مسالك العطف للدكتور محمود توفيق محمد سعد ص13 مطبعة الأمانة 1993 الأول.

(2) من سورة البقرة الآية رقم 23-25.

و العطف في كتاب الله عزوجل أكمل الوجوه على الإطلاق بالأدوات المعروفة المتداولة بين النحاة، إلا أن البلاغيين كان لهم السبق في وضع بعض الإشارات التي تعني بأن النصوص القرآنية تنتقى بها الضوابط التي تجعل الكلام العربي مستقيما، و ذلك ما وجد في وصية بشير بن المعتمر الآتي نصها (1) يقول فيها: " خذ من نفسك ساعة نشاطك و فراغ بالك، فإن قليل تلك الساعة أكرم جوهرا، و أشرف حسبا، و أحسن في الأسماع و أحلى في الصدور، و أسلم من فاحش الخطأ، و أجلب لكل لفظ شريف و معنى بديع، و اعلم أن ذلك أجدى عليك مما يعطيك يومك الأطول بالكد و المجاهدة، و بالتكلف و المعاودة، و مهما أخطأك الكلام حينئذ لم يخطئك أن يكون خفيفا على اللسان سهلا، كأنه خرج من ينبوعه و نجم، من معدنه.

و إياك و التوعر فإن التوعر يسلمك إلى التعقيد، و التعقيد هو الذي يستهلك معانيك، و يشين ألفاظك، و من أراد معنى كريما فليلتمس له لفظا كريما، فإن حق المعنى الشريف اللفظ الشريف.

و ليكن لفظك رشيقا عذبا، و فخما سهلا، و معناك ظاهرا مكشوفا، و قريبا معروفا، إما عند الخاصة إن تكن عند الخاصة قصدت و إما عند العامة إن كنت أردت.

و المعنى ليس يشرف بأن يكون من معاني الخاصة و كذلك ليس يتضح أن يكون من معاني العامة، و إنما مدار الشرف عن الصواب و إحراز المنفعة مع موافقة الحال و ما يجب لكل مقام من مقال و كذلك اللفظ العامي و الخاصي. فإن أمكنك أن تبلغ من بيان لسانك و بلاغة قلمك، إلى أن تفهم العامة معاني الخاصة، و تكسوها الألفاظ الواسطة التي تلطف عن الدهماء، و لا مجفوا الأكفاء فأتت البليغ التام..." (2)

---

(1) البيان و التبيين ج1، ص160.

(2) المصدر نفسه.

و في هذا المضمار نضرب أمثلة عما وظفه البلاغيون في درسهم مقتبسين آيات من السماع النقلي سواء أكان من القرآن و السنة أو كلام العرب و من هذا القبيل العطف الذي سماه البلاغيون الوصل أو الفصل. (1)

قبل تناول هذا الباب لابد من تعريفه لغة واصطلاحا عند كل من النحاة و البلاغيين، و إعطاء أمثلة من القرآن و كلام العرب منثوره ونظمه.

كما نذكر بعض الدراسات التي أولاها كل من النحاة و البلاغيين على سبيل المثال لا الحصر كالتعريف و التنكير و الإلتفات و الإستثناء.

(1) ينظر المبرد الكامل و الأخفش معاني القرآن.

الفصل الرابع

الوصل و الفصل

- تعريف الوصل لغة.
- تعريف الوصل اصطلاحا.
- تعريف الفصل لغة.
- تعريف الفصل اصطلاحا.
- **الفصل والوصل:**
- تعريف الفصل عند البلاغيين.
- الفصل عند بلاغيي القرن الثالث الهجري.
- **التعريف و التنكير:**
- تعريف التعريف لغة.
- تعريفه اصطلاحا.
- أنواع التعريف.
- التنكير.
- الإلتفات.
- الإستثناء.
- السنة.
- الإجماع.
- القياس.

الـــوصـــل و الـــفصل :

جاء في (الصحاح تاج اللغة و صحاح العربية) " لإسمـــاعيل ابـــن حمـــادة الجوهـــري" (ت 400هـــ) في مادة [وصل]: " وصلت الشيء وصلا وصلة، و وصـــل إليـــه وصـــولا، أي بلغ:و أوصله غيره. و وصل بمعنى اتصل، أي دعا دعوى الجاهلية"، و هو أن يقول يا لفلان قـــال تعالى :﴿ إلاّ الذين يصلون إلى قوم﴾ (1) أي يتصلون و الوصل: ضد الهجران. و الوصل وصل الثوب و الخف و يقال هذا وصل هذا، أي مثله، و بينهما وصلة، أي اتصال وذريعه، وكل شيء اتصل بشيء فما بينهما وصلة و الجمع وصل.

و الأوصال المفاصل، و الوصلة التي كانت في الجاهلية، هي الشـــاة تلـــد ســـبعة أبطـــن عناقين : فإن ولدت في الثامنة جديا ذبحوه لآلهتهم، و إن ولدت جديا و عناقا قـــالوا: " وصلـــت أخاها، فلا يذبحون أخاها من أجلها، و لا يشربون لبنها النساء و كان للرجال، وجـــرت مجـــرى السائبة و الوصلة العمارة و الخصب. و الوصيلة الأرض الخصبـــة، و الوصلـــة الأرض الواســـعة و الوصائل الثياب المخططة يمانية و في الحديث: " لعن الله الواصلة و المستوصلة" فالواصلـــة الـــتي تصل الشعر و المستوصلة التي تفعل بها ذلك. و توصل إليه أي تلطف في الوصل إليه، و التواصل ضد التصارم و وصله توصيلا، إذا أكثر من الوصل، و واصله مواصلة و وصالا و منه المواصلـــة في الصوم وغيره".(2)

---

(1) سورة النساء الآية رقم 89.

(2) الصحاح ج 5 ،ص 1842.

و جاء في (أساس البلاغة) للإمام الزمخشري (ت 528هـ) في مادة | وصل|: " وصل الشيء بغيره فاتصل، و وصل الحبال و غيرها توصيلا: وصل بعضها ببعض و منه قوله تعالى : ﴿ و لقد وصلنا لهم القول﴾(1) و خيط موصل: فيه وصل كثير و وصلني بعد الهجر، و صرمني بعد الوصل و الصلة و الوصال و تصارموا بعد الوصال و هذا موصل الجبلين و العظمين، و وصلت شعرها وشعر غيرها و قطع الله أوصاله : مفاصلة قال ذو الرم | من الرجز|.

إن ابن موسى بلالا بلغته **** فقام بفاسٍ بين وصليك جازر.

و جاء في الحديث: " ما جعل الله من بحيرة و لاوصلة" و هي التي وصلت أخاها من بني الغنم فلم تذبح. و إذا مات رجل أو كتب أو نكب قيل لآخر: لا كتب له بوصل، أي لا وصلت به فيصيبك ما أصابه، و هو وصيل فلان: لمواصلة الذي لايكاد يفارقه، و وصل إليه وصولا و أوصلته إليه، و توصلت إليه: تلطفت حتى وصلت إليه و هذا وصلة إلى هكذا، و بينهم وصلة و وصل و ساق الله إلى وصلة حتى بلغت متصدي رفقة حملوني، و سمعتهم يسمون الزاد صلة بالضم. (2)

فالوصل إذا معناه لغة و ربط و جمع الشيء بالشيء و هو مصدر الفعل الثلاثي وصل.

---

(1) سورة القصص الآية رقم51.

(2) أساس البلاغة ص 145 بتصرف.

تـعـريـفـه إصـطـلاحـا:

هو عند البلاغيين عطف الجمل على بعض و المراد بالجمل جنس الجمل و فيه أقسام ذكرها أصحاب الشروح للتلخيص ترتبط ارتباطا و ثيقا باللغة و علومها، و كذلك هو إثبات الشيء في الجملة و يقصد به تشريك الجملة الأولى بالثانية في حكمها الإعرابي مثل أن تكون خبرا لمبتدأ، أو حالا، أو صفة أو نحو ذلك عطفت عليها الثانية ليدل العطف على التشريك" (1)

و هو عند النحاة العطف بين الكلم المفرد مع إشراكه في الحكم الإعرابي و يكون بأدوات مخصوصة و هي: الواو، و الفاء و حتى، و ثم، كقوله تعالى: ﴿ هو الأوّل و الآخـــر و الظّـاهر و الباطن﴾(2) و يكون بدونها كما جاء في قوله تعالى: ﴿ الملك، القدوس، السلام، المؤمـــن، المهيمن، العزيز، الجبّار، المتكبر﴾(3)

و حين نتفحص كتب النحو نجد هذا الباب مضمنا في أسلوب عطف النسق و ذلك أشهر عند الكوفيين أما عند البصريين، فاشتهر بعطف الشركة و سموه بذلك.

و أعظم من ذلك أن العلماء القدامى قصروا البلاغة على معرفة الوصل و الفصل لما لهمـــا من أهمية على المستوى التركيبي و المعنوي و كانت بقية الفنون البلاغية الأخرى أجزاء أو عناصر منهما و الحق أن كل لغة تمتاز بخصائص و أسرار لا يكتشفها إلا من كان خبـــيرا بهـــا و ملمـــا بخافاياها و قد اجتهد علماء العرب الأوائل و من تبعوهم في القرون اللاحقة في البحث عن أسرار العربية و توصلوا لمعرفتها و أبانوا ما يميزها من غيرها من اللغات. (4)

---

(1) ينظر شرح سعد الدين التفتزاني ص 6.

(2) سورة الحديد الآية رقم 3.

(3) سورة الحشر الآية رقم 23.

(4) قال " ابن جني" في هذا المضمار : " إنما هو علم منتزع من استقراء هذه اللغة، فكل من فرق له مـــن علـــة صحيحـــة و طريق نهجه كان خليل نفسه، و أبا عمر فكره." من الخصائص ص 190..

تعريف الفصل لغة:

جاء في (الصحاح) " لإسماعيل بن حماد الجوهري (ت 400هـ) في مادة | فصل| الفصل واحد الفصول، و فصلت الشيء فانفصل أي قطعته فانقطع.

و الفاصلة التي في الحديث كقول النبي صلى الله عليه وسلم: " من أنفق نفقة فاصلة فله من الآخر كذا" فنفسره في الحديث أنها التي فصلت بين إيمانه و كفره (1)

وجاء في أساس البلاغة للزمخشري : " ... و هو الفاصل بين الحق و الباطل، و هذا الأمر فيصل أي مقطع للخصومات... و هو أصفى من ماء المفاصل و هو الماء الذي يقطر بين العظمين إذا فصلا". (2)

فالفصل إذ معناه لغة القطع، و الإبانة، و الإفراز و الممازاة و هو مصدر الفعل الثلاثي السالم فصل يفصل الشيء.

---

(1) الصحاح ص 1790.

(2) أساس البلاغة ص 540.

تـعـريـفـه إصـطـلاحـا:

الفصل هو باب له علاقة وطيدة بالوصل وحده ترك (1) و الإتيان بالجملتين مستقلتين من غير تشريك الواحدة بالأخرى ، و بخلاف الوصلُ الذي هو جمع أو ربط جملتين للعلة بينهما، فإن الفصل يعني إيراد جملتين أو أكثر منثورة تستأنف واحدة منها بعد الأخرى كقوله تعالى : ﴿ الله نور السموات و الأرض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح المصباح في زجاجة، الزجاجة كأنها كوكب ذري يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية و لا غربية يكاد زيتها يضيء و لو لم تمسسه نار، نور على نور يهدي الله لنوره من يشاء﴾.(2)

(1) فالجمل المنقطعة هي التي يثبت فيها الفصل و الجمل المتصلة التي يتعين فيها الوصل و لا يتضح إلا بالوصل لأن كليهما متلازمان مثل المسند و المسند إليه.

(2) سورة النور الآية رقم 34.

الـفـصـل و الـوصـل:

هو أوسع باب حتى إن أغلب العلماء في القرون الهجرية الأولى جعلوا البلاغة هي معرفة الفصل من الوصل، و قصروها على هذا الباب الذي تتوقف عليه جميع الأبواب كالمسند و المسند إليه و غير ذلك، و الوصل و الفصل بابان في علم البلاغة و مفتاحان لها كلاهما للمفرد و الجملة معا. (1) و كلما طرقنا بابا من أبواب البلاغة إلا و تعرضنا للفصل و الوصل، فما عمدنا البلاغة و لبها الذي لا يستغني عنه.

و قبل أن ندرسهما و نوضحهما في كتب علماء القرن الثالث الهجري لابد أن نعرفهما عند كل من البلاغين و النحاة بما جاء في كتبهم.

تـعـريـف الـفـصل عنـد الـبـلاغـيـين :

و هو ترك العطف بين الجملتين و المعنى بالجمل منثورة تستأنف واحدة منها بعد الأخرى، وهذا النوع من الفنون البلاغية لا يوقف للصواب فيه إلا من أوتي قسطا موفورا من البلاغة، و طبع على محاسنها و رزق حظا من المعرفة في تذوق الكلام.

و يقع الفصل في خمس مواضع:

أولا :

أن يكون بين الجملتين إتحاد تام و يسمى هذا كمال الإتصال، و ذلك بأن تكون الجملة الثانية توكيدا للأولى كقول المتنبي | من الطويل|:

و ما الدهر إلا من رواة قصائدي **** إذا قلت شعرا أصبح الدهر منشدا (2)

فقوله في الشطر الثاني توكيد لقوله في الشطر الأول وقع الفصل بينهما.

---

(1) ينظر ب البيان و التبيين (ج1) ص 88-126 و شرح التلخيص.

(2) العرف الطيب في شرح ديوان أبي الطيب البازج ط 1981 م دار بيروت للطباعة.

و كقوله تعالى : ﴿ ما هذا بشر إن هذا إلا ملك كريم ﴾ (1) فجملة (إن هذا إلا ملك كريم) تأكيد لجملة (ما هذا بشر) لأن كونه ملكا ينفي كونه بشرا، و قد تكون الجملة الثانيـــة بيانـــا للجملة الأولى .كقوله تعالى : ﴿ هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم. تؤمنون بـــالله و رسوله﴾(2). فجملة " تؤمنون بالله " بيان لما قبلها أو بدل لما قبلها.

و كقول الشاعر من | الطويل| :

أقول له ارحل لا تقيمن عندنا **** و إلا فكن في السر و الجهر مسلما (3)

(فجملة لا تقيمن) بدل اشتمال من قوله (ارحل)

ثـــانـــيـــا: أن يكون بينهما كمال الإنقطاع و يكون ذلك بشروط هي:

أن تكون الجملتان مختلفتين خبرا و انشاءا أو لفظا و معنى كقول أبي العتاهية | من البسيط|:

يا صاحبَ الدنيا المحب لها **** أنت الذي لا ينقضي تعبه(4)

فجملة النداء إنشائية لفظا و معنى و جملة (أنت الذي لا ينقضي تعبه) خبرية لفظا و معنا.

- أن تكون الجملتين مختلفتين في المعنى مثل قول الشاعر:

جاورت شيبان فأخلو لي جوارهم **** إن الكرام خيار الناس للجار(5)

---

(1) سورة يوسف الآية رقم 31.

(2) سورة الصف الآية 10.

(3) ينظر الشامل ص 648.

(4) المصدر نفسه.

(5) ينظر الإمتاع و المؤانسة ص 75.

فالشطران يختلفا في المعنى لأن الشاعر يتحدث في الأول عن شيبان و حسن جواره ثم ينتقـــل إلى جوار الكرام.

في الأول أن تكون الجملتين مختلفتين و مستقلتين مثل قول الله تعالى : ﴿ و مالي لا أعبـــد الذي فطرني و إليه ترجعون ﴾ (1)

ثـــالـــثـــا : أن تكون الجملة الثانية جوابا عن سؤال يفهم من الجملة الأولى، فتفصل الثانية عـــن الأولى كما يفصل الجواب عند السؤال لما بينهما من الإتصال، و يسمى فصل الجملة الثانية عـــن الأولى في هذا الموضع استئنافا و الجملة الثانية تسمى مستأنفة مثل قوله تعـــالى: ﴿ و مـــا أبـــرئ نفسي، إن النفس لأمارة بالسوء.﴾ (2)

فالجملة الثانية مفصولة عن الأولى لأنها جواب عن الأولى و منه قول الشاعر | من الوافر | :

زعم العواذل أنني في غمرة **** صدقوا لكن غمرتي لا تنجلي.(3)

(1) سورة يس الآية رقم 21.

(2) سورة يس الآية رقم 22.

(3) الشامل ص 649.

فالفصل إذا عندهم هو تتابع الكلام دون ذكر حروف العطف، و لهم فيه أقسام متباينة ذكرها بعضهم من خلال الكلام دون أن يتعرض لشرحها، و الجاحظ كان من السباقين إلى ذكر و بيان هذا المصطلح و فيه يقول:" البلاغة هي معرفة الفصل من الوصل..." (1)

و قد جاء في كتاب تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة في باب التعريض أن الكلام إذا كان متصل فالفصل فيه واجب كقول الشاعر [من الخفيف]:

عكم تغشى بعض أعكام القوم **** لم أر عكما سارقا قبل اليوم(2)

فالشطر الأول جملة خبرية و الشطر الثاني كأنه جواب على سؤال خفي. و الفعل كذلك هو القطع بين المتصلين كالمضافين و الصفة و الموصوف، و الفعل مع الفاعل،و المبتدأ مع الخبر و هما كالجزء الواحد نحو قول (محمد كريم).

و قول الشاعر [من البسيط]:

و قال رائدهم أرسوا نزاولها **** فكل حتف امرئ يجري بمقدار (3)

فالبيت شطره الأول منقطع عن الثاني لاختلافهما خبرا و إنشاءا و معنى و إعرابا .و كما يكون الفصل في المفرد و الجملة يكون أيضا في الخط النائب عن اللّفظ لأنّ الكلام يعتمد عليهما .

(1) البيان و التبيين ص10

(2) ينظر تأويل مشكل القرآن ص 550

(3) ينظر الشامل.

التعريف و التنكير :

إن الدرس النحوي في علم اللغة العربية القديم كان يتميز بالولوج العميق في خصائص قيام اللّغة بوظيفتها و بالترابط المنطقي لطرق التحليل اللغوي، و بما أنه لا يمكن أن نبحث بالتفصيل في جميع مبادئ النظرية النّحوية فإننا نسلط الضوء على نظرية التعريف و التنكير و دراستها في اللغة العربية (1).

و من الملاحظ أن دراسة التركيب الإسنادي في علم اللغة العربية ترتكز على مفهومين أساسيين هما :" المعرفة و النّكرة " اللذان يحدّدان درس المفرد و الجملة معا .وهذه النظرية لها جذورها في بناء المعنى في علم البلاغة الذي جعل النحو أحد أسسه، و تظهر هذه الوظيفة أثناء دراستنا لتلك النظرية من وجهين هما : علم النحو و علم البلاغة .

و نستخدم التعريف لوصف المبتدأ في الجملة الإسمية و الكلام يبدأ بالمعرفة، و في هذا الشأن يقول سيبويه في ضرورة وجود المعرفة في الجملة :" من غير الممكن إخبار السامع بشيء ما بخصوص شيء ما غير معلوم بالنسبة له " (2)

و يروى عن سيبويه أنه سأل الخليل ابن أحمد الفراهيدي عن أي المعارف أعرف الضمائر أم الأسماء ؟ فأجاب الخليل أن المعارف كل درجة واحدة، و في اليوم الثاني قدم سيبويه و طرق الباب فسأل الخليل قائلا :من ؟ فقال سيبويه : أنا معرفة فتيقن الخليل بن أحمد بأن المعارف درجات و أقر قول تلميذه لسيبويه .

---

(1) ينظر نظرية التعريف و التنكير في كتاب النظرية القواعدية، طبعة مصورة ، ص33 مج و نقد وتوجيه " لمهدي مخزومي" ط 2 سنة1986 دار الرائد العربي، بيروت لبنان ، ص 31 .

(2) نقلا عن كتاب النظرية القواعدية للأداة " ال " لخرخاش ، ص 31 .

تـــعـــريـــفـــه لـــغـــة : (جاء في الصحاح تاج اللغة و صحاح العربية)

" إن التعريف هو الإعلام و التعريف أيضا إنشاد الضالة والتعريف التطييب، من العرف " و قوله تعالى : ﴿ عرفها لهم﴾ (1) أي طيبها، قال الشاعر يخاطب رجلا و يمدحه:عرفته كإتبـــا عرفته اللطائم يقول: كما عرف الإتب و هو البقير.

و التعريف الوقوف بعرفات يقال: عرف الناس، إذا شهدوا عرفـــات و هـــو المعـــروف للموقف"(2)

و أورد الزمخشري في أساس البلاغة في مادة [عرف] قول الفراء خاطب ناقته [من الكامل]:

مالك ترغبين و لا ترغو الخلف **** و تضجرين و المطي معترف.

و قال أبو النجم مرح ناقته و أنها كانت نشيطة الليلة كلها و ما ذلت إلا عند الصبـــح [مـــن الرجز]:

فما عرفت للذل حتى تعطفت *** بقرن بدا من داره الشمس خارج.

و ما أطيب عرفه، و عرف الله الجنة طيبها(3) إذا فالتعريف في اللغة من الفعـــل عـــرف المضعف عرف تعريف بمعنى أعمله و أخبره معروفا أي ضد نكره.

---

(1) سورة محمد الآية رقم 6.

(2) الصحاح ج 4، ص 1402.

(3) أساس البلاغة ص 298.

تعريفه اصطلاحا :

جاء في مصطلح التعريف لدى القدامى بأنه قسم من أقسام الإسم و أنواعه و لم أجد له عندهم تعريفا بل وضعوه مع النكرة و اكتفوا بالنكرة فعرفوها فقالوا فيها إنها الإسم الشائع في نوعه الذي يقبل علامة التعريف. قال صاحب التسهيل عن تعريف المعرفة: " من تعرض لحد المعرفة عجز عن الوصول إليه دون استدراك عليه"(1)

و مع هذا فإن العلماء الأجلاء لم يدعوا هذا المصطلح دون تعريف فقالوا : " إنه ما وضع لشيء بعينه" (2) و يقصد بالمعرفة الأسماء المعرفة و قد عدها النحاة سبعا بقولهم من | الكامل|:

إن المعارف سبعة إحفظ و قل **** أنا صالح ذا ما الفتى يا رجل.

أي أن المعارف هي الضمائر بكل أنواعها، و العلم و ما يندرج تحته من أسماء العلم سواء كانت لإنسان أو لحيوان أو لجماد أو لشيء آخر. و أسماء الإشارة و الأسماء الموصولة،و المعرف بأل و المضاف.

(1) حاشية الصبان ج1، ص 106.

(2) المصدر نفسه ص 107.

و قيل إن العلم أعرف من الضمير و هذا في غير إسم الله تعالى و المعرف هو الإسم المعين بالتعريف أصلا كالعلم، و التعريف هو تحويل النكرة إلى المعرفة، و بالتعريف تحدد مكانة الجملة، و التعريف لا يمكن أن يكون بمعزل عن التنكير لأنهما ركيزتان بهما تقوم الجملة و يعرف إعرابها فمعناها.

إن أداة التعريف أو حرف التعريف يبين الخصائص الدلالية و الشكلية للجملة، إذ بدونه تنحصر الجملة في نوع آخر من عناصر الكلام المختلفة(1). و من هذه الآداة انطلق اللغويون لدراسة التعريف و التنكير، و هذان المصطلحان تناولتهما الدراسات اللغوية ذات المعنى، و ليس الأداة و حدها جديرة بالدراسة و البحث في هذا الميدان خاصة بل هناك مقولة التخصيص التي تعبر بطبيعتها و جوهرها، و مثل هذا البحث في قضية التعريف و التنكير يستلزم كشف معاني التعريف و التنكير(2).

و بالتعريف و التنكير صنف النحاة الأوائل الأسماء إلى (معارف) و (نكرات) و هي أول ما يبدأ بدراستهما عند القدماء (3)، و ذلك من منطق العرب، فالأصل عنده يقدم و النكرات قبل المعارف لأن وضعها كان سابق المعارف، ودليلنا على ذلك على سبيل المثال لا الحصر " كراس" فإذا أريد تعريفه فلابد من إضافة أداة تعرفه مثل قولنا " الكراس" أو بالإضافة إلى كلمة تبيين و يظهر تصنيفه في باب المعارف كقولنا :" كراس الطالب" وذلك التعريف يدرس العلماء فيه المستوى المتعلق بالشكل و بالمضمون.(4)

---

(1) يدخل ذلك في باب التقديم و التأخير في اللغة العربية، لأن التعريف يحدد مكانة الكلمة في النحو العربي، ينظر للكتاب ص 31.

(2) التعريف و التنكير نظرية الآداة للمستشرق جيرجاس ص 33-45.

(3) وهم علماء القرن الثالث الذين صنفوا كتبا شمولية تخص علم اللغة مثل المبرد في كتابه الكامل في اللغة و الأدب.

(4) ينظر أثر النحاة في الدرس البلاغي " لعبد القادر حسين ص3 - 10ص 187 و النحو نقد و توجيه " لمخزومي ص 31.

وتتصف النكرة في المستوى الشكلي بأنها يمكن أن تقبل أداة التعريف " أل" و يؤكد اللغويون الأوائل الذين جمعوا بين النحو و علم اللغة بأنه يمكن استخدام ربّ للتنكير و الإبهام كما ربّ رجل و من الأسس التي اعتمدها العلماء الأوائل في النحو أن النكرة هي التي تقبل " أل" فتصبح معرفة.(1)

و يلاحظ على أسماء العلم شبيهة بالأسماء العامة، أي تكون قابلة لأداة " أل" وهذه الأخيرة لا تقبل الأداة مثل محمد و علي و هي تقبل التنوين الذي يستخدم في تنكير الأسماء مثل إبراهيم و سيبويه، فإذا أردنا تنكير هما نقول : " ابراهيم و سيبويه" ، فإذا أردنا تنكير هما نقول :" ابراهيم و سيبويه" و يسمى هذا التنوين تنوين التنكير. (2) و مما أثر عن الأسماء التي تقبل " أل" مثل الحارث و الحسن فهي لا تتأثر بالأداة لأنها لا تقوم بأي وظيفة، بل هي سماعية، و قد وظفها الجيل الاحق تقليدا.

و كما نعرف أن اللغة العربية في معظمها سماعية و يتبين ذلك من الأمثال العربية التي جاءت مخالفة للقاعدة نحو قولهم " مكره أخاك لا بطل" (3) فأخاك نائب فاعل لتقدم اسم المفعول و يكون في الأصل مرفوعا لا منصوبا حسب القاعدة.

ومن الأمر الواضح أن أسبابا منهجية دفعت العلماء الأوائل(4) بأن يأخذوا الجملة الإسمية و هي عبارة عن تركيب إسنادي منطلقا لهم و العناصر المؤلفة لهذا التركيب النحوي تبين خصائص كل من العنصرين الأساسيين للمقولة اللغوية نحويا، و من ذلك نرى أن الفعل يحتاج إلى إسم و الجملة تبنى من عنصرين أساسيين هما المسند و المسند إليه و بهما يتعين المعنى، و لذا نجد سيبويه يقول: " الفعل يحتاج إلى فاعل و تبعا لذلك أن نأخذ بعين الإعتبار أنه يفهم من الفعل في النظرية اللغوية القديمة دون أي عنصر طبيعة الضمائر و تدخل في صنف الأسماء."

---

(1) كتاب سيبويه ص 180.

(2) ينظر كتاب الأشباة و النظائر " لجلال الدين السيوطي " دار الكتاب العربي تقديم " فايز الداية " ص 31.

(3) هو مثل شائع كذا ذكره" أبو الفضل أحمد بن محمد النسيابوري الميداني" المتوفي سنة 518 هـ صاحب كتاب السامي في الأسامي الذي يقدس أروع كتبه و كتابه : الأمثال العربية" ص 320.

(4) ينظر الكشاف " للزمخشري" ص 278.

و من ذلك نرى التحليل الوظيفي لمقولة التخصيص الذي نجده في نظرية متميزة حول الدور الإخباري لأجزاء الجملة أو عناصر الكلام المختلفة، و بهذه النظرية تحدد الخصائص لدلالية و الشكلية لما يسمى بالمعارف و النكرات و يميز هذا العنصر " أل" في مصطلح أداة التعريف أوحرف التعريف كوحدة لغوية متميزة. إلا أن المسائل الأساسية لدراسة التعريف و التنكير لا تبحث في نظرية الأداة فقط بل في معاني التعريف و التنكير، وهذه النظرية تختص بها جميع وحدات اللغة. (1)

أنواع التعريف:

قسم العلماء القدامى التعريف إلى صنفين كبيرين:

صنف خاص :

و هو الذي يكون فيه الأسماء ضروريا لوجودها و قيامها بوظيفتها في اللغة، و يطلق على هذا الصنف التعريف الأصلي نجده في أسماء الإشارة و الموصولة .(1)

و صنف عام:

و هو الصنف الذي يحمل معنى النكرة في صيغته الأصلية ثم يصبح من المعارف نتيجة تأثير عوامل لغوية معروفة، أي كل الأسماء العامة يمكنها أن تحل محل المعارف في طبيعتها، و يدخل في هذا الإطار الإسم المعرف بأداة التعريف.

---

(1) ينظر الإشارة إلى الإيجاز في بعض أنواع المجاز " للإمام أبي محمد عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام الشافعي" (ت 660 هـ) في باب الإضاحة ص 441.

(2) ينظر كتاب جيرجاس باب في نظرية التعريف و التنكير ص 14.

و يرى بعض علماء اللغة(1) أن الضمير " أنت" يمكن أن يكون معرفا بالهمزة التي تدل على التعريف.(2) و المتمعن في هذه النظرية يجد كلا من التعريف و التنكير ينقسمان إلى أنواع كثيرة هي:

- أولا الذكر:

وهو الذي يرتبط بالشيء المعلوم المذكور مثل قوله تعالى: ﴿ مثل نوره كمشكاة فيها مصباح المصباح في زجاجة كأنها كوكب﴾(3) فأداة التعريف في " أل" في كلمتي " المصباح" و " الزجاجة" هي ربط بما قبلها (مصباح و زجاجة).

- ثانيا القصد:

يعني الشيء المعلوم المقصود مثل جاء القاضي إذا كان الشيء متداع معلوما لدى السامع و المتكلم معا.

- ثالثا الحضور أو الوجود:

وهو أن يكون الإسم معلوما و حاضرا مثل قولنا: " جاءني هذا الرجل".

---

(1) و يعني بهم الرعيل الأول من الذين درسوا اللغة دراسة شمولية مثل سيبويه وابن قتيبة و غيرهما.

(2) نظر المحيط " محمد الأنطاكي" من باب التعريف و التنكير، ج1، ط3، دار الشرق العربي، ط سنة (دت) ص 212.

(3) سورة النور الآية رقم 35.

و تعتبر أداة التعريف " أل" ذات أهمية كبرى في علم اللغة العربية الذي يتمتع حينئذ بمعنى التعميم و هي تتصف بالتعبير عن صنف ما من الأشياء أو مجرد أداة للجنس(1)

و من خلال عرضنا لهذه النظرية يتبين لنا بعض الخصائص الدقيقة لاستعمال أداة التعريف للجنس، إذ نستطيع تمييز ثلاثة أنواع رئيسية هي:

- أولا:

أداة جنس للتعميم الفعلي تدخل على الإسم الذي يفيد صنفا معينا من الأشياء و تستغرق حينئذ أي جزء من هذا الصنف مثل قوله تعالى : ﴿ خلق الإنسان ضعيفا﴾(2) حيث يبرز الإسم " الإنسان" كإسمية لصنف كامل من الأشياء المتماثلة.(3)

- ثانيا:

أداة جنس للتعميم المجازي تستعمل مع الإسم الذي يفيد صنفا من الأشياء لا من حيث الإستغراق الحقيقي لجميع أجزاء الصنف بل من حيث الإشارة إلى الخصائص المميزة العامة لهذه الأجزاء المتماثلة مثل قولنا " الرجل أفضل من المرأة". و لا يقصد رجل معين أو إمرأة معينة و لكن يقصد أي رجل ما أفضل من إمرأة ما.

---

(1) الكتاب ج2،ص31.

(2) المصدر السابق ج2، ص31.

(3) المصدر السابق ج 2، ص38.

- ثـالـثـا:

أداة جنس للتعبير عن تعيين المادة حين تستعمل مع اسم يفيد مادة أو صفة الأشياء المتماثلة مثل قوله تعالى: ﴿ و جعلنا من الماء كل شيء حي﴾(1) و نستنتج مما سبق أن تمييز أداة الجنس للتعميم الفعلي إذا كانت مع الإسم يمكن استبداله بكلمة كل ففي غير القرآن نقول : " خلق كل إنسان ضعيفا"، لأن كل تدل على العموم.

و ما نستنتجه من هذه النظرية التي استرعت إهتمام العلماء الذين جمعوا بين الدرس النحوي و الدرس البلاغي مايلي:

- تأثر الدرس البلاغي بنظرية التعريف إذ به يحدد وضع الجملة العربية من حيث التصريف وعدمه، لأن الجملة لا تظهر دلالتها الموقعية إلا من خلال تمكنها وعدم تمكنها.(2)

فالتعريف و التنكير يحددان الحالة الإعرابية للحال و الصفة لأن أصحاب الأحوال معارف عند جمهور النحاة و أما الصفات فتوابع و يمكن تحديد وظيفة كل من التعريف و التنكير في اللغة من خلال الدرس البلاغي، إذ بهما تستقيم و تتضح المعالم و لذلك نجد الدرس البلاغي لا يستغني عن هذه النظرية التي تحدد أقسام الأساليب المختلفة.

و في هذا الشأن نورد بعض الأمثلة التي توضع ذلك كقول الله عزوجل : ﴿ الله الذي أنزل الكتاب بالحق و الميزان و ما يدرك لعل الساعة قريب﴾(3)

---

(1) المصدر السابق ج2، ص31.

(2) أي ما ينصرف و ما لا ينصرف.

(3) سورة الشورى الآية رقم 17.

ففي هذه الآية الكريمة المستشهد بها فإن تعريف الكلام الذي احتوته يظهر مـــدة تأثـير التعريف في المعنى و إضافة شبه الجملة إلى الكتاب المعرف بأل يقوي معناها و يؤكده.

فالتعريف إذا له مكانة في اللغة العربية و من يتمعن في طيات كتب الرعيـــل الأول مـــن العلماء لا يكاد يجد فصلا واضحا بين الدرس النحوي و البلاغي لعدم إستقلال كل علم بنفســـه و لا ندعي بأن كلمة بلاغة لم تكن موجودة و إنما المصطلح المعروف لدى الدارســـين لم يكـــن متداولا كعلم قائم بذاته.

و الحق أن البلاغة في القرن الثالث الهجري كانت وطيدة الصلة بالنحو كأنه جزء منهـــا. و قوله عز من قائل : ﴿ و أن جاءه الأعمى﴾(1) فالمراد عبد الله بن أم أكتم فالتعريف في كل من الرسول و الأعمى يدل على أن هناك عهدا بين المتكلم و المخاطب. فالله جل جلاله خاطب نبيه على رجل معروف لديه صلى الله عليه وسلم.

- ثـالـثـا:

و التعريف الذهني لا يكون فيه بين المتكلم و المخاطب عهد و لكنه معتاد مـــن النـــاس و لهذا لا يمكن حمله على الجنس فجعله بعض المحققين قريبا من النكرة لأن التعريف يكون باعتبار الوجود. و أمثلته قولنا : ذهبت إلى المدينة دون تعيين المدينة و ليس عنها سابق معرفة و كذلـــك قولنا: شربت الماء، فالتعريف هنا لا يزيد الكلمة وضوحا و لا نخرجها من دائرة النكرات.

- رابـعـا :

كل ما يقع منادى أو مصحوبا بإشارة يسمى تعريف الحضور، ومثاله قول المنادى: يا أيها الرجل ومع حاضر بين يديه و مقصود فإن ذلك الرجل يبقى غير معروف أو معهود.

---

(1) سورة عبس الآية رقم2.

- **خامسا:**

أن تكون أل بمعنى الذي المتصلة باسم الفاعل أو اسم المفعول كما في قول الفرزدق | من الوافر|:

ما أنت بالحكم الترضى حكومته **** و لا الأصيل و لاذي الرأي و الجدل.

فالأداة في الترضي لا تحمل معنى التعريف بل تحمل معنى اسم الموصول الذي(1).

- **سـادسـا:**

أن تكون عوضا من تعريف الإضافة مثل ما جاء في البسملة " بسم الله الرحمان الرحيـم" بقياس ألآ تجتمع الآلف و اللام و الإضافة و لكنها جاءت كذلك و كانت صفة المعرفة السابقة. ومثل قولنا : " مررت بالرجل الحسن الوجه" فالألف و اللام في كلمة " الحسن" صفة الرجل.

- **سـابـعـا:** أن تكون زائدة في الإعلام مثل الحسن و الحارث.
- **ثـامـنـا:** أن تكون تحسينة في الأسماء الموجودة مثل : التي و الذي.
- **تـاسـعـا:** أن تكون للمح مثل قولنا: "الآذان" أي نلمح إليه.

(1) ينظر في هذه المسألة و ما يليها قد رويت كلها عند بلاغي القرن الثالث الهجري بدون مصطلح جاء بها الأشباه و النظائر للسيوطي ج2 ص 78.

التنكير :

لغة :

وجاء في مادة [نكر] في الصحاح " النكرة ضد المعرفة، وقد نكرت الرجل و استنكرته، و أنكرته، بمعنى قال الأعشى [من البسيط]:

و أنكرتني و ماكان الذي نكرت **** من الحوادث إلا الشيب و الصلع.

قد نكره فتنكر، أي غيره فتغير إلى مجهول، وجاء في أساس البلاغة: " أنكر الشيء ونكره واستنكره، وقيل: نكر أبلغ من نكر بالقلب و أنكر بالعين." و ورد في اللسان الجزء 14 ص 282 : " ... و نكره وينكره نكرا، فهو منكور، واستنكره فهو مستنكر، و الجمع مناكير، عن سيبويه. قال أبو الحسن:" و إنما أذكر هذا الجمع لأن حكم مثله أن الجمع بالواو و النون المذكر و بالألف و التاء المؤنث، و النكر و النكراء ممدود: المنكر و في التنزيل العزيز من سورة الكهف الآية رقم 75:﴿ لقد جئت شيئا نكرا﴾ وقال قد يحرك مثل عسر وعسر، قال الشاعر الأسود بن يعفر [من المتقارب]:

أتوني فلم أرض ما بينوا **** وكانوا أتوني بشيء نكر

إذ النكرة عند اللغويين هي ضد المعروف المعرف المعلوم و هذا ظاهر في تعريفاتهم وكلها أقرب إلى الدراسات القرآنية التي كانت تبحث في التركيب القرآني.

إصـــطـــلاحـــا:

تدل النكرة على إسم دال على شائع في جنسه، و علامتها أن يقبل الإســـــم " أل" و أن يؤثر فيها التعريف بمعنى أن دخولها عليه يجعله معرفة أو يكون غير قابل لأل و لكنه واقع موقع ما يقبلها مثل ذي بمعنى صاحب و " من" و " ما" الشرطيتين لوقوعهما موقع إنسان، و كذلك صه و مه منونتان فإنهما لا يقبلان " أل" و لكنهما تقعان موقع ما يقبلها و هما: سكوتا و إنكفافـــا، و التنكير هو جعل المعرفة نكرة أي جلب الشيوع للإسم بعد تعيينه.

و يتحقق التنكير للإسم بإبطال ندائه إذ كان منادى نحو " يارجل"، أو بقطعة عن الإضافة كقطع كلمة كتاب مثل قولنا كتاب محمد، و يتحقق التنكير أيضا بالجمع و التثنية. فكلمة محمـــد علم معرفة، فإذا ثنى أو جمع شاع و تنكر وجاز دخول " أل" عليهما فيقال المحمدان و المحمدون. و للتنكير تنوين يسمى تنوين التنكير، و هو التنوين الذي يلحق الأسماء المبنية للدلالة على تنكيرها مثل كلمة : " سيبويه المبنية" إذا نونت صارت نكرة، و بالنكرة تحدد دلالة الجملة مـــن حيـــث الوضع، و تعرف مكانة المبتدأ و الخبر، و الحال وصاحبه و الصفة و الموصوف، و هي عمـــدة في كلام العرب، و نرى درسهم لا يخلو من باب التنكير، كل درس لهم يربطونه بالتعريف و التنكير لما لهما من أهمية قصوى في علم العربية وكشف أسراره.

الـــتـــعريـــف و الـــتـــنـــكـــيـــر:

حين نريد أن نعرف كلا من التعريف و التنكير عند البلاغيين فلا بد من النظر في كتـــب اللغويين الذين جمعوا بين الدراسات البلاغية و النحوية معا، و كانت بحوثهم منتقاة من الدراسات الشمولية و لذا كان معظم البلاغيين حين ظهر المصطلح البلاغي من النحاة على شـــاكلة " أبـــو عبيدة معمر بن المثنى" صاحب كتاب مجاز القرآن و الأخفش الأوسط مؤلف معاني القرآن.

فالتعريف لدى البلاغيين يحدد موقع الجملة في النص و يعطي لها نسقا خاصـــا، فالتعبـــير بالتنكير للعموم و هو الأصل و التعريف للتخصيص و هو الفرع، فالبحث عن توضيح شامل لهتين النظريتين أمر يتطلب جهدا كبيرا لكننا سنقتصر على بيان ما جاء عند البلاغيين في القرن الثـــالث فابن قتيبة في كتابه مشكل القرآن من صفحة 220 و السيوطي في الأشباه و النظائر الجـــزء الأول و الثاني.

فالتعريف و التنكير كلاهما من الأساليب البلاغية و التي من حق البليـــغ أن يضمنهـــا في كلامه إذ لكل منهما موضعه الذي يتطلبه و لايحسن فيه غيره، فقد يحسن تعريف كلمة في موضع لا يحسن فيه تنكيرها، بينما نرى العكس هو الصحيح في موضع آخر.

ذلك لأن ما يفيده التنكير غير ما يفيده التعريف، و الأسباب هي التي تدعوا إلى تنكـــير الكلمة أو إلى تعريفها، وقد نص العلماء على هذه الأسباب و حاول بعضهم حصرها.

فـمن الأسباب الـداعـيـة إلـى الـتـنـكـيـر مـايـلـي:

- إرادة الوحدة نحو قول الله جل ثناؤه : ﴿ و جاء رجل من أقصى المدينة يسعى﴾.(1)

- إرادة النوع مثل قوله تعالى : ﴿ هذا ذكر و إن للمتقين لحسن مآب﴾. (2)

- إرادة التعظيم و معناها أنه أعظم من أن يعين و يعرف نحو قوله تعالى : ﴿ فأذنوا بحرب من الله و رسوله﴾.(3)

- إرادة التنكير مثل قوله تعالى : ﴿ إن لنا أجرا﴾.(4)

- إرادة التحقير مثل قوله تعالى : ﴿ أن يتبعون إلا الظن﴾.(5)

- إرادة التقليل مثل قوله تعالى : ﴿ ورضوان من الله أكبر﴾ (6)

ومثل قول الشاعر: (7)

قليل منك يكفيني و لكن **** قليلك لا يقال له قليل

---

(1) من سورة القصص الآية رقم 20.

(2) من سورة ص الآية رقم 29.

(3) من سورة البقرة الآية رقم 279.

(4) من سورة الشعراء الآية رقم 41.

(5) من سورة الشعراء رقم41.

(6) سورة التوبة الآية 72.

(7) لم يذكر اسم الشاعر في صفات الشعراء و لا في الأغاني ينظر كتاب الإعريض في نصرة القريض، ص41.

أما أسباب التعريف عند البلاغيين فنذكر منها ماجاء في متون و كتب الأولين مستندين في ذلك على الكتب اللغوية و المراجع التي بحثت هذا الموضوع و هي:

- الإشارة من قوله تعالى : ﴿ و ليس الذكر كالأنثى﴾ (1) أي الذكر الذي طلبته كالأنثى التي وهبت لها و إنما جعل هذا للخارجي بمعنى الذي في قولها: ﴿ إني أنذرت لك ما في بطني محررا﴾(2).

- الإشارة إلى معهود ذهني و هو ماكان له سابق معرفة في النص أو السياق الذي أتى به من قبل مثل قوله الله تعالى: ﴿ إذ هما في الغار﴾ .(3)

و أما التعريف بالموصولية، فمن فوائده:

- أن يكون لكراهة ذكره بخاص إسمه أو سرا عليه.
- أن يكون لإهانته أو لغير ذلك.
- أن يكون لإرادة العموم و للإختصار.
- أن يكون بالألف و اللام.
- أن يكون بالإضافة للإختصار لتعظيم المضاف و لقصد العموم.

إن الأسباب الآنفة الذكر ليست بالضرورة أن تكون للتعريف و التنكير بل إن الأسباب كامنة في القرآن المحيطة بالكلام، لأن التنكير يستعمل لما يستعمل له التعريف أحيانا، للإهانة و التعظيم فإنهما يشتركان في الصفتين.

---

(1) من سورة آل عمران، رقم الآية 36.

(2) الآية نفسها.

(3) من سورة التوبة الآية رقم 40.

يقول الدكتور أحمد بدوي في كتابه من بلاغة القرآن : "وقفت طويلا عند الإسم النكرة، أتبين ماقد يدل عليه التنكير من معنى، و درست ماذكر العلماء من معان قالوا: إن التنكير يفيدها، و بدا لي من التأمل الطويل أن النكرة يراد بها واحد من أفراد الجنس، و يؤتي بها عندما لا يعين الفرد.

فالنكرة غير مقيدة إذ نجد علماء البلاغة في القرن الثالث يستشفون منها معان تفدها بطبيعتها بل استفادتها من التراكيب الذي صيغت فيه، فكأنما المقام الذي وردت فيه يصف النكرة و يحدد معانها، وقد جعلها هؤلاء العلماء هي الأصل و يتضح ذلك في علم البلاغة بقولهم إن النكرة تؤنث، و أورد كذلك النحاة الأوائل أن النكرة تغلب على المعرفة إذا اجتمع في جملة في جملة تنكير مع تعريف مثل قولنا : " أقبل رجل و زيد ضاحكين" فضاحكين جاءت منصوبة على الحال لا بدل ذلك جاء من النكرة و لم يأت مرفوعا على الوصفية، و لكل من التعريف و التنكير مزاياه و إلا إستويا في الإستعمال.

الإلـــتـــفـــات :

جاء في الصحاح تاج اللغة و صحاح العربية لحماد الجوهري في مادة (لفت): اللفت: اللي، و في حديث حذيفة: " إن من أقرأ الناس للقرآن منافقا لا يدع منه واو و لا ألفا، يلفته بلسانه كما تلفت البقرة الخلى (1) بلسانها" و لفت وجهة عني، أي صرفه، و لفته عن رأيه: صرفه و الألفت في كلام تميم: الأعسر، و في كلام قيس: الأحمق، مثل الأعفت و اللفات العسر الخلق، و اللفوت من النساء: التي لها زوج و لها ولد من غيره، فهي تلفت إلى ولدها و اللفتة الغليظة من العصائد، لأنها تلفت أي تلوى و التفت التفاتا، و التلفت أكثر منه و قولهم لا تلتفت لفت فلان، أي لا تنظر إليه" (2)

تـــعـــريـــف الإلـــتـــفـــات لـــغـــة:

ورد في أساس البلاغة للإمام الزمخشري في مادة (ل ف ت): التفت إليه و تلفت، قال: | من الطويل]:

تلفت نحو الحي حتى وجدتني **** وجعت من الإصغاء ليتا و أخدعا

و مالي إليه ملتفت ، و إذ أخبرك فلا تلتفت لفته أو تطلع طلعه، و أخذ يعنفه فلفته، و لفت ردائي على عنق : عطفته، و لفت الدقيق بالسمن عصدته و اتخذت لفيتة: عصيدة و لفته مع فلان: صنعوه و لفتاه، و لفتته سلجيمة و قال بعض الأعاريب | من الطويل]:

إلى طاهر عسفت كل تنوفه **** فياف كلون السخت ما نبتا اللفتا

و لولا رجائي جود كفيك لم أزر **** سرحس و لا طوسا و لم أنزل الدشتا

---

(1) الخلى: مقصورا الرطب من الحشيش أو النبات واحدته خلاه و جمعه الخلاء.

(2) ينظر المصدر السابق الصفحة نفسها.

و رجل ألفت: أحولْ – و ليس ألفت : ملتوى القرنين، و من المجاز: لفتة عن رأيه: صرفته و فلان يلفتِ الكلام لفتا يرسله على عواهنه لا يبالي كيف جاء و لفت اللحاء على العود : قشره(1)

و الإلتفات هو إرسال الكلام من الحقيقة إلى المجاز، و هو موضوع له آثار بالغة في النفس لأنه يساعد المتكلم على إنشاء الجمل و تأليفها و تنسيقها مع بعضها.

و لابد للمتكلم من الإلتفات لتزيين عباراته و توضيحها أكثر لأن الكلام العربي أغلبه مجاز و إلتفات(2) مثل قوله تعالى: ﴿ و جعلنا من بين أيديهم سدا و من خلفهم سدا فاغشيناهم فهم لا يبصرون﴾(3) فالسد كلمة مجازية يراد بها حجاب يحول دون رؤية الرسول عليه الصلاة و السلام من قبل الكفار.
و للإلتفات مجال كبير في الدراسات اللغوية الشمولية.

---

(1) أساس البلاغة ص 411.

(2) ينظر الحقيقة و المجاز " لأبي محمد عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام" ط، دار المعرفة، بيروت، لبنان ص 18.

(3) من سورة يس الآية رقم36.

تعريف الإلتفات إصطلاحا:

هو فن من الفنون البلاغية التي تحسن الكلام و تجعل منه ذا نسق جميل، و هو انصراف المتكلم من المخاطبة إلى الأخبار، و له مجلان خاصان هما: الكلام المنظوم و الكلام المنثور، و تعد من المحسنات المعنوية التي جاءت بها قرائح العرب الأوائل دون تكلف، ومن هذا القسم اعتراض كلام في كلام لم يتم معناه.(1)

و قد فسره قدامه " بن جعفر" لقوله : " هو أن يكون المتكلم أخذا في معنى فيتعرضه إما شك فيه و إما ظن إن رادا يرده عليه، أو سائلا له عن سببه ليلتفت إليه بعد فراغه منه فإما أن يجلي الشك، أو يؤكده، أو يذكر سببه" كقول " الرماح بن ميادة"(2) | من الطويل|:

فلا صرمه يبدو ففي اليأس راحة **** و لا وصله يصفو لنا فنكارمه

كأنه توهم أن فلانا يقول: ما تصنع بصرمة؟ فقال لأن في اليأس راحة (3)

---

(1) ينظر نضرة الإغريض ص 105.

(2) هو الرماح بن أبرد بن ثوبان بن سراته شاعر مخضرم كان يتعرض للهجاء، ينظر الأغاني ، المجلد الثاني، ط دار الثقافة، بيروت، لبنان، ص 227 – 228.

(3) ينظر نقد النحو لعلي مخزومي، ص41.

و أما " ابن المعتز" (1) فقال : " الإلتفات انصراف المتكلم عن الإخبـــار إلى المخاطبـــة"، و مثله في القرآن العزيز الإختبار بأن الحمد لله العزيز رب العالمين في قوله تعالى :﴿ **الحمد لله رب العالمين**﴾ ثم قال ﴿ **إياك نعبد و إياك نستعين**﴾(2)، و مثاله في الشعر قول جرير:

متى كان الخيام بذي طلوح **** سقيت الغيث أيها الخيام(3)

فالإلتفات إذا هو انصراف المتكلم عن المخاطبة إلى الأخبار كقوله تعالى: ﴿ **حتى إذا كنتم في الفلك و جرين بهم بريح طيبة**﴾(4)، و في الشعر كقول عنترة | من الكامل|:

ولقد نزلت فلا تظني غيره **** مني بمنزلة المحب المكرم (5)

ثم قال مخبرا عنها | من الكامل|:

كيف المزار و قد تربع أهلها **** بعنيزتين و أهلنا بالغيلم (5)

و من أمثلة الإلتفات انصراف المتكلم من التكلم إلى الإخبار لقولـــه تعـــالى:﴿ **إن نشـأ نذهبكم و نأت بخلق جديد و ما ذلك على الله بعزيز**﴾ (6) و في الشعر الجاهلي يوجد كثير من هذا القبيل، و قد جمع امرئ القيس الإلتفاتات الثلاثة في ثلاثة أبيات متتاليات، و هـــي | مـــن الكامل|:

تطاول ليلك بالإثمد **** و نام الخلي و لم ترقد

و بات و باتت له ليلة**** كليلة ذي العائر الأرمد

---

(1) هو أبو العباس عبد الله (ت 908 م) أمير و شاعر و أديب عباسي ولي الخلافة يوما و بعد يوم بعد قلع المقتـــدر و لقـــب " المرتضى بالله" و مات خنقا، و له ديوان جمعه " أبو بكر الصولي"، و طبقات الشعراء و كتاب البديع.

(2) سورة الفاتحة الآية رقم5.

(3) ينظر كتاب نهاية الأرب ج 7 ص 116.

(4) سورة يونس الآية رقم 22.

(5) ديوان عنترة، ط دار بيروت، لبنان، ص 16.

(6) سورة إبراهيم الآية رقم 19.

وذلك من نبأ جاءني **** و خبرته عن أبي الأسود(1)

و لقد أورد علماء القرن الثالث (2) حججا و براهين على الإلتفات من القرآن الكريم نسوقها في بحثنا هذا، قال الله تعالى : ﴿ قالوا يا موسى إما أن تلقي، و إما أن نكون نحن الملقين﴾. (3)

فإن إلقاء السحرة بسحرهم قبل سيدنا موسى عليه السلام لم يكن معلوما عنده، لأنهم لم يصرحوا بذلك، لكنهم لما عدلوا عن مقابلة خطابهم سيدنا موسى عليه السلام بمثله إلى توليد ما هو لهم بالضميرين اللذين هما : الضمير الذي يحتويه الفعل المضارع (نكون) و الضمير المنفصل (نحن). (4)

فهذا دال على أنهم يريدون الإلقاء قبله و التقدم عليه، لأن من شأن مقابلة موسى عليه السلام بمثله تكون الجملتان متقابلتين (و إما أن نكون الملقين) في غير القرآن الكريم، و استدل بهذا على رغبتهم في الإلقاء قبله. (5)

فإن إرادة السحرة الإلقاء قبل سيدنا موسى عليه السلام لم تكن معلومة عنده لأنهم لم يصرحوا بما في أنفسهم.

و من الإلتفات البارع قول النابغة [من الوافر]:

أتنسى إذا ودعنا سليمى **** بعود بشامة سقي البشام

فقد انتقل الشاعر من المخاطبة إلى المتكلم ثم إلى الغيبة.

---

(1) ديوان امرئ القيس، دار بيروت للطباعة و النشر، بيروت، لبنان ص 84.

(2) ينظر البيان و التبيين ص 11 و تأويل مشكل القرآن ص 276 و معاني القرآن " للأخفش سعيد بن مسعدة" ص 482.

(3) سورة الأعراف•الآية رقم 115.

(4) ينظر: تفسير القرآن الكريم " الزمخشري " سورة الأعراف ج1 –ص.

(5) بيان ذلك يكون بالنتيجة التي ينتظرها السامع.

حقيقة الإلتفات:

هو نقل الكلام من أسلوب إلى أسلوب آخر تطرية و استمالة للسامع و تجديدا لنشاطه، و حفاظا على إصغائه حتى لا يضجر، بدوام الأسلوب الواحد كما قال الشاعر: | الخفيف|

لا يصلح النفس إن كانت مصرفة **** إلا التنقل من حال إلى حال(1)

و قد تفطن لهذا الأسلوب علماء القرن الثالث فعبروا عنه كل حسب مقدرته و ما وصل إليه من معرفة في علوم اللغة، لأنه باب واسع و منوع عالجه الأدباء و اللغويون مثل الجاحظ و المبرد و ابن قتيبة دون أن يرتبوا أحكام الإلتفات أو يشيروا إلى قسم منها.

و كل منهم كان يستعمل بعض أنواع الإلتفات مستدلا بآي الذكر الحكيم و شعر العرب الجاهلي منه و الإسلامي.(2)

و للإلتفات قسمان يريد المتكلم إيصاله إليه:

الأول: هو الإنتقال من المتكلم إلى الخطاب و شد إنتباه السامع و استمالته للحديث الذي روى المتكلم و في هذا القسم أمثلة كثيرة منها قوله تعالى: ﴿ مالي لا أعبد الذي فطرني و إليه ترجعون﴾(3)

و الإلتفات هنا من المتكلم إلى الخطاب و الغرض منه نصح قوما تلطفا و إعلاما أنه يريد لهم مايريد لنفسه و تخويفهم من الله و دعوتهم إليه. و نستخلص من الآية الكريمة ترغيبا و ترهيبا في قوله: ﴿ و مالي لا أعبد الذي فطرني﴾ و ترهيبا في قوله : ﴿ و إليه ترجعون﴾ و قوله تعالى: ﴿ رحمة من ربك﴾ (4) فعدل عن قوله : " رحمة منا"(5)

---

(1) ينظر الشامل ص 741 ا.

(2) ينظر الكامل ص 84 و الأصمعيات ص 200 و الشعر و الشعراء ص 31.

(3) سورة يس الآية رقم 22.

(4) سورة الكهف الآية رقم 82.

(5) البرهان في علوم القرآن للزركشي طبعة دار الكتب العربية ط 1، 1958 ص 316.

و الثاني من التكلم إلى الغيبة و منه يؤكد المتكلم على كلامه و ما فيه من حكمة بليغة، فالغيبة أروح للنفس في هذا الحال و دليل على العظمة كقوله تعالى: ﴿ أ ل م ذلك الكتاب لا ريب فيه﴾. (1)

فقد أشار الله للقرآن تعظيما له و أكد على صرفه و أعاد الضمير الغائب لما له من قوة و إثبات الكلام، و من لطف الإلتفات ما جاء في قوله تعالى: ﴿ فيها يفرق كل أمر حكيم أمرا من عندنا إن كنا مرسلين، رحمة من ربك إنه هو السميع العليم﴾.(2)

فنرى هذا النوع من الإلتفات المذكور في الآية يبين تصريف الكلام بمنتهى الروعة إذ يخرج من ضيقة التكلم في قوله: ﴿ إنا كنا مرسلين، رحمة من ربك إنه هو السميع العليم﴾ إلى صيغة الغيبة.

و من الأمثلة الشعرية في هذا النوع ما أورده ابن رشيق القيرواني (ت 1064م) في العمدة (3) لقول جرير [من الكامل]:

متى كان الخيام بذي طلوح **** سقيت الغيث أيتها الخيام

فإنه الإلتفات من الغيبة إلى الخطاب

و قول أبي تمام [من الخفيف]:

لو أنه تبث لكانت دوانه **** قضب البشام اللذن للأقوام(4)

و قول امرئ القيس في معلقته المشهورة [من الطويل] :

قفا نبك من ذكرى حبيب و منزل **** بسقط اللوى بين الدخول فحومل

---

(1) سورة البقرة الآية رقم1.

(2) سورة الدخان الآية رقم 4-6.

(3) العمدة ج2، ص 46.

(4) ينظر ديوان أبي تمام.

و قوله أيضا [من الطويل]:

فيالك من ليل كأن نجومه **** بأمراس كتاب إلى صم جندل(1)

و قول عنترة [من الطويل]:

و أضرم في صميم القلب نارا **** كضربي بالحسام الهندواني(2)

فنرى الشعراء في أساليبهم المختلفة ينتقلون من خطاب إلى غيبة و من تكلم إلى خطاب و من خبر إلى إنشاء هذا ما ألممت به من كتب السلف في القرن الثالث الهجري وذكر بعض العلماء الذين تنولوا هذا الفن و لم يكن في متناول الجميع و قد ذكره بعضهم تمثيلا دون أن يضع له مصطلحا يضمه أو قاعدة تضبطه.

(1) ورد ذلك في الديوان من معلقته ص 29.

(2) ورد ذلك في الديوان من معلقته ص 16.

الإســـتـــثـــناء

الإستثناء أقرب كما جاء في تعريف القائل : " الإستثناء في الشعر تأكيد مدح بما يشـــبه الذم(1) و منه قول النابغة الذبياني : [من الطويل] :

و لا عيب فيهم غير أن سيوفهم **** بهن فلول من أقرع الكتائب

و قد عرفه بعض النحاة بأنه استخراج بعض من كل حكم شامل بمعنى إلا كقول النابغـــة [من الطويل](2)

فتى كملت أخلاقه غير أنه **** جواد فما يبغي من المال باقيا

و قوله:

فتى تم فيه ما يسر صديقه **** على أن فيه ما يشوه الأعادي

نلاحظ في البيت الأول ورود كلمة " غير" و في البيت الثاني ذكر عبارة " على أن فيـــه" و ذلك من أبرع الإستثناء و أحسنه.

و في نضره الإغريض و نصرة القريض للمظفر العلوي قالوا : " أحسن ما جاء في هذا النوع قول الربيع:

فنيت و لا يفنى حديثي و منطقي **** و كل امرئ إلا أحاديثه فان

و قال بعض الأعراب: " خرقاء إلا أنها صناع".(3)

---

(1) البيان من ديوان النابغة ص 11.

(2) المصدر نفسه ص11.

(3) المصدر نفسه ص 138.

و ورد في (نضره) الإغريض في نصرة القريض) " للمظفر بن الفضل العلوي" قالوا:

أحسن ما جاء في هذا النوع قول الربيع:

فنيت و لايفنى حديثي و منطقي **** و كل امرئ إلا أحاديثه فان.

و قال بعض الأعراب " خرفاء إلا أنها صناع"

تعريف الإستثناء لغة:

جاء في (الصحاح) في مادة [ثني] قال الجوهري: " و الثنايا بالضم: الإسم من الإستثناء و كذلك الثنوي بالفتح ... و ثبت الشيء أي عطفته، و ثناه أي كفه يقال جاء ثانيا من عنانه، و ثنيته أي صرفته عن جاجته و كذلك إذا صرت له ثنايا".

و الثنيا بالضم: الذي يكون دون السيد في الرتبة، و الجمع ثنيه، قال الأعشى [من الطويل]:

طويل اليدين رهطه غير ثنية **** أشم كريم جاره لا يرهق(1)

و جاء في كتاب (أساس البلاغة) في مادة [ثني] كشبه في ثني ثوبه... و بحر الجزار الناقة و أخذ الثنياء و هي ما يستثنيه لنفسه من الرأس و الأطراف، و هذه ليس فيها مثنوية و ثنيا أي إستثناء، و هؤلاء ثناياي، قال ذو الرمة [من المتقارب]:

بثين إذا ما النسغ بعد إعوجاجها **** تحدرن في حيزومها وتصعدا

أنين الفتى للسلول أبصر حوله **** على جهد حال من ثناياه عودا(2)

---

(1) الصحاح ج2، ص 2294- 2295.

(2) أساس البلاغة ص 48.

تعريف الإستثناء إصطلاحا:

جاء في كتاب (معاني القرآن) للأخفش في باب الإستثناء تعريف تمثيلي فقال قوله تعالى: ﴿ فسجدوا إلا ابليس﴾(1) فانتصب لأنك شغلت الفعل بهم عنه فأخرجته من الفعل من بينهم، كما تقول: " جاء القوم إلا زيدا" لأنك لما جعلت لهم الفعل و شغلته بهم و جاء بعدهم غيرهم شبهته بالمفعول به بعد الفاعل و قد شغلت به الفعل(2)، وجاء في قوله تعالى : ﴿ و منهم أميون لا يعلمون الكتاب إلا أماني﴾ (3) قال الأخفش جاءت منصوبة لأنه مستثنى ليس من أول الكلام، و هكذا الذي يجيء في معنى لكن قال الشاعر [من الطويل]:

أينخت فألقت بلدة فوق بلدة **** قليل بها الأصوات إلا مقامها(4)

إذا فالإستثناء هو أحد الأساليب الكلامية الشائعة في كلام العرب و له أركان هي: المستثنى و المستثنى منه و أداة الإستثناء.

تعريف الإستثناء عند اللغويين:

هو إخراج القليل من الكثير و هذا مذهب أهل اللغة الذين أخذوا على عاتقهم تفسير هذه النظرية من حيث الإستثناء و ضع اللغوي، أي القول المخرج من زمرة كلام ذو صيغ كثيرة.(5)

فالإستثناء عند اللغويين لا يقتصر على الإستثناء بالا بل هناك إستثناء بالبدل، و النفي، و التأكيد، إلخ،و أهل هذا المذهب يعرفونه من حيث وضعه اللغوي و بيانه للكلم.(6).

---

(1) سورة البقرة الآية رقم 34.

(2) المصدر السابق ص 220.

(3) سورة البقرة الآية رقم 78.

(4) معاني القرآن للأخفش ج1، ص294.

(5) و ينظر أصول السرخسي ص 223- 227.

(6) ينظر: الإمتاع و المؤانسة ج2، ص 140.

و من هذه الأمثلة المستوحاة من القرآن الكريم تنبئ أن الأصل الأصيل في الدراسات اللغوية من نحو و بلاغة هو ما سمع من قرآن كريم، إذ نقول ما سمع لأن آي الذكر الحكيم قد حفظ في الصدور و دونه الثقات في كتاب محكم، و تناقله التابعون نقلا سماعيا و تدوينا، فالتدوين ههنا هو الترتيب المحكم.

و مما ثبت أن الأصول (1) التي وظفها النحاة في القرون المتعاقبة، و التي كما أسلفنا أنها تنحصر في السماع و مصادره، و الإجماع، و القياس و الإستصحاب نجد أن الحاجة الماسة لتعقيد و تدوين البلاغة في هذا العصر فلا يكون إلا بإتباع الأصول النحوية و ترسيخ معالمها في هذا العلم بمصطلحات خاصة تناسب المادة المدروسة في ذاك العلم التي تبحث فيها.

فكل من النحو و البلاغة يبحث في أصل التقديم و التأخير، و الحذف، و الإثبات، و الخبر و الإنشاء و الفصل و الوصل.. إلخ.

إلا أن النص القرآني ذاك المنهل الصافي قد ورد منه العلماء مادتهم التي استنهموها، و صنفوا الكتب و المتون المختلفة.

و الواضح أن القرآن كان الشاهد الأول و الآخر لكل عالم في هذين العلمين إذ أتى بجوامع الكلم و بلغة عربية فصيحة لا يأتيها الباطل، و الحق أن الله جل جلاله جعلها منتقاة.

(1) ينظر الأصول لابن سراج تحقيق الدكتور الفتلي عبد الحسين طبعة دار الحياة بيروت، سنة 1987، ص 38.

فالبلاغة في هذا العصر جعلت القرآن ميدانها و لم يجعل الدارسون القرآن كتابا عاديا بل كان الأصل الأول في فهم أحكامه الشرعية و قراءته المختلفة، و معانيه التي بها يعي المؤمن أحكامها.

ومن ذلك قد درسوا الإستعارة في الكتاب المبين فيقول الله تعالى: ﴿ يوم يكشف عن ساق﴾(1) أي عن شدة من الأمر أي عن أمر عظم و هذا يتضح في الفعل المبني للمجهول، إذ أن الغرض أو القرينة التي بسببها يبنى الفعل للمجهول تعظيم الأمر و تهويله، و أصل هذا أن إذا وقع أمر عظيم يحتاج إلى معاناته و الجد فيه، شمر عن ساقه فاستعيرت الساق في موضع الشدة، و كان الفعل المبني للمجهول الذي حل على تهويل الأمر.

و منه قوله تعالى: ﴿ و لا يظلمون فتيلا﴾(2) ﴿ و لا يظلمون نقيرا﴾ (3) و القتيل ما يكون في شق النواة و النفير النفرة في ظهرها و لم يرد أنهم لا يظلمون ذلك بعينه ، و إنما أراد أنهم إذا حوسبوا لم يظلموا في الحساب شيئا و لا مقدار، و في هذا الشأن أيضا أن الآيتين تقدمهما فعلين مبنيين للمجهول و من الإستعارة قوله تعالى : ﴿ هن لباس لكم و أنتم لباس لهن﴾(4)

(1) من سورة القلم الآية رقم 42.

(2) من سورة النساء الآية رقم 49.

(3) من سورة النساء الآية رقم 24.

(4) من سورة البقرة الآية رقم 267.

و الجدير بالذكر هو بيان ماهو كنه هذا الأصل الذي انتقى العلماء منه مادتهم، فنهلوا، و دونوا كل علومهم من ذاك المورد الصافي الذي لا تشوبه أي شائبة، يقول عزوجل: ﴿لا يأتيه الباطل من بين يديه و لا من خلفه﴾(1)

و تأكد الدارسون في هذا القرن الثالث بأنه لامفر من الإقتباس للغة العربية من القرآن الكريم و السير على نهجه و نسقه لتسلم لغتهم.

و من ذلك أسس العلماء الأوائل صرح قواعدهم التي تضبط و تدون علمهم. و القرآن العظيم هو اللفظ و المعنى،و أن لفظه نزل باللسان العربي(2) قال تعالى:﴿ إنا جعلناه قرآنا عربيا﴾(3) قال الشافعي رحمه الله تعالى : " جميع كتاب الله نزل بلسان العرب."

(1) من سورة فصلت الآية رقم 41.

(2) ينظر أصول الفقه للدكتور عبد الكريم زيدان ط – مؤسسة قرطبة 1987 ص 163.

(3) سورة الزخرف الآية رقم3.

و الواضح أن القرآن أشهر من أن يعرف و لهذا سنبين بعض أوجه إعجازه من حيث اللغة و قواعدها.

أ: برغته التي بهرت العرب، و جعلتهم مشدوهين على نحو لم تعهد في كلام العرب من قبل، لا في منظوم و لا في منثور؛ إلا أنه من كلامهم، و لسانهم الذي ينطقون به.

وقد أخبرهم بالأدلة الواضحة، بأن هذا الكلام العربي الذي يتداولونه، و نتحدثون به نسيج القرآن فآيات محكمات معجزة حيث لا يستطيعون محاكاته.

فيقول جل من قائل: ﴿ وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله و ادعوا شهدائكم من دون الله إن كنتم صادقين﴾(1)

و ذاك الكلام هو الذي ضحد حجتهم و أعجز شعراءهم و بلغاءهم من خطباء و حكماء، و من هذا الباب نجد أن العرب في هذا القرن كانوا يتحرون كلامهم مستقصين في ذلك و مستقرئين مما يبرر قواعدهم فهذا صاحب كتاب الكامل(2) يقول: " حدث أبو عبيدة معمر بن المثنى التيمي النسابة عن أسامة بن زيد عن عكرمة قال: " رأيت عبد الله بن العباس و عنده نافع بن الأزرق و هو يسأله و يطلب منه الإحتجاج فاللغة فسأله عن قول الله : ﴿ و الليل و ما وسق﴾ فقال ابن عباس "و ما جمع"(3)

(1) من سورة البقرة الآية رقم 22.

(2) هو العلامة أبو العباس محمد بن يزيد المعروف بالمبرد النحوي المتوفى 285.

(3) سورة الليل الآية رقم 5.

أما ما جاء عند البلاغيين من هذا الباب الذي جعله النحاة مثلهم الأعلى و حجتهم التي يدمغون بها كل من أراد إبطال كلامهم، و نسقهم قوله تعالى: ﴿ و لله المثل الأعلى﴾(1) و لم يئأت ذلك إلا بعد استقراء و استقصاء للنص القرآني من لدن العرب الأقحاح الفصحاء، و قد وجد ذلك من كلامهم إلا أنه محيط بكل أصول لغتهم و كلما بحثوا عن ظاهرة لغوية أو مسلك لكلامهم إلا و كان له تخريجا صافيا من ذاك النبع السلس، و قد أفرد البلاغيون الأوائل دراسات جادة تحوم حول هذا الكتاب في القرن الثالث الهجري، فنراهم يدرسون آي الذكر الحكيم مستعنين بالنحو في وضع ضوابط تحكم النص و الجملة، كما أسلفنا في التذكير و التأنيث.(2)

و البلاغة في هذا الشأن تجمع الحكمة من النص المقدم إذ به يستطيع المتكلم إيصال المعنى، و لا يمكن ذلك الإقناع إلا في الإطار النحوي لضبط الكلام و حسن الإقناع.

---

(1) سورة النحل رقم الآية 16.

(2) كتاب دراسات في البلاغة للدكتور محمد بركات حمدي أبو علي، ص 86 و مابعدها، ط دار الفكر للنشر و التوزيع عمان 1984، ط الأولى.

و الواضح أن هذا الباب من الدرس الذي أولاه العلماء اهتماما بالغا، و أوردوا فيه أبوابا حيث نجد الأخفش قد خصص بابا في كتابه معاني القرآن للتأنيث و التذكير.

ومما جاء به قوله تعالى: ﴿ و لا يقبل منها شفاعة﴾(1) و لقد ذكر الفعل في قوله يقبل على أنه من الحسن أن نذكره لأن الذي يعقل أشد استحقاقا للفعل، إلا أن ذلك يقبح في الإنس و ما أشبههم مما يعقل؛ لأن الذي يعقل أشده استحقاقا للفعل.(2)

و جاء في كتاب الكامل في اللغة و الأدب(3) باب خاص يذكر فيه تذكير الحيوان مثل جمع المذكر السالم و العاقل، فقال لا تذكر من ذلك إلا من كان فعله يجري بالواو و النون في الجمع، و ذلك كل ما يفعل، نقول مسلم و مسلمون، كما نقول قوم يسلمون، و تقول للجمال هي تسير وهن يسرن كما نقول للمؤنث لأن أفعالها على ذلك... قالوا ما خرج عما يفعل بجمعه بالتأنيث كقوله تعالى: ﴿ رب إنهم أضللن كثيرا من الناس﴾.(4)

---

(1) من سورة البقرة الآية رقم 68.

(2) ينظر معاني القرآن ص 260 و ما بعدها دراسة و تحقيق الدكتور عبد الأمير محمد أمين الورد ط عالم الكتب 1985.

(3) المصدر السابق.

(4) ينظر الكامل ص85.

و ورد في (نضره) الإغريض في نصرة القريض) " للمظفر بن الفضل العلوي" قالوا:

أحسن ما جاء في هذا النوع قول الربيع:

فنيت و لايفنى حديثي و منطقي **** و كل امرئ إلا أحاديثه فان.

و قال بعض الأعراب " خرفاء إلا أنها صناع"

تعريف الإستثناء لغة:

جاء في (الصحاح) في مادة [ثني] قال الجوهري: " و الثنايا بالضم: الإسم من الإستثناء و كذلك الثنوي بالفتح ... و ثبت الشيء أي عطفته، و ثناه أي كفه يقال جاء ثانيا من عنانه، و ثنيته أي صرفته عن حاجته و كذلك إذا صرت له ثنايا".

و الثنيا بالضم: الذي يكون دون السيد في الرتبة، و الجمع ثنيه، قال الأعشى [من الطويل]:

طويل اليدين رهطه غير ثنية **** أشم كريم جاره لا يرهق(1)

و جاء في كتاب (أساس البلاغة) في مادة [ثني] كشبه في ثني ثوبه... و بحر الجزار الناقة و أخذ الثنياء و هي ما يستثنيه لنفسه من الرأس و الأطراف، و هذه ليس فيها مثنوية و ثنيا أي إستثناء، و هؤلاء ثناياي، قال ذو الرمة [من المتقارب]:

بثين إذا ما النسغ بعد إعوجاجها **** تحدرن في حيزومها وتصعدا

أنين الفتى للسلول أبصر حوله **** على جهد حال من ثناياه عودا(2)

---

(1) الصحاح ج2، ص 2294- 2295.

(2) أساس البلاغة ص 48.

الإســـتـــثـــناء

الإستثناء أقرب كما جاء في تعريف القائل : " الإستثناء في الشعر تأكيد مدح بما يشـــبه الذم(1) و منه قول النابغة الذبياني : [من الطويل] :

و لا عيب فيهم غير أن سيوفهم **** بهن فلول من أقرع الكتائب

و قد عرفه بعض النحاة بأنه استخراج بعض من كل حكم شامل بمعنى إلا كقول النابغـــة [من الطويل](2)

فتى كملت أخلاقه غير أنه **** جواد فما يبغي من المال باقيا

و قوله:

فتى تم فيه ما يسر صديقه **** على أن فيه ما يشوه الأعادي

نلاحظ في البيت الأول ورود كلمة " غير" و في البيت الثاني ذكر عبارة " على أن فيـــه" و ذلك من أبرع الإستثناء و أحسنه.

و في نضره الإغريض و نصرة القريض للمظفر العلوي قالوا : " أحسن ما جاء في هذا النوع قول الربيع:

فنيت و لا يفنى حديثي و منطقي **** و كل امرئ إلا أحاديثه فان

و قال بعض الأعراب: " خرقاء إلا أنها صناع".(3)

---

(1) البيان من ديوان النابغة ص 11.

(2) المصدر نفسه ص11.

(3) المصدر نفسه ص 138.

و هذا لا يكون إلا في جمع المذكر السالم للعاقل، و لا شك أن السجود إلا من خصائص العقلاء، و قد يخرج هذا الفعل من الآدميين إلى غيرهم مثل قوله تعالى :﴿ و قالوا لجنودهم لما شهدتم علينا ﴾ (1) حين تقرأ الآية الكريمة تحس كأنهم يخاطبون رجالا إذ كلمتهم و كلموها، ذلك يوحى إلينا أن الله جل شأنه يعظم الأمر الذي جعله في يوم ترد الجوارح من الشاهدين على أصحابها المرتكبين الجرائر فذكر الجلود لما للمذكر من ذكر وصيت ذائع، أو لتقديم المذكر على المؤنث من باب الأصل و الفرع، فالأصل لا يحتاج إلى علامة و الفرع مفتقرا إليها (كالتاء ، و الباء ، و الألف ، و الهمزة) و كلام الله جوهر اللغة و أصلها ، و مثل قوله تعالى : ﴿ يا أيها النمل أدخلوا مساكنكم ﴾ (2)

فما أتى على موقع لعمل الآدميين من غيرهم أجريته على هذا . (3)

(1) سورة فصلت ، الآية رقم 21 .

(2) سورة النمل ، الآية رقم 22 .

(3) ينظر للفراء تفسير معاني القرآن ، ط (دت) ، القاهرة .

و من الأمثلة التي أخذها البلاغيون عن النحاة من هذا الأصل الأصيل " المذكر و المؤنث " و قد ورد في القرآن الكريم عدة أنواع و مراتب، منها المذكر في أسماء العلم و الأشياء، و ذلك كل في مرتبة و ما ورد في العلم قوله تعالى : ﴿ و نحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحينا إليك هذا القرآن و إن كنت من قبله لمن الغافلين ﴾ (1)

حيث استدل الفراء بهذه الآية جاعلا كلمة "القرآن " منصوبة بوقوع الفعل عليه و هذا ما يسمى بالعامل، و الذي يلاحظ أن الفراء قد جعل اسم الإشارة (هذا) مفعولا للفعل (أوحينا)، و ذلك يخالف الرأي الذي اشتهر عند الكوفيين، و إنما المفعول عندهم منتصب بالفعل و الفاعل معا، و قد يجعل مكرورا أي بدلا من اسم الإشارة و الكوفيون أسموا البدل التبيين.

و قد يرد المذكر لغرض بلاغي أسمى و من أمثلته قوله تعالى: ﴿ إذ قال يوسف لأبيه يا أبت إني رأيت أحد عشر كوكبا، و الشمس و القمر رأيتهم لي ساجدين﴾(2) فإننا نلاحظ الياء و النون لحقت كلمة ساجدين.

(1) من سورة يوسف رقم الآية 2.

(2) من سورة يوسف رقم الآية 4.

و خير ما أخذ من الأمثال و الأمثلة كان قرآنا حيث جعلا الدرس و المادة الأساسية لتبيان ما أراد فالأخفش قد تطرق للتأنيث و التذكير حيث يقول أما قوله :"تجزي نفس عن نفس شيئا " فهو مثل قولك :" لا تجزي عنك شاة " و "تجزي عنك درهم " و "تجزي عنك درهم "، " و جزت عنك شاة " فهذه لغة أهل الحجاز لا يهمزون و بنو تميم يقولون في هذا المعنى " أجزأت عنه " و تجزئ عنه شاة " و قوله :" شيئا كأنه قال لا تجزئ عنه الشاة مجزى و لا تغني عنه غناء، و قوله عن نفس ، يقول منها أي لا تكون مكانها و أما قوله : لا يقبل منها شفاعة ، فإنما ذكر الاسم المؤنث لأن كل مؤنث بينه و بين فعله حسن أن تذكر فعله، إلا أن قرأت ذلك بفتح في الانس و ما أشبههم مما يعقل ، لأن الذي يعقل أشد استحقاقا للفعل . و ذلك أن هذا إنما يؤنث و يذكر ليفصل بين معنيين . و المواد "كالأرض" و " الجدار " ليس بينهما معنى تنحو ما بين الرجل و المرأة (1) ،فكل ما لا يعقل يشبهه بالمواد ، و ما يعقل يشبه بالمرأة و الرجل نحو قوله :﴿ رأيتهم لي ساجدين ﴾. (2)

لما أطاعوا صاروا كمن يعقل قال : ﴿ و لو كان بهم خصاصة ﴾ (3) فذكر الفعل لما فرق بينه و بين الاسم (4) و قال ﴿و لا يؤخذ منهم فدية﴾ (5) و تقرأ تؤخذ. (6)

---

(1) في الأصل المرأة و الرجل .

(2) سورة يوسف ، الآية رقم 12 .

(3) سورة الحشر ، الاية رقم 59 .

(4) في اعراب القرآن الجزء الأول ص 46 نسبت إلى سيبويه .

(5) سورة الحديد ، الآية رقم 57 .

(6) من القراءات السبع .

و قد يقال ذلك في الانس ، زعموا أنهم يقولون " حضر القاضي امرأة " فأما فعل الجمع فقد يذكر و يؤنث ، لأن تأنيث الجميع ليس بتأنيث الفصل ألا ترى تؤنث جماعة المذكر فتقول " هي الرجال" و " هي القوم "و تسمى رجلا ب " بعال" (1)فتصرفه لأن هذا تأنيث مثل التذكير و ليس بفعل و لو سميته "بعناق" لم تصرفه لأن هذا تأنيث للذكر ، و هو فصل ما بين المذكر و المؤنث تقول : "ذهب الرجل " و "ذهبت المرأة" فتفصل بينهما و تقول : " ذهبت النساء " و "ذهبت النساء ، و "ذهب الرجال "و " ذهبت الرجال و في كتاب الله ﴿ كذبت قوم نوح المرسلين ﴾ (2) ﴿و كذب به قومك ﴾(3)، قال الشاعر: (من الطويل)

فما تركت قومي لقومك حية **** تقلب في بحر و لا بلد فقر .

(1) قد ذكر في الأصل على هذا الوجه من معاني القرآن للفراء و الأخفش ، ص 262 .

(2) سورة الشعراء ، الآية رقم 105 .

(3) سورة الأنعام ، الآية رقم 21 .

(4) البيت منسوب للحطيئة ، و ليس موجود في ديوانه و البيت يروي أنه هجا به ابن صفار الحجازي.
و جاء على هذا المعنى قوله :

فما تركت حيا تنالك حية **** تقلب في أرض براح و لا نجر .

و أمكنة كثيرة قد ذكرت (1)

أما ما جاء في كتاب ابن قتيبة باب تفسير حروف المعاني و ما شاكلها من الأفعال التي لا تتصرف و كل ذلك يدخل في باب معرفة استقامة الكلام و كنهه ، إذ بالمعاني تستقر مادية الشيء المراد فهمه ، و الأصول الكلامية لا تفهم إلا في إطار النحو و البلاغة جملة ، و المفرد في الجملة أساس و هو الجزء المكون لها .

و مما جاء في تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة الحروف المقطعة فقال : " قد اختلف المفسرون في الحروف المقطعة ، فكان بعضهم يجعلها أسماء للسور ، تعرف كل سورة بما افتتحت به منها و كان بعضهم يجعلها أقساما ، و كان بعضهم يجعلها حروفا ، مأخوذة من صفات الله تعالى ، تجمع بها في المفتاح الواحد صفات كثيرة كقول ابن عباس في " كهيعص" إن الكاف من "كلف " و "الهاء" من هاد و "الياء" من " حكيم " و " العين " من عليم ، و" الصاد " من صادق و قال الكلبي هو : كتاب كاف هاد ، حكيم ، عالم صادق و لكل مذهبه من هذه المذاهب وجه حسن (2)

(1) ينظر الأخفش ، معاني القرآن ، ص 260 إلى 264.

(2) ينظر تأويل مشكل القرآن ، تأليف أبي محمد عبد الله ابن مسلم بن قتيبة الدينوري المتوفي في 276، ص 279.

و هذه الحروف تمثل أصل العربية إذ بها يتسنى للقارئ و الدارس فهم القرآن الكريم ، و لذا نجد الكثير من جمهور العلماء يتحرون أصول الكلمة و معناها ، و لذلك قد صنف العلماء المؤلفات العديدة في هذه الأبواب التي تجعل للعربية صيانتها ، و ألفاظ ،و قد يقع اللفظ الواحد لعدة معان سنورد منها أمثلة من كتاب تأويل مشكل القرآن .

1.**القضاء:** أصل قضى ، ختم كقول الله عز وجل ﴿فيمسك التي قضى عليها الموت﴾(1) أي ختمه عليها .

ثم يصير الختم بمعان كقوله :﴿و قضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه ﴾(2) أي أمر ، لأنه كما أمر حتم بالأمر .

و كقوله :﴿ و قضينا إلى بني اسرائيل في الكتاب﴾ (3) أي أعلمناهم لأن لما خبرهم أنهم سيفسدون في الأرض ، ختم بوقوع الخبر.

و قوله : ﴿ فقضاهن سبع سموات ﴾(4) أي صنعهن و قوله :﴿ قض ما أنت قاض ﴾(5)أي فاصنع ما أنت صانع . و مثله قوله : ﴿ فاجمعوا أمركم و شركاءكم ثم لا يكن أمركم عليكم غمة ثم اقضوا إلي ﴾(6) أي اعملوا * ما أنتم عاملون و لا تنظرون .

---

(1) من سورة الزمر ، الآية رقم 42 .

(2) من سورة الإسراء ، الآيةرقم 23 .

(3) من سورة الإسراء ، الآية رقم 4 .

(4) من سورة فصلت ، الآية رقم 12 .

(5) من سورة طه ، الآية رقم 72 .

(6) من سورة يونس ، الآية رقم 71 .

و خلاصة ما جاء في هذا الأصل الجوهري في أن النحاة البصريين كان لهم السبق بالاستشهاد بالقراءات السبعة وغيرها إذا كانت لا تعارض قاعدة وضعوها فإذا اصطدمت بما وضعوه من قواعد فإحدى ثلاث : إما التأويل و التخريج ، و إما تضعيفها ، و الطعن عليها و على من قرأ بها و إما إغفالها .

و أما البلاغيون فقد استقوا المادة المقروءة مستفيدين من القاعدة النحوية ووضع الحكمة منها .كالأغراض المستفادة من التأنيث و التذكير و الجمع و المطابقة ... إلخ

و الحق أن عددا من العلماء لم يقبل هذا الموقف من النحاة ، إلا أن اجتهادهم كان له السبق في وضع اللبنة الأولى ، كوضع الجملة الاسمية ، و الغرض منها و الجملة الفعلية و الغرض المستفاد منها.

حيث نلاحظ أن اللغة العربية أكثر جملها فعلية ، وذلك لاهتمام العربي بالحدث ، و كان كثير النجدة و النهضة ، وقليلا ما نجد في العربية جمل إسمية إلا نادرا ، الأغراض بلاغية خاصة ، كالتقديم و التأخير ، و التوكيد ، و الالتفات ، و كل ذلك من باب تعيين القائم بالفعل و المحدث له (1)

(1) ينظر كتاب الخصائص لابن جني ، باب شجاعة العربية ، ج1 ، ط دار الكتب المصرية سنة 1986 ، ص160.

و العنصر الثاني من الأصل الأول الذي تداوله البلاغيون من بعد النحاة السنة النبوية الشريفة ، و قبل الخوض في دراسة هذا الجانب من الدرس الذي جعله كل من النحاة و البلاغيين نعرف السنة تعريفا لغويا ثم اصطلاحا عند كل من النحاة و البلاغيين .

السنة لغة :

جاء في أساس البلاغة في مادة (س ن ن) سن سنة حسنة : طرق طريقة حسنة ، واستن بسنته ، وفلان مستن عامل بالسنة و ألزم سنن الطريق قصده و تنح عن سنن الخيل و اكتن عن سنن الريح و جاء من الخيل سنن ما يرد ورأيت سنن بني فلان ، إبلهم المسنة نشاطا، قال الشاعر:

و منا عصبة أخرى سرائح **** زفتها الريح بالسنن الطراب

أما ما جاء في مختار الصحاح معناها السيرة (2) !

(1) ينظرأساس البلاغة للامام الكبير جار الله الزمخشري تحقيق الأستاذ عبد الرحيم محمود ص 223، ط دار المعرفة بيروت ، لبنان ، (دت) .

(2) مختار الصحاح للشيخ الامام محمد بن أبي بكر عبد القادر الرازي ، ط دائرة المعاجم في لبنان سنة 1986 ، ص 132 .

أمـــا اصـــطـــلاحـــا :

فالسنة عند الفقهاء (1) كل قول أو فعل أو تقرير صدر عن رسول الله صلى الله عليه و سلم و هي دليل من أدلة الأحكام الشرعية أما السنة عند النحاة فلم يكن الأخذ بها عند بعضهم و ذلك لأن السنة لم تصلهم إلا عن طريق الرواية بمعناها و ما جاء متوافرا فقليل .

و أما البلاغيون فكانوا يرتكزون على الأدلة التي قدمها النحاة مثل ما جـــاء في الحديـــث الشريف" أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم " ففي هذا الحديث تشبيه دال علـــى توضيـــح يربط جملة الصحابة مؤكدا ذلك أما في النحو فنجد الكاف تفيد الجر ، و كما نعلـــم أن الجـــر أنواع، للإلصاق ، و للزيادة ، و التوكيد و الاستعانة ، إلخ و هذا ليس مجالنا بل للتنويه فقط .

(1) ينظر الوجيز في أصول الفقه للدكتور عبد الكريم زيدان، ط موسسة قرطبة، سنة 1978، ص 161.

(2) رواه البخاري و مسلم .

و العنصر الثاني من الأصل الأول يتجلى في قول الرسول و لا يهمنا ههنا سنة رسول الله الفعلية أو التقريرية بل ما يلزمنا في دراستنا هو ما أثر عن الرسول صلى الله عليه و سلم تواترا، وما ثبت عن الرسول عليه الصلاة و السلام أنه تلفظ به من كلمات متضمنة مفردات أو جمل .

كأن يثبت قولا أو يرفضه حين سماعه كما ورد عنه صلى الله عليه و سلم حين أخطأ أحد في حضرته فقال : "أرشدوا أخاكم فإنه قد ضل جعل الخطئة في اللغة العربية ضلالا (1)

كما أن الأصوليين قد وضعوا الحديث يلى القرآن الكريم في حجتيه ، قد وضع النحاة أيضا قول رسول الله – صلى الله عليه و سلم إلا أنهم اختلفوا في الأخذ بالحديث الشريف مرجعهم إلى أحد الوجهين إلى أن القرآن الكريم في كثير من آياته يوجه الناس إلى العمل بالحديث و الأخذ به مما جاء في كتاب الله ﴿ وما كان لمؤمن و لا مؤمنة إذا قضى الله و رسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ﴾ (2)

(1) كتاب الخصائص ، الجزء الأول ، رقم 8 .

(2) من سورة الأحزاب ، الآية رقم 36 .

و قال تعالى : ﴿ فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجـــدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت و سلموا تسليما ﴾ (1) و ههنا ترمي الآية إلى عموم الطاعة لله ثـــم لرسوله الكريم و قد تبين أن الله جل جلاله ذكر في الآية كلا من المؤمن و المؤمنة لمـــا خصهمـــا بأمور متعلقة بهما و الكلام المنطوق يكون أمرا خاصا بكل فرد و لذا قد ذكرهما معا .

و ورود السنة القولية كبيان لكتاب الله قوله تعالى : ﴿ و أنزلنا إليك الذكر لتبين للناس مـــا نزل إليهم ﴾ (2)

و يرجع العلماء الأول أن الاستشهاد بالحديث إلى ثلاث طوائف :

أ- الـــمـــانـــعون :

و ذكرت هذه الطائفة المنع بالاستشهاد به مطلقا و ذلك لعدم ثبوت أنه روي بسند متواتر إلى رسول الله ، بل كان اللفظ من قبل الرواة حسب المعنى المراد ، ممـــا أدى إلى منعـــه مطلقـــا، و الرواه ليسوا ممن يستشهد بهم في اللغة العربية .

(1) من سورة النساء ، الآية رقم 65 .

(2) من سورة النحل ، الآية رقم 44 .

كلام العرب هو العنصر الثالث من السماع النقلي الذي أخذ منه النحاة و وظفه البلاغيون مستشهدين بما جاء في كلام العرب في كتب النحاة، الذين أكدوا عليه؛ لأن هذه الحقيبة الزمنية كان العلماء يستقصون الحقائق من العناصر الأصلية، حتى كادوا يقسمون اللغة إلى أقسام لما وجدوا من اختلاف في كلام العرب من منطقة إلى أخرى، باحثين في علة تلك التعابير إلا أنهم أهتدوا بعد ذلك إلى أن اللسان العربي لا تحيط به أي لغة قوم غير القرآن، حيث نجد لغة القرآن الكريم المنزلة بلسان العرب؛ إلا أنهم عجزوا أمامه فأجمعوا عن قول الكلام من منظوم ومنثور.

و الواضح أن القرآن العظيم جاء ليبين للناس حيث قال عز من قائل: ﴿ و انزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم.﴾(1)

و قال أيضا: ﴿ يا أيها الرسول بلغ ما أنزل من ربك﴾(2) فالكلام العربي السليم هو الذي يؤدي المعنى المراد بالمعاني ذات الغاية المنشودة، و لذا نجد العلماء في هذا القرن يتبعون الكلام الذي أكده الثقات في طيات كتبهم، و دونوه في كتبهم بالحجة القاطعة و الدليل الثابت دون تزييف أو زيادة، و من هذا القبيل نجد بعض العلماء قد وضعوا أنفسهم خدمة للغة العربية، فنهلوا من كلام العرب الأقحاح الفصحاء الذين لم تفسد ملكتهم بعد، و لم يختلطوا مع العجم.

فكان الأخفش سعيد بن مسعدة يشارك الأعراب في الكلام المنطوق، إذ بالكلام يبن الإنسان عما يختلج في صدره، فيقذف إلى السامع.

و ابن قتيبة يقول: " لم يقصر الله العلم و الشعر و البلاغة على زمن دون زمن، و لا خص به قوما دون قوم بل جعل ذلك مشتركا مقسوما بين عباده في كل دهر وجعل كل قديم حديثا في عصره و كل شرف خارجية(3) أوله فقد كان جرير الفرزدق و الأخطل و أمثالهم في عصرهم يعدون محدثين، و كان أبو عمرو بن العلاء يقول: " لقد كثر هذا المحدث حتى هممت بروايته ثم صار هؤلاء قدماء عندنا بعيدا لعهد منهم."(4)

---

(1) سورة المائدة الآية رقم 67.

(2) سورة النحل الآية رقم 44.

(3) خارجية أي خارجيا.

(4) ينظر كتاب الشعر و الشعراء لابن قتيبة ط دار صادر ، ط سنة 1902 في مدينة ليدن المحروسة، ص5.

يروى أن في عهد المأمون صارت ألسن المثقفين في القرن الثالث الهجري تبتعد بصورة مطردة من النموذج الفصيح، و الملاحظات التي يذكرها الجاحظ أحيانا تدل على أن مراعاة الدقة في الإعراب تعد من الحدلقة، و أن المحادثة السليمة الخالية من اللحن كانت تنتظر فقط من الأعراب الخلص.أو من بلغاء العلماء(1) و بطبيعة الحال كانت هناك فروق في لغة الحادثة، وفقا كثقافة المتكلم.

و في عهد المأمون أيضا كان الكلام ينحو منحى يخالف القاعدة النحوية في معاملاتهم الشفوية و الكتابية، فقد روى أن ميمون بن ابراهيم كاتب اسحاق بن ابراهيم المصعبي، ارتكبت في رسالة إلى المأمون هذا الخطأ الشنيع، وهذا المال مالا يجب على فلان، فخط المأمون على مالا، و وقع في خطه على الكتاب أتكاتبني بلحن يا اسحاق ! فاشتد عليه و أنت كاتبه.

و نجد في هذا القرن الثالث هناك بعض العلماء الذين اتبزوا للتجديد من أشهرهم ابن قتيبة (213-276هـ) الذي خصه العلماء بالدرس و التنقيب على الحقيقة.

فإذا بحثنا عن كنة متبه لوجدناه نحويا لغويا بلاغيا يعبر عن أداة اللغة التي يجعل المتكلم في إطار منوط به، إذ الكلام يختلف من إنسان لآخر و حسب التصرف فيه.

---

(1) ينظر كتاب اللغة العربية ليوهن فوك ص74، ط 1988.

و السماع لدى هؤلاء العلماء في هذه الحقبة الزمنية كانت تعتمد على الأسس التالية:

1- الإمـــلاء:

و هذه هي الوظيفة العليا عند المتحدثين و اللغويين و طريقتها واحدة عند الطائفتين يكتب المستلي أول القائمة: مجلس أملاه شيخنا فلان، بجامع كذا في يوم كذا و يكتب التاريخ ثم يـــورد المملي باسناده كلاما عن العرب الفصحاء فيه و يورد من أشعار العـــرب و غيرهـــا بأســـانيده، و اعتمد الناس على الدواوين و الكتب المصنفة و من هذه الكتب كتاب أمالي القالي.(1)

2- الإفناء في اللغة:

أي الإجابة عن الأسئلة و هي وظيفة أدبية لا مجال فيها للتاريخ و إنما ألبسوها هذا التعبير لأنها تناظر وظيفة من وظائف المحدثين و الفقهاء. و من أدب المفتي أن يقصد التحري و الإبانـــة و الإفادة، و أن لا يحدث برأيه بغير سماع، و من سئل عن شيء من الدقائق التي مات أكثر أهلهـــا فلا بأس أن سكت عن الجواب إعزازا للعلم، و إظهارا للفضيلة.

و من الذين برعوا في هذا الفن هو الإمام أبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري(2) في كتابه المسائل و الأجوبة. (3)

---

(1) هو أبو علي اسماعيل بن القاسم بن عيذون بن هارون و لد سنة 288هـــ و هو صاحب كتاب الأمالي و النوادر و كتـــاب الممدود و المقصور و كتاب الإبل و الخيل و شياتها، كتاب فعلتا و أفعلتا، و تفسير السبع الطوال.

(2) هو الإمام أبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري المتوفي سنة 276 و له من الكتب الكثيرة منها، عيـــون الأخبـــار و تأويل مشكل القرآن و كتاب شرح المعاني و كتاب المسائل و الأجوبة.

(3) كتاب المسائل و الأجوبة تحقيق مردان و محسن خرابة ط دار ابن كثير.

الـــروايـــة و الـــتـــعـــلـــيـــم:

و هو أن يخلص النية في طلب العلم و التماسه من الثقات و لا قصد الكسب و إنما يقصد إلى نشره و إحيائه، فيلزم جانب الصدق و لا يفتأ يتحرى لتفسه و ينصح لغيره.
تلك وظائف الحفاظ(1)

و السماع أصل الرواية و لكن علماء البصرة كانوا يأنفون أن يأخذوا عن علماء الكوخـــة أو يستمعوا من أعرابهم(2) و قالوا أول من أحدث السماع بالبصرة خلف الأحمر و ذلك أنه جاء إلى حماد الرواية (و هو كوفي) فسمع منه و كان ضنينا بأدبه.

و هذا الجاحظ (3) يقول: إنهم لا يفهمون قولهم: " ذهبت إلى أبو زيد، و رأيـــت أبـــي زيد..." ثم قال: " و متى وجد النحويون أعرابيا يفهم هذا و أشباهه، بهرجوه (4) و لم يســـمعوا منه، لأن ذلك يدل على طول إقامته في الدار التي تفسد اللغة، و تنقض البيان، لأن تلـــك اللغـــة انقادت و استوت و أطردت و تكاملت، بالخصال التي اجتمعت لها في تلك الجزيرة..." (5)

---

(1) تاريخ آداب العرب ج1، ط 4 سنة 1974 دار الكتاب العربي، ص 319.

(2) المصدر نفسه.

(3) المصدر السابق ص 118.

(4) بهرجوه رفضوه و لم يعتنوا به.

(5) من رسائل الجاحظ ص 110، ط دار الكتب الكويت.

و للعرب مجال واسع في كلامهم، حتى وضعوا فيه المصنفات و الكتب الكثيرة تتضمن شعرهم مع الشرح و التعليل، و الحكم و الأمثال، و الخطب و الأرجاز، و غير ذلك من الملح و الطرائف و كان كل ذلك أصلا في بناء النحو و ضبط التعابير التي جعل منها البلغاء قاعدة لهم.

و قد وضع علماء القرن الثالث الهجري للسماع مكانة مرموقة، إذ لجأوا للصنعات العلمية التي أخذت العربية من أفواه العرب الفصحاء و البوادي، و ذلك لإستخلاص الأمثلة و التراكيب اللغوية التي اتخذتها النحاة بعد ذلك مقاييس لطرد القاعدة النحوية، فقد أثر عن الخليفة عمر بن الخطاب - رضي الله عنه- قوله المشهور عليكم بديوانكم ألا تظلوا فقالوا : و ما ديواننا؟ قال : شعر الجاهلية فإن فيه تفسير كتابكم و معاني كلامكم" (1)

و هكذا انبرى النحاة و علماء العربية بكل فنونها يأخذون من هذا المنهل، و يشتقون منه ما ينفعهم من حجج و دلائل و شرح و تفسير و أما شأن النحوي في هذه الحقبة أن ينصرف فيما ينقله اللغوي و يقيس عليه، و كما نعلم أن البلاغة في هذا العصر كانت إرهاصات و بوادر علمية تتخلل العلوم كلها من فقه و أصوله، و آداب و نحو.

(1) معاني القرآن ص 71.

أما الأصل الثاني ألا وهو الإجماع و هو من أصول الفقه أجمع الفقهاء على حجيته ويرونه دليلا نقليا بعد القرآن و السنة ، نقلا عن حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حين بعث النبي عليه السلام معاد بن جبل إلى اليمن سأله " كيف تقضي إذ عرض لك قضاء ؟ قال بكتـــاب الله، قال : فإن لم يكن في كتاب الله ؟ قال فبسنه رسول-الله صلى الله عليه و سلم قال : " فإن لم يكن في سنة رسول الله صلى الله عليه و سلم قال : اجتهد رأيي و لا آلو : قال فضرب رسول الله صلى الله عليه و سلم صدره و قال : الحمد لله الذي وفق رسول رسول الله صلى عليه و سلم لمـــا يرضى الله و رسوله. (1)

تـــعـــريـــفـــه لـــغـــة : جاءت في مختار الصحاح بذل وسع المجهود .

أما اصطلاحا فعند علماء النحو نجده التوسع لدى كبار العلماء النحارير الذيـــن ســـخّروا جهدهم للبحث و التقنين مثل الخليل (2) و سيبويه(3) و الأخفش)(4)و غيرهم مـــن العلمـــاء في عصرهم .

(1) مختار الصحاح ، ص 48 .

(2) هو الخليل بن أحمد الفراهيدي أو الفرهودي المتوفي سنة 175 هـــ .

(3) سيبويه هو أبو بشر عمر بن قنبر توفي سنة 186 هـــ .

(4) هو سعيد بن مسعدة المتوفي سنة 225 هـــ .

الإجماع أصل من أصول الفقه يجمع على حجيته جمهور الفقهاء، و يرونه دليلا نقليا تاليا في الترتيب لكتاب الله و سنة رسوله، لأن المرجع في المسائل التي لم يرد فيها نص صريح من الكتاب أو السنة هو اجتهاد علماء الأمة، فإذا نقل عنهما اجتهاد في إثبات حكم من الأحكام فلا معنى لإعادة البحث فيه (1).

وهم يؤخرون عنه القياس، لأن القياس دليل عقلي منوط برجع النظر، و إعمال العقل و الرأي في ضوء المنقول و على أساس منه، و لا إجماع عندهم إلا عن سند من الكتاب أو السنة و إلا كان قولا في دين الله بغير علم، و إنشاء لشرع لم يأت به الله و رسوله (2). فإن لم يكن إجماع على مسألة من المسائل، وجب الرجوع إلى القياس.

و الإجماع في اصطلاح الأصوليين يطلق على اتفاق المجتهدين من أمة محمد صلى الله عليه وسلم في عصر من العصور بعد وفاته على حكم شرعي اجتهادي (3).
و من الملاحظ أن الإجماع لا ينعقد إلا " بإتفاق المجتهدين" فهل ينعقد الإجماع باتفاق " كل" المجتهدين؟ أو باتفاق أكثرهم ؟ قولان. (4).

و مفهوم الإتفاق أن يكون على رأي واحد، فإن اختلفوا على قولين انعقد الإجماع في رأي بعض العلماء على أن ليس في المسألة إلا أحد رأيين، و لا يجوز إحداث رأي ثالث، و ذهب بعضهم إلى أنه يجوز إحداث قول ثالث، لأن الذي تقدم ليس إجماعا، بل هو اختلاف.

---

(1) أصول الفقه د. أبو زهره ط 1988 بيروت، ص 185.

(2) الوجيز في أصول الفقه ، د. عبد الكريم زيدان ص182.

(4) أصول الفقه الإسلامي ، محمد مصطفى شلبي ص 151 ، أصول الفقه د. محمد أبو زهرة ص 195.

(5) المرجع السابق ص: 180.

في الإجتهاد، و فصّل آخرون، فقالوا : إن رفع القول الثالث ما اتفق عليه من أحد الرأيين امتنع، و إلا جاز. (1)

و المجتهدون جمع مجتهد، فلا إجماع لواحد، و إن لم يكن في عصره غيره، و المقصود بالمجتهدين أولئك العارفون بأدلة الفقه، و طرق استخراج الأحكام، فلا نظر إلى إتفاق العوام، و لا إلى من لم يبلغ درجة الإجتهاد، لأنه لا عبرة باتفاق لهم أو اختلاف. (2)

و لقد قصر بعض العلماء الإجماع على عصر الصحابة، و شكوا في إمكان انعقاده فيما تلا ذلك من عصور لتفرق البلدان، و اختلاف الفقهاء، و الإعتراف ببلوغ درجة الإجتهاد، و من هؤلاء الإمام الشافعي رضي الله عنه (3)، لكنه مع ذلك أقر في " الرسالة" بأنه حجة، فقال: " و من قال بما تقول به جماعة المسلمين فقد لزم جماعتهم، و من خالف ما تقول به جماعة المسلمين فقد خالف جماعتهم التي أمر بلزومها، و إنما تكون الغفلة في الفرقة ، فأما الجماعة فلا يمكن فيها كافة غفلة عن معنى كتاب و لا سنة و لا قياس إن شاء الله.(4)

و مضى عدد من العلماء يستشهد على حجية الإجماع بالكتاب و السنة، أما الكتاب ففي قوله تعالى : ﴿ و من يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى و يتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولّى، و نصله جهنّم و ساءت مصيرا﴾ (5) " فقد توعد الله سبحانه من يتبع غير سبيل المؤمنين بجهنم و ساءت مصيرا، و سبيل المؤمنين الحق هو ما اتفق عليه المجتهدون منه.

و أما السنة فقد وردت أحاديث كثيرة صحيحة منها قوله صلى الله عليه و سلم " ثلاث لا يخلو عليهن قلب مسلم: إخلاص العمل لله تعالى، و مناصحة ولاة الأمور و لزوم جماعة المسلمين."

---

(1) أصول الفقه الإسلامي لمحمد مصطفى شلبي ص 153.

(2) أصول الفقه لمحمد أبو زهرة ص 194 و الوجيز في أصول الفقه للدكتور عبد الكريم زيدان ص 180.

(3) أصول الفقه لمحمد أبو زهرة ص 186-187 .

(4) الرسالة لمحمد بن إدريس الشافعي، تحقيق أحمد محمد الشاكر طبعة القاهرة ، ص 475 - 486 .

(5) من سورة النساء الآية رقم 115.

و قال : " يد الله مع الجماعة، فمن شذّ شذّ في النار" و قال: " لم يكن الله ليجمع أمتي على الضلالة" (1)

و الإجماع نوعان:

إجماع صريح يكون باتفاق المجتهدين يقول يسمع من كل منهم أو بفعل يشاهد منه في عصر واحد، لا يتخلف منهم أحد.

و إجماع سكوتي يكون بصدور قول أو فعل عن بعض المجتهدين يعلم به سائرهم فيسكتون لا يعلنون موافقة و يذيعون مخالفة. و لا خلاف عند جمهور العلماء في أن الأول منهما إجماع يحتج به، أما الثاني فاختلفوا فيه بين ناف له مطلقا و قائل بحجيته مطلقا، و متوسط يقر به إن كان المصرحون به أكثر من الساكتين. (2)

على أن الأصوليين يفرقون بين الإجماع الشرعي، و الإجماع اللغوي، فإذا كان الإجماع على حكم شرعي من أحكام الدين كالحل و الحرمة، أو الوجوب و الإمتناع، أو نحو ذلك كان إجماعا شرعيا يعنى به علماء أصول الفقه، أما إذا كان الإجماع على حكم لغوي كإجماعهم على أن الجر خاص بالأسماء و لا جرّ في الأفعال مثلا، فذلك إجماع لغوي يعني به علماء أصول النحو.

و نستطيع أن نرصد ثلاثة أنواع من الإجماع اللغوي عرض لها العلماء هي:

1- إجماع الرواة:

و يكون باتفاق الرواة على رواية معينة لشاهد من الشواهد، و قد ذكر ذلك ابن الأنباري في معرض ردّه على الكوفيين إذ ذهبوا إلى أنّ " كما" تكون بمعنى " كيما" و يجوز نصب ما بعدها، و إعتدّ به أصلا من الأصول النحوية لا تجوز مخالفته أو الخروج عليه.

---

(1) راجع: أصول الفقه الإسلامي محمد مصطفى شلبي، ص 167-168 ، و علم أصول الفقه لعبد الوهاب خلاف، ص 47.

2) أصول الفقه الإسلامي محمد مصطفى شلبي، ص 171.

و كان الكوفيون قد أوردوا شواهد على أن " كما" تكون بمعنى " كيما"، و أن الفعل ينصب بها.و من هذه الشواهد قول عديّ بن زيد العباديّ : | من البسيط|

اسمع حديثا كما يوما تحدثه **** عن ظهر غيب إذا ما سائل سألا

فقرر ابن الأنباري أن لا حجة في هذا البيت، لأن الرواة اتفقوا على أن الرواية : " كما يوما تحدثه بالرفع " (1). ثم قال: و لم يروه أحد " كما يوما تحدثه" بالنصب إلا المفضل الضبي وحده، فإنه كان يرويه منصوبا و إجماع الرواة من نحويي البصرة و الكوفة على خلافه، و المخالف له أقوم منه بعلم العربية". (2)

و نقل ابن السراج عن أبي العباس المبرد قوله: " و ليس البيت الشاذ و الكلام المحفوظ بأدنى إسناد حجة على الأصل المجمع عليه في كلام و لا نحو و لا فقه، و إنما يركن إلى هذا ضعفة أهل النحو و من لا حجة معه.(3)

2- إجماع العرب :

عرض السيوطي في " كتاب الإقتراح " لإجماع العرب من غير النحاة و الرواة، و اعتد به أصلا يحتج به إن أمكن الوقوف عليه، قال : " و إجماع العرب أيضا حجة، و لكن أنّى لنا بالوقوف عليه. ؟ و من صوره أن يتكلم العربي بشيء، و يبلغهم و يسكتون عليه. قال ابن مالك في التسهيل : استدل على جواز توسيط خبر ما الحجازية و نصبه بقول الفرزدق: |من الخفيف|

فأصبحوا قد أعاد الله نعمتهم **** إذ هم قريش، و إذ ما مثلهم بشر.

وردّه المانعون بأن الفرزدق تميمي تكلم بهذا معتقدا جوازه عند الحجازيين فلم يصب.

---

(1) الإنصاف ج2 لابن الأنباري، ص 591.

(2) السابق ج2، لابن الأنباري ص 592.

(3) الأصول ج1، لابن السراج، ص : 105.

و يجاب بأن الفرزدق كان له أضداد من الحجازيين و التميمين، و من مناهم أن يظفروا له بزلة يشنعون بها عليه، مبادرين لتخطئته، و لو جرى شيء من ذلك لنقل، لتوفر الدواعي على التحدث بمثل ذلك إذا اتفق، ففي عدم نقل ذلك دليل على إجماع أضداه الحجازيين و التميمين على تصويب قوله. (1)

و لعلك لحظت أن هذا النوع من الإجماع داخل فيما أسماه الأصوليون " الإجماع السكوتي" على أن ابن الأنباري قد ذكر أن " منذ يومان" مستعمل في لغة جميع العرب. (2)

3- إجماع النحاة :

و المقصود به اجتماع أهل المصرين البصرة و الكوفة(3)، و قد نقل السيوطي عن ابن جنى قوله: " إجماع النحاة على الأمور اللغوية معتبر خلافا لمن تردد فيه، و خرقة ممنوع، و من ثم ردّ ". (4)

و المتتبع لكتب الخلاف النحوي بين المدرستين البصرية و الكوفية كالإنصاف في مسائل الخلاف لابن الأنباري، ومسائل خلافية للعكبري ، و ائتلاف النصرة في اختلاف نحاة الكوفة و البصرة لعبد اللطيف بن أبي بكر الشرجي الزبيدي و غيرهم ، يجد الإجماع دليلا من أدلة النحاة في الإحتجاج لما يقررون من أحكام النحوية، و مستندا يستندون إليه في رد آراء المعارضين و المخالفين ، و لعل من المفيد هنا أن ننقل عن كتاب " الإنصاف في مسائل الخلاف" عددا من المسائل النحوية، صرح ابن الأنباري بأنهم أجمعوا عليها، مع أنه لم يذكر الإجماع - في لمع الأدلة

---

(1) الإقتراح للسيوطي، ص: 36.

(2) الإنصاف ج1، لابن الأنباري ص 392.

(3) الإقتراح للسيوطي، ص:35.

(4) السابق ص 36.

بـــيـــن أصـــول الـــنـــحـــو فـــي :

- مسألة إختلاف في أصل إشتقاق كلمة (إسم) نقل عن الكوفيين و البصريين قولهم أجمعنـــا (1) على أن الهمزة في أوله همزة التعويض.(2)

-في مسألة الإختلاف في إعراب الأسماء الستة نقل عنهم قولهم: (أجمعنا على أن هذه الحركـــات التي هي الضمة و الفتحة و الكسرة تكون إعرابا لهذه الأسماء في حال الإفراد نحو قولك: هذا أب لك، و رأيت أبا لك و مررت بأب لك، و ما أشبه ذلك". (3)

- في مسألة " رافع المبتدأ و رافع الخبر" ذهبوا إلى أن " العوامل، في محل الإجماع، إنما هي أمارات و دلالات". (4)

---

(1) الإقتراح للسيوطي، ص: 36.

(2) يرد لفظ " أجمعنا" في سياق حديث كل من البصريين و الكوفيين، و ليس المقصود به إجماع طائفة منهم، بل يعنون بـــه إجماع أهل البلدين معا.

(3) السابق ج 19/1.

(4) السابق ج46/1.

- في مسألة رافع الإسم الواقع بعد الظرف و الجار و المجرور منعوا أن يرفع الإسم بالجار و المجرور السابق عليه في نحو " بك زيد مأخوذ"، قالوا : " و بالإجماع لا يجوز ذلك" (1)، و قالوا: " أجمعنا على أنه إذ قال:" في داره زيد قائم" فإن زيدا لا يرتفع بالظرف".(2)

- في مسألة إبراز الضمير إذا جرى الوصف على غير صاحبه نقل عنهم أنهم " أجمعوا على أن الضمير في اسم الفاعل إذا جرى على من هو له لا يجب إبرازه" (3)، و قالوا أيضا: " أجمعنا على أن اسم الفاعل فرع على الفعل في تحمل الضمير، إذ كانت الأسماء لا أصل لها في تحمل الضمير، و إنما يضمر فيما شابه منها كاسم الفاعل نحو: ضارب و قاتل و الصفة المشبهة به، نحو : حسن، و شديد، و ما أشبه ذلك". (4)

- في مسألة تقديم الخبر على المبتدأ نقل عنهم قولهم: " جاز بالإجماع ضرب غلامه زيد " إذا جعلت زيدا فاعلا و غلامه مفعولا، لأن غلامه و إن كان متقدما عليه في اللفظ، إلى أنه في تقدير التأخير، فلم يمنع ذلك من تقديم الضمير، قال الله تعالى: ﴿ فأوجس في نفسه خيفة موسى﴾، فالهاء، عائدة إلى موسى و إن كان متأخرا لفظا، لأن موسى في تقدير التقديم، و الضميرفي تقديم التأخير". (5)

و قالوا: " أجمعنا على جواز تقديم خبر كان على اسمها، نحو: " كان قائما زيد"، و إن كان قد قدم فيه ضمير الإسم على ظاهره إلا أنه لما كان في تقدير التأخير لم يمنع ذلك من تقديم الضمير." (6)

---

(1) السابق ج1/53.

(2) السابق 1ج/54.

(3) السابق ج1/58.

(4) السابق ج1/59.

(5) السابق ج 1/68.

(6) السابق ج1/69.

- في مسألة " نعم" و " بئس" أفعلان هما أم اسمان نقل عنهم قولهم: " أجمعنا على أن الجمل لا تنادي، و أجمعنا على أن " نعم الرجل" جمله، و... امتنع للإجماع قولنا يا زيد منطلق...".(1)

- في مسألة " أفعل" في التعجب، اسم هو أو فعل؟ نقل عنهم قولهم: " أجمعنا على أن " ليس" و " عسى" فعلان.(2)

- في مسألة جواز التعجب من البياض و السواد دون غيرهما من الألوان نقل عنهم قولهم في إدخال شاعر الألف و اللام على الفعل : " أجمعنا على أن استعمال مثل هذا خطأ لشذوذه قياسا و استعمالا". (3)

- في مسألة تقديم خبر مازال و أخواتها عليهن نقل عنهم أنهم " أجمعوا على أنه لا يجوز خبر مادام عليها"(4). و قولهم " فإنا كما أجمعنا على أن (مازال) ليس بنفي للفعل أجمعنا على أن " ما" للنفي. (5)

- في مسألة العامل في الخبر بعد " ما" النافية نقل عنهم أنهم إذا حذفوا حرف الخفض من نحو: يحسبك زيد. و ما جاءني من أحد قالوا: حسبك زيد. و ما جاءني أحد بالرفع لا غير. و قالوا: وقع الإجماع على وجوب الرفع.(6)

---

(1) السابق ج 120/1.

(2) السابق ج138/1.

(3) السابق ج152/1.

(4) السابق ج155/1

(5) السابق ج159/1

(6) السابق ج172/1.

- في مسألة العطف على اسم إنّ بالرفع قبل مجيء الخبر نقل عنهم : " أجمعنا على أنه يجوز العطف على الموضع قبل تمام الخبر مع لا، نحو : لا رجل و امرأة أفضل منك. (1) و قولهم : " أجمعنا على أنه يجوز العطف على الإسم بعد تمام الخبر". (2)

- في مسألة إضافة العدد المركب إلى مثله نقل عنهم قولهم : " أجمعنا على أنه لا يمكن أن يبنى من لفظ ثلاثة عشر فاعل". (3)

- في مسألة المنادى المفرد العلم معرب أو مبنى نقل عنهم قولهم : يجوز بالإجماع : "ما جاءني من أحد غيرك بالرفع كما يجوز بالجر، قال الله تعالى : [illegible] (4) بالرفع و الجر، فالرفع على الموضع و الجر على اللفظ" (5) .

- في مسالة "الميم" في "اللهم" أعوض من حرف النداء أم لا، نقل عنهم قولهم "أجمعنا أن الأصل : يا ألله" (6).

- في مسألة ترخيم الرباعي الذي ثالثه ساكن نقل عنهم قولهم : أجمعنا على أن حركة الاسم المرخم باقية بعد دخول الترخيم من ضم و فتح و كسر ألا ترى أنك تقول في " برثن" يا برث و في "جعفر" يا جعف، و في " مالك" يا مال، و قد قرأ بعض السلف (و نادوا يا مال ليقض علينا ربك...". (7)

- في مسألة : هل يجوز إلقاء علامة الندبة على الصفة؟ نقل عنهم قولهم : " أجمعنا على أنه يجوز أن تلقى علامة الندبة على المضاف إليه نحو

---

(1) السابق ج 186/1.

(2) السابق ج186/1.

(3) السابق ج 322/1.

(4) من سورة هود الآية رقم [illegible]

(5) السابق ج331/1

(6) السابق 343/1

(7) السابق ج 361/1

قولك : " واعبد زيداه"، "و اغلام عمراه" (1).

- في مسألة : هل يقع الفعل الماضي حالا نقل عنهم قولهم : "أجمعنا على أنه يجوز أن يقام الفعل الماضي مقام الفعل المستقبل كما قال تعالى : [illegible] (2) أي : يقول،وقولهم : "و الماضي إذا وقع صفة لموصوف محذوف جاز أن يقع حالا بالإجماع " (3).

- في مسألة : هل يجوز العطف على الضمير المخفوض ؟ نقل عنهم قولهم : "أجمعنا على أنه لا يجوز عطف المضمر المجرور على المظهر المجرور، فلا يجوز أن يقال : "مررت بزيد و ك" (4).

- في مسألة : هل يجوز العطف ب (لكن) بعد الإيجاب نقل عنهم قولهم : "أجمعنا على أن "بل" يجوز العطف بها بعد النفي و الإيجاب" (5).

- في مسألة "منع صرف ما ينصرف في ضرورة الشعر نقل عنهم أنهم "أجمعوا على أنه يجوز صرف ما لا ينصرف في ضرورة الشعر" (6).

- في مسألة فعل الأمر معرب أم مبنى، نقل عنهم قولهم : "أجمعنا على أن فعل النهي معرب مجزوم نحو "لا تفعل" (7). و نقل المازني عن الفراء قوله لأصحابه : لا يجوز حذف لام الأمر إلا في شعر، فسأله المازني لم جاز في الشعر و لم يجز في الكلام ؟ فقال : لأن الشعر يضطر فيه الشاعر فيحذف، فدل إلى أن هذا الحذف إنما يكون في الشعر، لا في اختيار الكلام، بالإجماع" (8) .

---

(1) السابق 364/1.

(2) من سورة [illegible] الآية رقم [illegible]

(3) السابق 254/1.

(4) السابق 467/1.

(5) السابق 484/1.

(6) السابق 493/1.

(7) السابق 528/1.

(8) السابق الجزء الثاني رقم 574.

و قال ابن الأنباري : "أجمع النحويون قاطبة على أن ابن جنى قد أباح الخروج على الإجماع بشرط ألا يكون مخالفا المنصوص و لا المقيس على المنصوص. قال في الخصائص : اعلم أن إجماع أهل البلدين إنما يكون حجة إذا أعطاك خصمك يده ألا يخالف المنصوص و المقيس على المنصوص، فأما إذا لم يعط يده بذلك فلا يكون إجماعهم حجة عليه، و ذلك أنه لم يرد ممن يطاع أمره في قرآن و لا سنة أنهم لا يجتمعون على الخطأ، كما جاء النص عن رسول الله صلى الله عليه و سلم من قوله : "أمتي لا تجتمع على ضلالة"، و إنما هو علم منتزع من استقراء هذه اللغة، فكل من فرق له عن علة صحيحة، و طريق نهجة كان خليل نفسه، و أبا عمرو فكره". (1)

ثم قال : " إلا أنها، مع هذا الذي رأيناه و سوغنا مرتكبه، لا نسمح له بالإقدام على مخالفة الجماعة التي طال بحثها و تقدم نظرها... و القوم الذين لا نشك في أن الله سبحانه وتقدست أسماؤه قد هداهم لهذا العلم الكريم، و أراهم وجه الحكمة في الترجيب له و التعظيم، و جعله بركاتهم و على أيدي طاعاتهم، خادما للكتاب المنزل، و كلام نبيه المرسل، و عونا على فهمها، ومعرفة ما أمر به و أنهى عنه الثقلان منهما، إلا بعد أن يناهضه إتقانا، و يثابته عرفانا، و لا يخلد إلى مسانح خاطره، و لا إلى نزوة من نزوات تفكره، فإذا هو حذا على هذا المثال، و باشر بإنعام تصفحه أحناء الحال، أمضى الرأي فيما يريد الله منه غير معاز به، و لا غاضّ من السلف - رحمهم الله - في شيء منه، فإنه إذا فعل ذلك سدّد رأيه، و شيع خاطره و كان بالصواب منسئة، و من التوفيق مظنة، و قد قال أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ : ما على الناس شيء أضر من قولهم: ما ترك الأول للآخر شيئا. و قال أبو عثمان المازني: " و إذا قال العالم قولا متقدما فللمتعلم الإقتداء به و الإنتصار له و الإحتجاج لخلافه إن وجد إلى ذلك سبيلا ". (2)

و عقد ابن جنى بابا في الإحتجاج بقول المخالف قال فيه : " اعلم أن هذا - على ما في ظاهره- صحيح و مستقيم. و ذلك أن ينبغ من أصحابه نابغ فينشيء خلافا ما على أهل مذهبه، فإذا سمع خصمه به، و أجلب عليه قال: هذا لا يقول به أحد من الفريقين، فيحرجه بخروج التقبيح له، و التشنيع عليه.

(1) ابن جنى: الخصائص، 1/189-190.

(2) الاقتراح للسيوطي، ص 190-191.

"و ذلك كإنكار أبي العباس جواز تقديم خبر (ليس) فأحد ما يحتج به عليه أن يقال له: إجازة هذا مذهب سيبويه و أبي الحسن و كافة أصحابنا، و الكوفيون أيضا معنا، فإذا كانت إجازة ذلك للكافة من البلدين وجب عليك - يا أبا العباس - أن تنفر عن خلافه، و تستوحش منه، و لا تأنس بأول خاطر يبدو لك فيه.

" و لعمري إن هذا ليس بموضع قطع على الخصم، إلا أن فيه تشنيعا عليه، و إهابة به إلى تركه، و إضافة لعذره في استمراره عليه، و تهالكه فيه من غير إحكامه، و إنعام الفحص عنه، و إنما لم يكن فيه قطع لأن للإنسان أن يرتحل من المذاهب ما يدعو إليه القياس، مالم يلو نص، أو ينتهك حرمة شرع".(1)

ثم أباح ابن جنى لنفسه مخالفة الإجماع الواقع فيه منذ بدئ العلم بالعربية إلى وقته في تخريجه لقول العرب " هذا جحر ضبّ خرب " فقال : " فممّا هو خلاف الإجماع الواقع فيه منذ بدئ هذا العلم و إلى آخر هذا الوقت ما رأيته أنا في قولهم : هذا جحر ضبّ خرب. فهذا يتناوله آخر عن أول، و تال عن ماض على أنه غلط من العرب، لا يختلفون فيه، و لا يتوقفون عنه، و أنه من الشاذ الذي لا يحمل عليه، و لا يجوز ردّ غيره إليه.

" أما أنا فعندي أن في القرآن مثل هذا الوضع نيفا على ألف موضع، وذلك أنه على حذف المضاف لا غير. فإذا حملته على هذا الذي هو حشو الكلام من القرآن و الشعر سائغ و سلس، و شائع و قبل.

" و تلخيص هذا أن أصله : هذا جحر ضبّ خرب جحره، فيجري خرب و صفا على " ضبّ"، و إن كان في الحقيقة للجحر.

---

(1) الاقتراح للسيوطي ص 180.

كما تقول : مررت برجل على أنه يجوز في جواب من قال : " أين تذهب؟ " أن يقال : زيد، على تقدير : إلى زيد". (1)

- في مسألة علة إعراب الفعل المضارع قال ابن الأنباري : أجمع الكوفيون و البصريون على أن الأفعال المضارعة معربة". (2)

- في مسألة : هل تنصب حتى المضارع بنفسها؟ نقل عنهم قولهم " أجمعنا على أن حتى من عوامل الأسماء". (3)

- في مسألة عامل الجزم في جواب الشرط نقل عنهم أن الإجماع منعقد على أن الفعل المضارع معرب بعد أن و كي و إذن، و كذلك بعد لم و لما و لام الأمر و لا في النهي، و أنه منصوب بدخول النواصب و مجزوم بدخول الجوازم. (4)

- في مسألة: هل يجوز تقديم اسم مرفوع أو منصوب في جملة جواب الشرط و ما يترتب عليه، نقل عنهم قولهم: " أجمعنا على أن المنصوب فضله في الجملة." (5)

- في مسألة إن المكسورة الهمزة هل تقع بمعنى إذ؟ نقل عنهم قولهم: أجمعنا على أن الأصل في "إذ" أن تكون ظرفا." (6)

- في مسألة أصل حركة همزة الوصل نقل عنهم قولهم: " أجمعنا على أن همزة الوصل زيادة على بناء الكلمة." (7)

---

(1) السابق ج2/548.

(2) السابق ج2/549.

(3) السابق ج 2/598.

(4) السابق ج 2/609.

(5) السابق ج 2/623.

(6) السابق ج 2 /234.

(7) السابق ج 2/728.

و إذا كان الإجماع أصلا معتدا به فيما أسلفنا لك، فهل تجوز مخالفته ويباح الخروج عليه؟ يرى أغلب النحاة أن ذلك غير جائز، وردوا عددا من أحكام النحاة لمخالفتها للإجماع، و من ذلك قول ابن الأنباري في مسألة إعراب المثنى و الجمع على حده : " و حكى عن أبي اسحاق الزجاج أن التثنية و الجمع مبنيان، و هو خلاف الإجماع " (1) و من ذلك ما أورده من جواب البصريين على الكوفيين في مسألة بناء غير، و ذهاب الكوفيين إلا أنها في معنى إلاّ تبنى حاء فيه: " و أما الجواب عن كلمات الكوفيين: أما قولهم: إنها في معنى إلاّ فينبغي أن تبنى قلنا: هذا فاسد، و ذلك لأنه لو جاز أن يقال ذلك لجاز أن يقال : " زيد مثل عمرو" في معنى " زيد كعمرو". و لما وقع الإجماع على خلاف ذلك دلّ على فساد ما ادعيتموه". (2)

و في مسألة الميم في أللهم: عوض عن حرف النداء أم لا؟ ورد في جواب البصريين عن كلمات الكوفيين : " أما قولهم: إن الأصل يا الله أمّنا بخير فحذفوا بعض الكلام لكثرة الإستعمال، قلنا: الجواب عن هذا من ثلاثة أوجه:

الوجه الأول: أنه لو كان الأمر كما زعمتم و أن الأصل فيه يا الله أمنا بخير لكان ينبغي أن يجوز أن يقال : يا أللهمنا بخير، و في وقوع الإجماع على امتناعه دليل على فساده... ". (3)

و في مسألة ناصب المضارع بعد لام التعليل، قال الكوفيون: " و لا يجوز أن يقال : إنها لام الخفض التي تعمل في الأسماء، لأنا نقول: لو جاز أن يقال: إن هذه اللام الداخلة على الفعل هي اللام الخافضة و الفعل بعدها ينتصب بتقدير " أن" لجاز أن يقال : " أمرت بتكرم " على تقدير أمرت بأن تكرم فلما لم يجز ذلك بالإجماع دلّ على فساده." (4)

---

(1) الإنصاف لابن الأنباري ج 33/1.

(2) السابق 1 ج /290.

(3) السابق نفسه ج 344/1.

(4) الإنصاف لابن الأنباري ج 728/2.

و استدل به الكوفيون على أن الميم المشدّدة في "اللهم" ليست عوضا عن " يا" التي للتنبيه في النداء، لأنها لو كانت عوضا ما جاز الجمع بينهما في قول الشاعر : | البسيط|

إني إذا ما حدث ألمّا **** أقول يا اللّهم، يا اللّهما

و لو كانت عوضا عن يا ما جاز أن يجمع بينهما، و استدلوا به أيضا على أن " لولا" ترفع الإسم بعدها لأنها نائبة عن الفعل الذي لو ظهر لرفع الإسم، لأن التقدير في لولا زيد لأكرمتك: لو لم يمنعني زيد من إكرامك لأكرمتك، إلا أنهم حذفوا الفعل تخفيفا، وزادو لا على لو.

2- الحرف لا يعمل إلا إذا كان مختصا:

و استدل به البصريون على أن لولا ليست رافعة للإسم بعدها و أنه يرتفع بالإبتداء، لأن لولا لا تختص بالإسم دون الفعل فإنها تدخل على الفعل كما تدخل على الإسم.

و استدل به الكوفيون على أن " ما" في لغة أهل الحجاز لا تعمل في الخبر، و هو منصوب بحذف حرف الخفض، ذلك بأن الأصل في " ما" عندهم ألا تكون عاملة، لأن الحرف يكون عاملا إذا كان مختصا كحرف الخفض لما اختص بالأسماء عمل فيها، و حرف الجزم لما اختص بالأفعال عمل فيها، و إذا كان غير مختص وجب ألا يعمل كحرف الإستفهام و حرف العطف، و " ما" تدخل تارة على الإسم نحو: مازيد قائم، و تارة تدخل على الفعل نحو: ما يقوم زيد.

3- الفروع تنحط دائما عن درجة الأصول:

و استدل به البصريون على أن الضمير في اسم الفاعل إذا جرى على غير من هو له نحو قولك: هند زيد ضاربته هي، يجب إبرازه، و ذلك لأن إسم الفاعل فرع على الفعل في تحمل الضمير، و لو قلنا : إنه تحمل الضمير في كل حالة - إذا جرى على من هو له، و إذا جرى على غير من هو له - لأدى ذلك إلى التسوية بين الأصل والفرع، و ذلك لا يجوز.

على أن الأصل في هذه الأحرف ألا تنصب الإسم، و إنما نصبته لأنها أشبهت الفعل، فهي فرع عليه، و إذا كانت أضعف منه فينبغي ألا تعمل، لأنا لو أعملناها عمله لأدى ذلك إلى التسوية بينهما و ذلك لا يجوز.

4- الأضعف لا يعمل عمل الأقوى:

استدل به الكوفيون على أن ما في لغة أهل الحجاز لا تعمل في الخبر لأنها لا تقوى على العمل في الخبر كما تعمل ليس، ذلك بأن ليس فعل، و ما حرف، و الحرف أضعف من الفعل، فبطل أن يكون منصوبا ب " ما".

و استدل به البصريون على أنه لا يجوز المجازاة بكيف، لأنها نقصت عن سائر أخواتها، فجوابها لا يكون إلا نكرة، لأنها سؤال عن الحال، و الحال لا تكون إلا نكرة، و سائر أخواتها تارة تجاب بالمعرفة، و تارة تجاب بالنكرة، و لأنها لا يجوز الإخبار عنها، و لا يعود إليها ضمير كما يكون ذلك في من، و ما وأي، و مهما، فلما قصرت عن ذلك في نظائرها ضعفت عن تصريفها في مواضع نظائرها من المجازاة.

5- اجتماع عاملين على معمول واحد محال:

استدل به البصريون على أنه لا يجوز العطف على موضع (إنّ) قبل تمام الخبر لأن ذلك يؤدي على أن يعمل في إسم واحد عاملان، و ذلك محال.

و استدل به الكوفيون على أن (إن) لا تعمل في الخبر لضعفها، و إنما يرتفع الخبر بما كان يرتفع به قبل دخولها، و إذا كان الخبر يرتفع بما كان يرتفع به قبل دخولها فلا إحالة إذن، لأنه إنما كانت المسألة تفسد لو قلنا: إن (إنّ) هي العاملة في الخبر، فيجتمع عاملان فيكون محالا، و نحن لا نذهب إلى ذلك.(1)

---

(1) ينظر شواهد المغني للسيوطي ج1/61 كما ينظر للأمالي ج1/181.

فكل كان احتهادا ينتسب إلى إحدى المدرستين (البصرية أو الكوفية و بعدهما جاءت المدرسة البغدادية التي كان يتزعمها (ابن كيسان). (1)

و هو أول من جمع بين رأيي المدرستين (البصرية و الكوفية) منقحا و ممحصا الظواهر الإعرابية و ما يشوبها من فساد.

و قد دأب أهل هذا العصر نهجه، و دققوا النظر فساروا على منواله.

(1) زعيم المدرسة البغدادية.

درهما لا ناصب له على التحقيق، و إنما هو مشبه بالمفعول حيث كان فضلة و كذلك قولهم: لي ملؤه عسلا، فهذا منصوب و ليس له ناصب على التحقيق، و إنما هو مشبه بما له عامل، و مثل ذلك يمكن في لولاي، و هو أن يجعل منصوبا من حيث كان من ضمائر المنصوب. فإن قيل الحكم بأنه لا موضع له، و أنه موضعه نصب خلاف الإجماع إذ الإجماع منحصر في قولين: إما الرفع و إما الجرّ، و القول بحكم آخر خلاف الإجماع، و خلاف الإجماع مردود، فالجواب عنه من وجهين: أحدهما : أن هذا من إجماع مستفاد من السكوت، و ذلك أنهم لم يصرحوا بالمنع من قول ثالث، و إنما سكتوا عنه، و الإجماع هو الإجماع على حكم الحادثة قولا، و الثاني أن أهل العصر من أصول العصر الواخد إذا اختلفوا على قولين جاز لمن بعدهم إحداث قول ثالث، هذا معلوم من أصول الشريعة، و أصول اللغة محمولة على أصول الشريعة، و قد صنع مثل ذلك من النحويين على الخصوص أبو علي فإن له مسائل كثيرة قد سبق إليها بحكم، و أثبت فيها حكما آخر." (1)

على أن لأهل البلدين من البصريين و الكوفيون أصولا مشتركة يتفق عليها الفريقان كلاهما، و نراها داخلة في الإجماع أصلا من الأصول النحوية المرعية، و قد استخرج بعضا من هذه الأصول المشتركة بين البصريين و الكوفيين الدكتور عبد الرحمان السيد (2)، وكان حل اعتماده في ذلك على كتاب الإنصاف، و نذكر من ذلك هذه الأصول:

1- لا يجوز الجمع بين العوض و المعوض:

و استدل به البصريون على أن واو ربّ ليست هي الفاعل ، و إنما العمل لرب، بدليل أنه يحسن ظهورها معها، و لو كانت عوضا عنها ما جاز ظهورها معها، و استدلوا به أيضا على أن واو القسم لما كانت عوضا عن الباء لم يجز أن يجمع بينهما، فلا يقال: و بالله لأفعلن، على أن يكون حرفي قسم، و على أنه لا يجوز إظهار أن بعد كي وحتى، لأنهما صارتا بدلا من اللفظ بأن.

---

(1) الاقتراح للسيوطي ط 1986 لبنان ص 38.

و ما جاء على أصله فلا يبحث في علته، إذ نرى شواهد عدة في هذا المجال مثل قول امرئ القيس من [الطويل] :

و ليل كموج البحر أرخى سدو له **** على أنواع الهموم ليبتلي

فالواو ليست هي الجارة بل " رب" المحذوفة بعد الواو تقديرا في الإعراب.

و الإجماع في هذه الفترة التي أتصفت بالدراسات الشمولية، و كان فيها النحاة يشتغلون بالدراسات التي تحوم حول فهم القرآن و شرائعه مركزا على أمور لخدم علم النحو، و إن كانت مصطلحات البلاغة غير مقننة، فاستفادو من الدراسات الشمولية، و كان كل ينال من هذا العلم حسب مقدرته دون مراعاة الإختصاص الذي عقب هذه الفترة.

و لا جير أن البلاغة لم تظهر، و لكن العلماء جعلوا نقاطا رئيسية، و كيف لا وقد وظف عبد القاهر الجرجاني علمه من الأنواع البلاغية و هو نحوي و لا شك في ذلك.

حيث نراه شرح المعاني و البيان في كتابه أسرار البلاغة، و إعجاز القرآن. كما نرى أبا العباس (المبرد) في كتابه " الكامل في اللغة و الأدب" يتعرض لمسائل بلاغية مثل الإختصار و الحذف و التشبيه و كتابه البلاغة إلا أن ذلك الذي درسه هؤلاء العلماء لم يكن مستقلا.

الأصـــل الـــثـــالـــث

الـــقـــيـــاس:

أ – تـــعـــريـــفـــه:

هو من قولهم قاس الشيء يقسه قيسا إذا أقدره على مثاله(1) و القياس في المنطق هو كما يراه أرسطوا الإستدلال الذي إذ أسلمنا فيه الأشياء لزم عنه بالضرورة شيء آخر(2)

أو هو رد الشيء إلى نظيرة كما ذهب صاحب التعريفات (3) أما الدارســـات النحويـــة تعرف القياس بأنه حمل غير المنقول على المنقول إذا كان في معناه:

و للقياس أركان هي:

(1) أصل: و هو المقيس عليه.

(2) و فرع و هو المقيس.

(3) و حكم

(4) و علة جامعة.

---

(1) لسان العرب مادة (قيس)

أولا:

المقيس عليه و هو المسموع من كلام العرب كما ذكرنا في السابق من شواهد وحجج أتي بها علماء العربية في هذه الحقبة الزمنية.

ثانيا:

المقيس و هو الركن الثاني في القياس و أهميته تأتي من حيث أن ما قيس على كلام العرب فهو من كلام العرب لأن في بنائك إياه إدخالا له في كلام العرب و الدليل على ذلك نقول: طاب فرفعه و إن كان أعجميا لأن كل فاعل عربي مرفوع فإن ما تقيس على ماجاء وصح.

ثالثا الحكم:

النحاة متفقون على جواز القياس على حكم ثبت عند العرب إلا أنهم يختلفون في أمر وهو هل ثبت الحكم بالنص أو العلة. فذهب أكثرهم أنهم يثبت بالعلة لا بالنص لو كان الحكم ثابت بالنص لأدى ذلك إلى إبطال الإلحاق يشد، و تاب القياس إذ القياس حمل فرع على أصل بعلة جامعة بينهما إذ فقدت العلة الجامعة بطل القياس و كان الفرع مقيسا من غير أصل و ذلك محال، و هذا ما ذهب إليه ابن حزم حيث أبصل القياس و لم يره ضروريا في العلوم الشرعية إذ العربية من أصول الشرع فلا يلزم القياس فيها حسب قوله.(1)

و مثال ذلك أن الفاعل محمول على الفعل في العمل و لذلك كان أضعفا منه فإذا حمل الفعل الضمير في مثل " زيد أخواك زارهما، لم يستطع الفاعل السببي حمل الضمير و لذلك وجب إظهار الضمير المنفصل، فنقول زيد أخواك زائر إياهما.

و قد يثبت بالنص و يثبت فيما عداه بالعلة.

---

(1) الشاهد و أصول النحو ، ط دار الكتاب العربي سنة 1988، ص 237.

و نلمس القياس في كتب مجموعة من العلماء الأوائل في القرن الثالث الهجري – من مثل الأخفش سعيد بن مسعدة(1) و المبرد(2)، و ابن قتيبة(3)، و الفراء(4)، و الأخفش الأصغر(5)

(1) هو صاحب كتاب معاني القرآن الذي وظف فيه كلام العرب مستأنسا بفصاحتهم، مستعينا بما جاء في حظهم و أمثالهم و حكمهم المختلفة حتى أنه كان يحضره بعض الأعراب يستمعون إلى النحو فيقول: العجب كلامنا يسير أم العرب فيقول إنكم تتكلمون بكلامنا ما ليس من كلامها، أي لم يع ما قاله الأخفش من قواعد نحوية.

(2) المبرد صاحب كتاب الكامل الذي ضمنه علم العربية قال ابن خلدون جمعا من سبوحيا ان أصول فن الأدب و ار كانه أربعة دواوين و هي كتاب الكامل للمبرد و أدب الكاتب لابن قتيبة و كتاب البيان و التبين للجاحظ و كتاب النوادر لأبي علي القالي البغدادي و ما يحتوي هذه الأربعة فتنع بها و فروع عنها. أه و كتاب الكامل يجمع كلام العرب منظومه و منثوره من خطب و حكم و أمثال مع شرح و تفسير لذلك.

(3) و الفراء صاحب كتاب المعاني من رؤساء المدرسة الكوفية و قد ذكر في كتابه لغات العرب و معانيها.

(4) و الأخفش الأصغر صاحب كتاب منه شعر و نثر العرب.

(5) أما ابن قتيبة فكان من الجماع الذين استطاعوا أن يوفقوا بين المدرستين و كما ذكر أنه كان تلميذ الجاحظ.

و نورد ههنا أن الدارسين في هذه الحقبة قد أخذوا كلا من علم النحو و البلاغة في إطار واحد و الدليل على ذلك أنهما لم يفصلاهما فالأخفش يذكر أساليب كلام العرب، و الأسلوب في إطاره البلاغي و استقراء كلام العرب و القرآن (1)

و المبرد كان يعتمد في كلام العرب على الأسلوب أيضا مع ذكر مأخذهم للغة و ذكر إفراطهم في التشبيه وحد التشبيه عند العرب و النسب و المضاف و المضاف إليه- ذكر ما فيه استراحة لقارئ الكلام و ضروبة - ما ينصب على المدح و ما ليجوز فيه القطع و هذه أبواب متداخلة بين القطع و البلاغة - كالقول و بعده (إن) إذا فتحت صارت للظن(2)
و ابن قتيبة يورد في كتابه مشكل القرآن إشارات ذات دلالة واضحة أن الإختصار من أبواب العربية و تبعا لهما.(3)

يقول ابن سلام في كتابه طبقات فحول الشعراء: " ثم كان من بعدهم عبد الله بن أبي اسحاق الحضرمي (4) و كان أول من بعج النحو، ومد القياس و العلل و كان معه أبو عمرو بن العلاء، و بقي بعده بقاء طويلا و كان ابن أبي اسحاق أشد تحريرا للقياس(5) و كان أبو عمرو أوسع علما بكلام العرب و لغاتها و غريبها.

و كان بلال بن أبي بردة جمع بينها بالبصرة، و هو يومئذ وال عليها ولاه خالد بن عبد الله القسري، زمان هشام بن عبد الملك - قال أبو عبد الله قال يونس قال أبو عمرو: فغلبني ابن أبي اسحاق بالهمز يومئذ فنظرت فيه بعد ذلك و بالغت فيه."(6)

---

(1) البلاغة في أصول اللغة لفتوحي ص 68.

(2) الكامل ص1.

(3) معاني القرآن للأخفش ص22.

(4) اسحاق الحضرمي هو عبد الله بن أبي اسحاق الحضرمي مولى لحضرموت و زعيل مولى لآل الحضرمي و هم حلفاء بني عبد شمس بن عبد مناف من أنباء أكرواه للقفطي ج2، ص105 (دت).

(5) أي أشده كمعرفة القياس.

(6) من كتاب طبقات فحول الشعراء تأليف محمد بن سلام الجمحي المتوفى سنة 231 هـ، قراءة و شرح محمد محمود شاكر، ج1 مطبعة الميداني سنة 1974.

و قال أيضا: " و قلت ليونس هل سمعت من أين أبي اسحاق شيئا قال قلت له :هل يقول أحد الصويق؟ يعني السويق(1) قال: نعم، عمرو بن تميم تقولها و ما تريد إلى هذا عليك بباب من النحو يطرد و ينقاس."(2)

و لقد كان هؤلاء العلماء الذين بعجوا النحو و عللوا ذلك مما جاءت به قرائحهم من أراء متفاوتة في علم النحو و قواعده التي بهرت أناسا كثيرون و كان ذلك لخدمة العربية.

و من القياس الذي نستخلصه من كتب علماء هذه الحقبة كتاب طبقات فحول الشعراء لابن سلام إلجمحي في قوله: " أخبرني يونس أن ابن اسحاق قال للفرزدق في مدحه يزيد بن عبد الملك " من | البسيط|:

مستقبلين شمال الشأم – تضربنا **** بحاصب كنديف القطن المنثور.

على عمائمنا يلقى و أرجلنا – **** على زواحف تزجى زيرا (3)

قال ابن اسحاق أسأت، إنما هي زير و كذلك قياس النحو في هذا الموضع و قال يونس، و الذي قال حسن جائزا فلما ألحوا على الفرزدق قال: " على زواحف تزجيها خاسير: قال ثم ترك هذا ورجعوا إلى القول الأول" أي إلى قول الفرزدق.(4)

---

(1) لغة بني تميم.

(2) المصدر السابق.

(3) من قصيدة في ديوانه ص 262، يقال زير وزار و هو المح الرقيق، و تحها زير أي جهدها حتى [illegible]، فدق عظمها ورق جلدها و دأب مح عظامها، و قوله على زواحف تزجى إلخ متعلق بقوله مستقبلين شمال الشام و ما بينهما حال معترضة.

(4) من كتاب طبقات فحول الشعراء ص17.

و المحققون من أئمة النحو الأوائل يجرون في استقرائهم الكلام لاستنباط القواعد و القوانين التي تضبط اللسان العربي منه على خطة محكمة، و الخطوة الأولى في منهجهم في هذا الباب تصنع اللبنة الأولى العرب : (1)

إلا أن البلاغة و البلغاء في هذا العصر كان ذو جذور أصلية و منها نهل العرب على مختلف مشاربهم إلا أن فنياتها و مصطلحاتها لم تزل في طور الدراسة و البحث كاللغة لم يثبت أنها كانت على هذه الشاكلة في عصرنا بل جاءت تطورا و تدرجا و كل عصر له مصطلحاته و تقنياته في الكلام و الأسلوب أيضا، و من ذا و ذاك يمكن أن نقول بأن البلاغيين الذين اشتغلوا بعلم البلاغة في هذا العصر، جعلوا هذه الأصول كالقياس في درسهم البلاغي. مثل الأمثلة التالية: في كتاب معاني القرآن للأخفش الذي يذكر فيه: فإنه يقوم اللغات لأنها تختلف اختلافا بينا، إذ كان يقيسها بقياسات مختلفة و يقوم كلا بما يراه / مثل قوله: "من العرب من يقول" " يأم لا تفعلي" و رخم كما قال " يا صاح" منهم من يقول : "يا أمي" على لغة الذين يقولوا، "يا غلامي " و منهم يا أب و "يا أم"، و هي جيدة في القياس (2)

(1) ينظر القياس النحوي لمنى إلياس ديوان المطبوعات الجامعية سنة 1985.

(2) ينظر معاني القرآن، ج1 ص34.

و قد استفاد ابن قتيبة من كتب من سبقه و خصوصا الجاحظ أستاذه صاحب الكتب الشيقة الجامعة في الفنون الكثيرة؛ فنجده يجمع بين المدرستين البصرية و الكوفية ثم ينتقي الأصلح و الأفيد فيرد و يجيب و هذا دأبه في المسالك اللغوية التي تناولها مثل تفسيره الغريب و المختلف و المنشاد في كتابه تأويل مشكل القرآن فيقول: " أما قولهم " أراد بإنزال المتشابه في القرآن، من أراد لعباده الهدى و التبيان.

فالجواب عنه: أن القرآن نزل بألفاظ العرب و معانيها، و مذاهبها في الإيجاز و الإختصار و الأطالة و التوكيد و الإشارة إلى الشيء و إغماض بعض المعاني حتى لا يظهر عليه إلا اللقن(1) و إظهار بعضها و ضرب الأمثال لما خفي.

و لو كان القرآن كله ظاهر مكشوفا حتى يستوي في معرفته العالم و الجاهل لبطل التفاضل بين الناس..." (2)

(1) اللقن: سريع الفهم في لسان العرب ج17، ص275.

(2) تأويل مشكل القرآن ص 86.

و الواضح أن القرن الثالث الهجري كان يعج بالعلماء كل منهم كان يسلك نهجا جديدا يريد به السبق لتأصيل علم البديع فيكون له الدرجات العلى عند باريه و النـــاس، و الدارســـين، فكان عبد الله بن المعتز أول من ابتدع علم البديع و أول ما ذكر فيه الإستعارة و الكناية، و لكـــن الذي قصدها ليس ماهو مدوّن عند المحدثين الذين جاءوا بعده، فكان قصدهم علم البيان.

وممن أسسوا لعلم البلاغة أيضا لعلم مستقل النحاة أنفسهم قد أوجدوا القضايا التي اعتنى بها البلغاء الأوائل و استندوا إليها، و جعلوا ذلك تقويما خاصا و قد استأنسوا أيضا بلغات العرب المختلفة جاعلين الإستشهاد هو الحجة و الدليل مثل ما جاء في كتـــاب المـــبرد الكـــامل قولـــه تعالى : ﴿ إن هذان لساحران ﴾ . برفع اسم إن بالألف عوض نصبها كالمعتاد أو تما جاء به العلماء الأوائل لكنهم قاسوه على لغة العرب من قول الشاعر :

أبو ذؤيب الهذلي : | من الطويل |

ضربته ضربة بين أذناه **** فأردته إلى ها بني التراب عقيم.

فقالوا إن هذه لغة بني تميم و يجرون بالألف و كل ما شاكل ذلك، كان مثله.

و الحق أن البلاغيين قد جعلوا علمهم من الأصول التي استلهمها النحاة ، و أسسوا عليهـــا قواعدهم فالبلاغة حملة و النحو مفرد ، و قد علل كل من النحاة و البلغاء وضع كلامهم استنادا للقرآن، و إن كان القرآن جاء بمفردات مختلفة ، وأشهرها "السبع" .

فأما المبرد (1) فقد احتزأ على تخطئة القراءات القرآنية إذا أصدمت بالقواعد النحويـــة ، ومن ذلك أنه وصف قراءة نافع "معائش" بالهمز بأنها (غلط) (2) و رمى القارئ بالجهل بالعربيـــة ووصف قراءته بالخاطئة(3) .

---

(1) ينظر تخليص التخليص لابن هشام.

(2) ينظر للكامل ، ص 217 .

(3) المصدر السابق ، نفس الصفحة .

و من المؤكد أن القياس في البلاغة من النحو ، لأن النحو كـأجد في العربيـة و البلاغـة كالجملة ، فلا يمكن الإستغناء عن بعضها البعض إلا بدليل .

و من الحجة الدامغة أن النحاة قد أسسوا و جعلوا القياس بعد الفقهاء و الأصوليـين ، وإن كثيرا من النحاة قد أفردوا كتبا كثيرة في علم البلاغة ، و علومها مستأنسين بما جـادت بـه قرائحهم .

والذي لا بد منه هو أن نعرف أنواع القياس الذي رسخه النحاة في علم البلاغة ، نـرى علماء هذا القرن قد اعتمدوا على القياس الاستقرائي و الشكلي .

فالقياس الاستقرائي الذي يبنى على تتبع كبرى الحالات التي يريـد الـدارس اسـتنتاجها و توكيدها بالدليل و الحجة الدامغة مع التمثيل لكل حالة ، فمن هؤلاء العلماء المبرد ، الذي نجـد في كتابه الكامل في اللغة و الأدب.
لوضع قاعدة و النحوي و التقصي لدقائق الأمور من كل جوانبها كالمصدر و المشتقات و الصفـة المشبهة .

فنجد أن علماء هذا العصر كانوا يستلهمون قضاياهم النحوية و البلاغية من القرآن .

إلا أن بعض الحالات لا يجدونها طيعة لديهم فيصرفونها للتأويل و التقدير ، إما من كلام العرب و ملحة و طريفة أو من اجتهاداتهم و ما جادت به قرائحهم .

فإن البصريين يقولون المصدر هو الأصل و يضعون الفعل في الصدارة و يشـتقون منـه المصدر و اسم الفاعل و اسم المفعول و أما الكوفيون فعكس ذلك و نجد كثيرا من المجتهديـن في هذا القرن مثل ابن كيسان البغدادي الذي كان على رأس المدرسة البغدادية و قـد جمـع بـين المدرسين و ذلك باجتهاده الثاقب .

الخاتمة

إن الخاتمة كانت عصارة ما قمت به في هذه الفصول و كانت نتائجها متمثلة في ما يأتي:

1- الأصول النحوية عند البلاغيين في القرن الثالث الهجري الذي تنطوي تحتها تعريفات لكل من:

أ - الأصل و الفرع اللذان دارت حولهما دراسة هذا الموضوع، و الثابت و المتغير، كما تعرضت للبحث في أصول النحو و البلاغة المشتركة التي كانت تمثل فيما يأتي:

السماع و الإجماع و القياس، و قد وضعت عناصر أصلية فذكرت فيها ما يأتي : ففي السماع جعلت القرآن الكريم التي تحوم حوله الدراسات مبينا ما للدراسين من اهتمام بالغ و جعله المنطلق؛ لأنه الغاية و المراد المقصود إذ به تفهم الشرائع المختلفة، و الحديث الذي كان دعما للدراسين للفهم و الإفهام و قد و طد لهم الطريق لنهج الدراسة، كما وضعت كلام العرب المستقى من شعر و خطب، و أمثال و حكم إذ به يفهم القرآن.

- الإجماع: و دونت دراسات العلماء و توخيهم هذا العنصر متطرقا لتعريفه لغة و اصطلاحا و ما أولاه العلماء لهذا الأصل مبينا أهميته البالغة في هذه الدراسات قإنا إياه بالدراسات الفقهية لأن أصل الدراسة فيه الفقه.

و يعتمد عند الحاجة الماسة، و حين تفتقد النصوص ذات الحجة الدامغة.

- القياس: و هذا الأصل له الأهمية البالغة في دراسة هذين العلمين؛ وذلك للتعليل و الحكم، و كان هذا الأصل قد تظل حجيته من الفقهاء إلا أن كلا من النحاة البلاغيين و ضعوه بيانا للدرسيهما.

و ما جاءت به قريحتي فليس إلا محاولة من المحاولات أرجو الله أن تكون نافعة في مجال البحث العلمي.

و اللّهم أسأل التوفيق، و نعم المولى و نعم الوكيل.

المصادر و المراجع

1- آي الذكر الحكيم قرآن كريم (مصحف المدينة المنورة النبوية على رواية حفص).

2- الآداب السامية مع بحث مستفيض عن اللغة العربية و أسرار حماها لمحمد عطيه، دار الحداثة للطباعة و النشر طبعة سنة 1984.

3- أبجد العلوم الوشي المرقوم في بيان أحوال العلوم تأليف " صديق بن حسين البخاري" (ت 1307هـ) إعداد " عبد الجبار زكار" ط منشورات وزارة الثقافة و الإرشاد القومي دمشق سنة 1978.

4- آراء بلاغية " للسبكي بهاء الدين مصورة عن طبعة عمان الأردن (دت).

5- الإتقان في علوم القرآن لـ " جلال الدين السيوطي" (ت 911 هـ) المطبعة الكستلية (ط 1279).

5- أثر النحاة في البحث البلاغي ل " عبد القادر حسين" (دت).

6-أثر المناظرة التي دارت بين سيبويه و الكسائي أيام الخليفة عن مجلة العربي العدد 178 سنة 1978.

7- أدب الكاتب لابن قتيبة ط ليدن المحروسة سنة 1901.

8- الآداب الشرعية و المنح المرعية للإمام شمس الدين أبي عبد الله محمد بن مفلح المقدسي الحنبلي، طبعة دار العلم للجميع، بيروت، لبنان 1973.

9- الإختيارين للأخفش الأصغر محمد بن المستنير المولود 235 هـ متوفى 315هـ، تحقيق الدكتور فخر الدين قباوه، طبعة غانم الكتبي مطبوعات مجمع اللغة العربية دمشق طبعة 1974.

10- إرشاد الأريب تأليف ابن الأنباري مطبوعات دار المأمون الكويت سنة 1981.

11 - إصلاح الخلل الواقع في الجمل للزجاجي، طبعة دار المريخ الرياض 1979.

12- إعلام الثقافة العربية، الجاحظ لمحمد عطيه و أبو الفتوح محمد التواتي دار الطباعة و النشر مصر سنة 1978.

13- أساس البلاغة للإمام " جار الله أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري" (ت 538 هـ) تحقيق " عبد الرحيم محمود " ط دار المعرفة بيروت، لبنان.

14 - الأسس النفسية لأساليب البلاغة العربية تأليف الدكتور " عبد الحميد ناجي" ط المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع سنة 1984 بيروت، لبنان.

15 - الأشباه و النظائر ل " جلال الدين السيوطي " (ت 911 هـ) راجعه و قدم له الدكتور " فايز ترحيني" الناشر دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، سنة 1984 م.

16- الإشارة إلى الإيجاز في بعض أنواع المجاز للإمام " أبي محمد عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام الشافعي" (ت 660 هـ)، طبعة دار المعرفة بيروت - لبنان (دت).

17- الأصول للدكتور تمام حسان ط الهيئة المصرية للمكتبات.

18- الأصول لابن السراج، دار الحياة بيروت، لبنان.

19- الأصول للسرخسي طبعة دار العلم بيروت لبنان (دت).

20- البلغة في أصول اللغة للسيد محمد صديق قنوجي، تحقيق نذير محمد مكتبي. دار البشائر الإسلامية طبعة 1988.

21- البيان و التبيين للجاحظ ط 1، للخانجي مصر سنة 1961.

22- التبيين لـ " أبي البقاء العكبري" (ت 616هـ)، تحقيق الدكتور عبد الرحمان بن سليمان العثيمين دار الغرب الإسلامي سنة 1986.

23- تاريخ بغداد، للبغدادي (دت) الخانجي مصر 1960.

24- تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة (ت 276 هـ) دار الغرب الإسلامي بيروت، لبنان ط1 سنة 1986.

25- التفكير البلاغي عند العرب ل " صمود محمود" الدار التونسية للنطبع سنة 1981.

26- التعريف بابن خلدون " لابن خلدون" (ت 808 هـ) ط دار الكتاب اللبناني بيروت، لبنان سنة 1979.

27- تقريب المقرب لـ " أبي حيان التوحيدي" تحقيق عبد الرحمان عفيف، بيروت، لبنان، ط 1 سنة 1981 ص 41.

28- جواهر الكنز لنجم الدين أحمد بن اسماعيل تحقيق أحمد زغلول ط دار المعارف - الإسكندرية (دت).

29- حاشية الصبان، مصر القاهرة دار الخانجي سنة 1961.

30- الحضارة الإسلامية لأدام متز نقله إلى العربية محمد أبو ريدة، دار الكتاب العربي بيروت، لبنان سنة 1969.

31- الحضارة الإنسانية و قسط العرب فيها لـــ: عمر فروخ، دار لبنان للطباعة و النشر، بيروت، لبنان، سنة 1983.

32- الحيوان للجاحظ (ت 255 هـ)، ط ، دار مكتبة الهلال، شرح و تحقيق علي الشامي سنة 1990.

33- الخصائص لـــ" ابن جني" (ت 392) دار الكتاب العربي لبنان - بيروت تحقيق محمد علي النجار سنة 1988.

34- دلائل الإعجاز لـــ " عبد القاهر الجرجاني " دار الكتاب العربي تحقيق.

35-ديوان امرئ القيس بيروت للطباعة و النشر، سنة 1973.

36- ديوان الحماسة لأبي تمام شرح المرزوقي طبعة لجنة التأليف و الترجمة مصر 1979.

37- ديوان عنترة ط دار بيروت للطباعة و النشر، سنة 1978.

38- ذيل الأمالي لـــ " أبي القاسم أبو بكر القالي" دار الآفاق الجديدة بيروت 1980.

39- شرح الشواهد المغني للسيوطي دار الحياة لبنان (دت).

40- الشعر و الشعراء لابن قتيبة دار صادر ط مدينة ليدن المحروسة سنة 1902.

41- الصحاح لـــ " اسماعيل بن حماد الجوهري"، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين بيروت - لبنان سنة 1984.

42- ضحى الإسلام احمد أمين دار الكتاب العربي ط 10 بيروت لبنان (د ت).

43- طبقات فحول الشعراء لمحمد بن سلام الجمحي قرأه و شرحه أبو فهر، محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، مصر سنة 1974.

44- عالم المعرفة أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة د. ضحى الإسلام لـــ: أحمد أمين، دار الكتاب العربي ط 10 بيروت، لبنان (دت).

45- العقد الفريد لـــ: " ابن عبد ربه" دار الكتب المصرية (دت).

46- عيون الأخبار لـــ: ابن قتيبة"، دار الكتاب العربي طبعه مصوره عن دار الكتـــب المصريـــة سنة 1925.

47- العرف الطيب في شرح ديوان " أبي الطيب" للشيخ ناصف اليازجي دار بـــيروت للطباعـــة، بيروت لبنان سنة 1981.

48- العلوم البلاغية لـــ" مصطفى المراغي" دار القلم، بيروت، لبنان (دت).

49 - غرائب اللغة العربية لرفائيل نخلة اليسوعي دارالمشرق، بيروت لبنان سنة 1986.

50- فجر الإسلام لأحمد أمين مطبعة لجنة التأليف و الترجمة و النشر سنة 1962.

51- فحول الشعراء ل " محمد بن سلام الجمحي" 231 هـــ شرح أبو قهر محمود محمد شاكر.

52- في نقد النحو العربي الدكتور بكر أبو السعود ط دار الثقافة للنشر و التوزيع الفجالة مصـــــر 1988.

53- الفهرست ل" محمد بن اسحاق النديم تحقيق د. مصطفى الشويخي الدار التونســية للنشـــر 1985.

54- الفن و مذاهبه لشوقي ضيف ط (9) دار المعارف مصر سنة 1980.

55- القاموس المحيط ل " الفيروز أبادي" محمد الدين بن يعقوب الفيروز آبادي ط دار الجيل بيروت (دت).

56- القلب و الإبدال لابن السكيت مصورة (دت).

57- الكتاب سيبويه، تحقيق محمد عبد السلام هارون ط سنة 1981.

58- الكامل لـــ " ابن الأثير" في التاريخ لـــ " أبي الحسن علي بن مكرم"،دار الكتاب العربـــي، بيروت، لبنان سنة 1986.

59- الكامل في اللغة و الأدب للمبرد، مؤسسة المعارف، بيروت، لبنان ، (دت).

60- لسان العرب لـــ " ابن منظور" تحقيق " علي شيري" دار إحياء التراث العربـــي، بـــيروت، لبنان.

61- لغة القرآن لـــ : " عبد الجليل عبد الرحيم" مكتبة 1988 الرسالة الحديثة، عمان الأردن، دت.

62- اللغة العربية كائن حي لـــ " جرجي زيدان" دار الجيل بيروت - لبنان سنة 1988.

63- اللمع في أصول الفقه للشيرازي عن منشورات مجمع اللغة العربية (دت).
64- المثل السائر في أدب الكاتب و الشاعر لـــ:" ابن الأثير" ط مكتبة الخانجي سنة 1968.
65- المدخل إلى دراسة البلاغة العربية لأحمد خليل، بيروت لبنان (دت).
66- المحيط لـــ" محمد الأنطاكي" دار المشرق العربي، بيروت، لبنان سنة 1971.
67- محاضرات الأدباء و محورات الشعراء و البلغاء منشورات دار الحياة، بيروت (دت).
68- المزهر لـــ: جلال الدين السيوطي"، (ت911هـــ) تحقيق د. فايز ترحيني، ط دار الكتـــاب العربي سنة 1984.
69- مطبوعات مجمع اللغة العربية القاهرة سنة 1974.
70 - المغني لـــ : " ابن هشام"، تأليف جلال الدين السيوطي (ت 911هـــ) منشورات، دار الحياة (دت).
71- المفتاح لـــ " السكاكي" شرح التفتازاني (دت) بالمكتبة المصرية.
72- مقدمة في صناعة النثر و النضم لشمس الدين الحموي، تحقيق محمد عبد الكريم.
73- الموجز في نشأة النحو ل" محمد الشاطر أحمد محمد" مكتبة الكليات الأزهرية - القاهرة سنة 1983.
74- المصطلح النحوي لـــ: " عوض حميد القوري" ط ديوان المطبوعات الجامعية الجزائـــر ســـنة 1983.
75 - محاضرات في فقه اللغة للصاحبي بيروت لبنان، 1986.
76- منشورات وزارة التعليم الأصلي و الشؤون الدينية - الملتقى السابع - للتعرف على الفكـــر الإسلامي ج2، سنة 1973.
77- مراتب النحويين لأبي الطيب اللغوي، تحقيق محمد أبو الفضل طبعة نهظة مصر (دت).
78- النحو العربي دراسة نصية لـــ" د. صابر بكر أبو السعود.
79- نضرة الإغريض في نصرة القريض تأليف المظفر الفضل العلوي تحقيق الدكتورة نهى عارف الحسن ط مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق ط 1986.
80- النظريات اللسانية و البلاغية و الأدبية عند الجاحظ لـــ " محمد الصغير بناني" ط1،ســـنة 1983 ديوان المطبوعات الجامعية.

81- نهاية الأرب للنويري دار الكتب المصرية، طبعة 1960.

82- نهج البلاغة للإمام" علي كرم الله وجهه" شرح الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده دار الجيـــل، بيروت، لبنان، (دت).

83- نقد و توجيه لـــ: " مهدي مخزومي" دار الرائد العربي، بـــيروت، لبنـــان ط2، ســـنة 1986.

84- الوفيات لأبي العباس أحمد بن حسين بن علي دار الآفاق الجديدة سنة 1980.

85- هدية العارفين لإسماعيل باشا البغدادي تصوير عن طبعة المطبعة البهية إسطنبول 1955.

86- همع الهوامع، شرح جمع الجوامع لجلال الدين السيوطي.

المراجع بالأجنبية

1- L'ECRIT ET LA COMMUNICATION
ROBERT ESCARPIT PROFESSEUR EMERITE DE BORDEAUX
EDITION BOUCHENE ALGER 1993

2- LANGUE ET LANGAGE PAR LE GROUPE U. J DUBOIS F EDELINE
J.KLINKEMBERG.
P. MINGUET . F. PIRE

3- H.TRINON .LIBRAIRIE LAROUSSE , PARIS 1970
PAGE 08 --- 30

4- INITIATION A LA STATISTIQUE LINGUSTIQUE
DR MULLER . PARIS 1970 PAGE 256

5- LE SON GUO YUNZHI TRADUIT
PAR :
1- WU GUOLI
2- ZHAO NAXIANG
3- YANG CHANGOING
EDITION DES SCIENCES ET TECHNIQUE DE CHEMIE 1985 P 6 ET P 61

6- DICTIONNAIRE ENCYCLOPEDIQUE
DES SCIENCES DU LANGAGE
OSWALD DUCROT / TZEVETAN TODOROVE
EDITION DU SEUIL 1972

الفهرس

مقدمة أ - ز

تمهيد ح - ل

الفصل الأول

- الأصل في اللغة العربية 1
- الثابت اللغوي أصل المتغيرات 9
- النحو العربي 19
- سبب نشوئه 27
- البلاغة العربية 33
  أ- في العصر الجاهلي 40
  ب- في العصر الإسلامي 41
- البلاغة في القرن الثالث 43

الفصل الثاني

التقاطع بين مستويي النحو و البلاغة

- صلة النحو بالبلاغة 49
- الدليل على الصلة 50
- مظاهر الصلة 51
- صلة البلاغة بالدراسات القرآنية 55
- من مزايا القرآن الكريم 58
- بلغاء القرن الثالث الهجري 60
- بين أصول الفقه و النحو 69
- البلاغة و الأساليب القرآنية 92

الفصل الثالث

الظواهر البلاغية عند النحاة

- توكيد الضميرين 94
- التقديم و التأخير 95
- أصل الحذف عند البلاغيين 96
- ما أخذه البلغاء من النحاة 101
- العطف 102
- التعريف و التنكير 115
- الالتفات 132

الفصل الرابع

الأصول النحوية عند البلاغيين

1- السماع 143

القرآن الكريم 157

السنة 162

كلام العرب 162

2- الإجماع 170

إجماع الرواة 170

إجماع العرب 171

إجماع النحاة 172

3- القياس 188

أركانه 189

القياس الاستقرائي 196

الخاتمة 197

المصادر و المراجع 198